2 1

تملكه العبد العاجز
[illegible] محمد سعيد بن [illegible]

٢

هذه رحلة السيد ابو عبد الله
الشهير بالطيب نور الله
ضريحه وفتح علينا ببركاته
والمسلمين اجمعين
والحمد لله رب
العالمين
امين

ملك العبد المذنب الفقير الفاني
عبده محمد عبد القادر بن المرحوم
السيد عبد الله افندي بن مولانا
المرحوم السيد محمد حسن افندي
الاسطواني [illegible]
في تاريخ احد عشر ربيع
ذا الحجة [illegible] والحمد
لله على كل حال
امين

تملكه العبد الفقير مصطفى
نجل عبد الله بكري
ولد اسعد بك الشهيدي

من كتب
محمد حسن الفقير
[illegible]
[illegible]
سنة ١٢٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
ان ازهى وازهر زهر تجلت به آيات الكتب والرسايل واسنى وابهر درر تحلت به لبات الخطب والوسايل حمد من جعل الكعبة البيت الحرام قياما لكل قاصد وسايل ومجعاد بحر الخيرات فهي ما بين فايض حوالبها وسايل وانه اجدى واجد ما تزينت بحلية الطروس والمهارق وتوجت باكليله منها الروس والمفارق شكر من قال لابرهيم واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من اقصى المغارب والمشارق الملبى دعوة الساعين الى حرمه المفيض على الطايفين بباب بحر كرمه

فالحمد لله حمدا لا نفاد له ... ما طاف بالبيت من قد حج او زارا
وما محا الله ذنب الطائفين وما ... حط الاله عن الساعين اوزارا

والحمد لله الذى جعل البيت مثابة للناس وامنا وصيره مناطا لجميع الخيرات وضمنا

فمن جاء مشتاقا اليه اخا وجد ... وخلف ما خلفه من اهل والوجد
وقاسى مشقات الطريق ولم يزل ... يسايرها ما بين غور الى نجد
ووافى الى ذلك المقام الذى غدا ... جماع جميع الخير والفخر والمجد
يقال له اهلا وسهلا ومرحبا ... باشرف وفد مرحبا بك من وفد
امنت الذى تخشى وفزت بما تشا ... وفوق الذى املته جزت من رفد
واخلف ما انفقته متضاعفا ... وفلسك امسى الف الف بلا كد
وانه شوكة شاكتك فى طرقاته ... فلا تشك نلت الخلد فى جنة الخلد
فتلك جزاء للذى بر حجه ... وساعده من ربه طالع السعد

والحمد لله الذى جعل الحجاج فى كفالته وضمانه والبسهم فى حالتى الذهاب والاياب جلابيب حفظه وامانه فلا يصيبهم ظما ولا مخمصة ولا نصب ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا ولا يعتريهم وصب

الا اثابهم بما لا يخطر ... فى خاطر كلا وما لا يبصر
وجزاهم فى هذه الدنيا بما ... شاؤا من الخير الذى لا يحصر

واباهم

وابا حهم بحبوحة الفردوس في يوم القيمة سارعوا او قصروا
فلذلك كان السلف الصالح يتوقعون في مثل هذه الطريق نزول
الشدايد ويعدونها من اغنى الذخاير واغنم الفوائد وازكى
التجاير وانجح العوايد واعلى الجواهر واغلى الفرايد

وان سلموا من افة في طريقهم يعدون هاتيك السلامة ماتما
وان ازمة ازمتهم طربوا لها وامست لهم عرسا عظيما وماتما

فلا غرو ان اعزم العارفون بحمد من اغرق سهام المصايب بنحور
الاسفار وجعل في ضمنها من عجيب الغرايب وغريب العجايب ما
لا تحتمله الدفاتر ولا تسعه الاسفار

ففيها علامات القبول لانها تشير لاقبال المليك على العبد
وترشد ان العبد مهما اصابه بنائبة مولاه قرب من بعد

ولا بدع ان ثنى المعنون عنان الاعتنا للمدح والشكر والثنا
على من اقتضت حكمته ان اختص الحجاز منها باوفر نصيب وجعل
سهمه هو السهم المصيب فهو يغدو على الاجسام تارة وعلى الاموال
طورا وقد يجمع بين الامرين اخرى وما ذاك الا ليعظم سبحانه لعباده
المومنين الاجر ويجزل لهم الثواب ويضاعف اعمالهم ويبلغ امالهم
بذهاب الذهب وسلب الاثواب

فيا فوز المصاب من الاله بداهية دهته عن الملاهي
لقد امسى مصيبا كل خير وبالولدان في الفردوس لاهي

فسبحان مولانا من حكيم لم تخل احكامه وقضاياه عن حكم بالغه
ومن لطيف لم يبتل عبدا في الظاهر الا وقد جعل بلاياه في الباطن
نعمة سابغه

فكم من نعمة في طي نقمه وكم من نقمة في طي نعمه
وكم من شدة صارت رخاء واعقب ضيقها فرجا ورحمه

ارشادا بان العبد عاجز عن جلب المنفعه ودرء المضره واعلاما
بانه لا يميز طرق المشرة من سبل المسره

واني له علم بذلك وقد غدا لغفلته العظمى جهولا بنفسه

ومن اين يدري عينه من رشاده غدا وهو ساه عن تصاريف امسه

نحمده جل اسمه على ان سهل علينا الطريق في هذه السنه وجمع لنا في الحجاز بين الرخا المفرط والاهوية الحسنه

واما ما سواه من الجريد وبرقة ربة الخصب المديد
فلا تسأل عن الخيرات فيها ولكن قل الا هل من مزيد
تجرد من لبوس البوس كل وابرق بارق الزمن السعيد

ونشكره تعالى على ان ابتلانا ببلايا عرفنا انها نعمه اذ لا يصاب الا المومن كما صرح به اكابر الايمه وصحت به احاديث سيد الامه ففي الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال ليس بمومن مستكمل الايمان من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال لان البلاء لا يتبعه الا الرخاء وكذلك الرخاء لا يتبعه الا البلاء والمصيبة خرجه الطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه ويحسن في هذا المقام انشاد قول ابي تمام

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض الناس بالنعم

ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الجبار القادر القهار الفاعل على حسب المشيئة والاختيار لا يسئل عما يفعل والعبد مسؤل عن الحركة والسكون والنطق والسكوت والايراد والاصدار

وكيف يكون مجبورا عليه وقد خلق الخلايق والفعالا
فكل ملكه من غير جبر تعالى الله عن جبر تعالى

ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وخليله ومصطفاه ومختاره وسفيره ودليله اشرف رسول حمل المشقات فكان يصبر عليها وافضل نبي كلف ابعد الشقات فلم يكن يصبوا الا اليها ترغيبا منه صلى الله عليه وسلم في جزيل الاجور وتعليما لهذه الامة الشريفة بما ذا تنال عوالي الامور ليقتفوا في ذلك اثره ويتحلوا بامثال هذه المأثره

فليقتف الاثار من رام العلا وليستمع اثار احمد طه
وليغتنم طاعاته تبعا فمن يطع الرسول فقد اطاع الله

صلى الله وسلم عليه وعلى اله واصحابه الذين تخلقوا باخلاقه وتادبوا

باادابه

بادابه صلاة وتسليما لا ينحصر لهما عدد ولا ينقطع لهما امد

فمن صلى على المختار عشرا   عليه الله صلى الف مرة
وحرمه على النيران ربي   وكان لعينه في الخلد قرة

اما بعد حمدا لله الذي شرف بيته الحرام واكرمنا بالرحلة اليه اي اكرام وجعلها من القربات العظام والطاعات الجسام والصلاة والسلام على مولانا محمد المصطفى الذي نسب من حج ولم يزره الى القطيعة والجفا

واية قربة اعلا واغلا   من الرحال للبيت الحرام
واية زورة تمحو الخطايا   كزورة احمد خير الانام

فانه لما كان الحج من القواعد التي بني عليها الاسلام والقربات التي ورد في فضلها والترغيب فيها احاديث جمة عنه عليه الصلاة والسلام كما نلم بالاشارة الى ذلك بعض الالمام اردنا ان نفوز ببعض ما اعد الله لزواره من فيض فضله وكرمه

ونظفر في ام القرى بمنى القرى   ونمسي القرى خفا من الثقل والوزر
وعند ضريح المصطفى نجد الوفا   بماء الصفا يشفي من الاثم والوزر

فامن الله سبحانه علينا بكمال هذه الاراده حتى فزنا في تلك الاماكن المشرفة بما امرنا به من العباده وتقلب القلب والقالب فيما رامه من ذلك واراده

وبالكعبة الغراء عن كل كاعب   تسلى فلا يصبو الى غيد لاعب
وفي روضة المختار اصبح هائما   يروح ويغدو بين تلك الملاعب

وكنا جمعنا في طريقنا نبذة تحتوي على ما سلكناه من المراحل وتعدد ما نزلناه من المنازل وتشتمل على ذكر من لقيناه او تكلمنا معه في نازلة من النوازل وفي ضمن ذلك ابيات كان يقتضيها الحال وقصايد شرفناها بذكر تلك المحال وفوايد مهمه يعتني بها ذو الهمه فاستولت على ذلك كله يد الضياع وسرقها سارق مع ما كان لدينا من كتب ومتاع فلم يسعنا الا الصبر الجميل لرغبتنا فيما اعد للصابرين على المصيبة من الثواب الجزيل وعلمنا بان ذلك قضاء من رب الارباب وحكم من الحكم العدل المنزه عن الحجاب والباب فلم نبال والحمد لله بشيء مما ذهب

ولم نلتفت بقوة الله لفضة ولا ذهب

وكيف ابالي او احدث بالي بفان من الاعراض اخلق بال
وهب انه في الحال يصلح بالي اما هو في يوم المعاد وبال
على ان مولانا الكريم بفضله هو المصلح الاحوال دون نبال
فكن واثقا بالله جل ولا تمل الى المال تحظى عن رشيد نبال

لكن حصل لنا اسف شديد على تلك الرحلة التي ليس لها في صنعها فديد مع اشتمالها على تلك القصايد الفايقة التي تنشدها في الكعبة المنورة والروضة المشرفة الرايقة

فياليته لو رد منها قصيدة وسامحته في المال اجمع والكتب

وحيث القينا عصا التسيار واستقرت بنا من الحجاز في مصر الديار طلب منا بعض من يجب علينا اسعافه وموافقته وكيف تصح مخالفته وقد ثبتت خلته وموافقته ان نستجم القريحة الجامحة ونسترجع الفكرة الخامدة لعلها ان تتلافى بعض ما تلاشى من تلك الرحلة البديعة وتقصد من كل مقصد عجيبه وبديعه فاعتذرت فابى ان يقبل الاعتذار ثم اجبته بعد الاستخارة على ما في من الاعذار مستعينا بقوة من له القوة والحول مستمدا من فضل مالك الفضل والطول ورايت ان اقدم مقدمات جامعة لتجعلها تذكرة لكل حاج ويعيها منه اذن سامعة المقدمة الاولى فيما ورد من الايات الصحيحة والاثار الصحيحة في فضل الحج والعمرة وما اعد الله للحجاج والعمار مما لا يناله غيرهما وان افني في انواع الطاعات عمره قد ذكر الله تعالى في كتابه الحكيم بيته الشريف المعظم وقلده من ابلغ المدح واسبغ الحمد كل علق نفيس وعقد منظم وامر عباده ان يحجوه بقصد العبادة وجعله مثابة وامنا لقاصده ونصبه لكل مرتفع الى انجاده ومنخفض الى اغواره حرما اسنى مقاصده فقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وقال جل من قايل واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين

من

من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات
وقال عز اسمه الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج وقال جلت قدرته جعل الله الكعبة البيت الحرام
قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد وقال سبحانه انما امرت
ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وقال عز وجل فليعبدوا رب
هذا البيت وقال فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا
وقال واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم وقال قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك
قبلة ترضاها وقال فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر
الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين وقال ان
الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه
ان يطوف بهما وقال واذ بوانا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي
شيا وطهر بيتي للطائفين والقائمين وقال ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا وخرج الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الاعمال افضل قال ايمان بالله ورسوله
قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور وفي مسند
احمد وسنن ابن ماجه عن ام سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الحج جهاد كل ضعيف وخرج البيهقي والنسائي وغيرهما من حديث ابي
هريرة رضي الله عنه مرفوعا جهاد الكبير والصغير والضعيف والمراة
الحج والعمرة وخرج البخاري والنسائي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها
قالت قلت يا رسول الله نرى الجهاد افضل العمل افلا نجاهد قال لكن
افضل الجهاد وفي رواية احسن الجهاد واجمله حج مبرور قالت عائشة
فلم ادع الحج بعد ان سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الطبراني
والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات وغزوة لمن حج خير من عشر حجج
وغزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ومن اجاز البحر فكانما اجاز
الاودية كلها والمائد فيه كالمتشحط في دمه وخرج البزار برواة ثقات

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجة افضل من
اربعين غزوة وغزوة خير من اربعين حجة وحجة الاسلام خير من
اربعين غزوة وخرج النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه
عن ابي هريرة واسحق عن جابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد
الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر وخرج ابن ماجه عن ابي هريرة
وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج
الى بيت الله والعمار وفد الله عز وجل ان دعوه اجابهم وان استغفروه
غفر لهم وفي رواية دعاهم فاجابوه وسالوه فاعطاهم وخرج البخاري
ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة
ورواه الاصبهاني وزاد وما سبح الحاج من تسبيحة ولا هلل من
تهليلة ولا كبر من تكبيرة الا بشر بها تبشيرة وخرج احمد بن منيع
واللفظ له وابن ابي شيبة وابو يعلى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول رضي الله عنه
الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم المسلمون من يده ولسانه
غفر له من ذنبه ما تقدم وما تاخر وخرج البيهقي وابن حبان في صحيحه
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما ترفع ابل الحاج رجلا ولا تضع يدا الا كتب الله له بها حسنة او محا
عنه سيئة او رفع له درجة وخرج الحرث بن ابي اسامة والطبراني
في الاوسط والازرقي في تاريخ مكة عن جابر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج
يؤم هذا البيت من حاج او معتمر او زائر كان مضمونا على الله عز وجل
ان قبضه ان يدخله الجنة وان رده رده بغنيمة واجر وخرج الطبراني
في الاوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ام في هذا الوجه لحج او عمرة فمات لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة
وخرج ابو يعلى والبيهقي في شعب الايمان عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من خرج حاجا فمات كتب الله له اجر الحاج الى يوم
القيمة ومن خرج معتمرا فمات كتب له اجر المعتمر الى يوم القيمة ومن خرج

غازيا

غازيا في سبيل الله فمات كتب له اجر الغازي الى يوم القيمة وقال الله
تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد
وقع اجره على الله وفي الجامع والكنز والمنتخب من خرج حاجا
او معتمرا او غازيا ثم مات في طريقه كتب الله له اجر الغازي والمعتمر
والحاج الى يوم القيمة وخرج الامام احمد والترمذي والنسائي وابن
خزيمة وابن حبان عن عبد الله وقال الترمذي حسن صحيح غريب من حديث
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين
الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد
والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة زاد الترمذي
وما من مومن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وخرج الامام
احمد والحرث بن ابي اسامة وابو بكر بن ابي شيبة عن عامر بن ربيعة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فان متابعة
بينهما تزيد في العمر والرزق وينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث
الحديد وخرج البيهقي عن الشافعي انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حجوا تستغنوا وسافروا تصحوا وتناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم
الامم حتى السقط وخرج الطبراني في الاوسط والبزار برجال
الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امعر
حاج قط قيل لجابر ما الامعار قال ما افتقر وفي الجامع الصغير للسيوطي
والكنز ومنتخب الكنز حج ثلاث او عمر نسقا يدفعن ميتة السوء وعيلة الفقر
وعن ابن عباس عن ابي امامة الحاج في ضمان الله مقبلا ومدبرا وفي الجامع
والكنز والمنتخب ايضا عن انس رضي الله عنه الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم
ما سالوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما انفقوا الدرهم الف الف
وخرج البزار عن ابي موسى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاج يشفع
في اربعمائة من اهل بيته ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وخرج الامام
احمد وابو داود وابو بكر بن ابي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد الحج فليتعجل وفي رواية لاحمد تعجلوا الى الحج
يعني الفريضة فان احدكم لا يدري ما يعرض له وخرج الدارقطني عن ابي

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا قيل وما شان الحج يا رسول الله قال تقعد اعرابها على اذناب اوديتها فلا يصل الى الحج احد وخرج ابو يعلى باسناد رجاله على شرط مسلم الا انه منقطع وابن خزيمة والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للحاج الراكب بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف وخرج الجلال السيوطي في الجامع وصاحب الكنز والمنتخب انه صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة لتصافح ركاب الحجاج وتعتنق المشاة وفيها انه صلى الله عليه وسلم قال ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة وقال صلى الله عليه وسلم النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلك على جهاد لا شوكة فيه حج البيت وقال عليه الصلاة والسلام خير ما يموت عليه العبد ان يكون قافلا من حج او مفطرا من رمضان وقال صلى الله عليه وسلم كثرة الحج والعمرة تمنع العيلة وقال صلى الله عليه وسلم من اضحى يوما محرما ملبيا حتى غربت الشمس غربت بذنوبه وقال صلى الله عليه وسلم ما اهل مهل قط الا آبت الشمس بذنوبه وقال صلى الله عليه وسلم ما اهل مهل قط ولا كبر مكبر قط الا بشر بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا وقال صلى الله عليه وسلم من مات محرما حشر ملبيا وقال صلى الله عليه وسلم الحجاج والعمار وفد الله ان سالوا اعطوا وان دعوا اجابهم وان انفقوا اخلف لهم والذي نفس ابي القاسم بيده ما كبر مكبر على نشز ولا اهل مهل على شرف من الاشراف الا اهل ما بين يديه وكبر حتى ينقطع به منقطع التراب وقال صلى الله عليه وسلم حجوا فان الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن وقال صلى الله عليه وسلم من حج وعليه دين قضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه واختار القرطبي وابن بزيزة وغيرهما ان ذلك يتضمن الكبائر والصغائر وقال صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة

قال المازري اي لا يقصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ولا بد ان
يبلغ به ادخال الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من اراد دنيا واخرة فليؤم
هذا البيت ما اتاه يسأل الله دنيا الا اعطاه منها ولا اخرة الا ادخره منها
وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه انه عليه السلام قال له
اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها
وان الحج يهدم ما كان قبله وحكى عياض في الشفا عن ابي سعيد والخوارزمي
انه قوما اتوه فاعلموه ان كامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار فلم تعمل فيه
وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجات فقالوا نعم فقال نعم حدثت
ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج
حرم الله شعره وبشره على النار **تنبيه** قال صاحب المطالع وغيره
الحج المبرور هو الخالص الذي لا يخالطه مأثم واصله من البر وهو اسم جامع
للخير ومنه بررت فلانا اي وصلته وكل عمل صالح بر ويقال بر الله حجه وابره
وقيل المتقبل وعليه درج مالك بن المرحل في نظم الفصيح فقال وبر ذلك
الحج اي تقبلا قالوا ومن علامات القبول ان يرجع خيرا مما كان ولا يعاود
المعاصي وقيل الذي لا رياء فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق وقيل الذي
لا معصية بعده وقال الحسن البصري الحج المبرور ان يرجع زاهدا في الدنيا
راغبا في الاخرة وقال ابو الشعثاء نظرت في اعمال البر فاذا الصلاة
تجهد البدن والصوم كذلك والصدقة تجهد المال والحج يجهدهما فرأيته افضل
ووافقه على ذلك جماعة من العلماء **المقدمة الثانية** في فضل
زيارة النبي المصطفى وما اعد الله من القرب والاصطفا لعباده الذين
اختارهم لزيارة رسوله واصطفى روى الدارقطني في السنن وغيرها والبيهقي
وغيرهما من طريق موسى بن هلال عن عبيد الله العمري مصغرا كما صوبه الحافظ
يحيى بن علي القرشي كما نقله السيد السمهودي عن نافع عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي قال السيد السمهودي
ومعنى وجبت انها ثابتة لا بد منها بالوعد الصدق وقوله له اي يخص
بشفاعة ليست لغيره او يفرد بشفاعة لا تحصل لغيره تشريفا له او ان
دخوله في الشفاعة لا بد منه فهو بشرى بموته مسلما فلا يضمر فيه شرط الوفاة

عبيد

على السلام بخلافه على الأولى وقوله شفاعتي أي انه يشفع فيه هو بنفسه
والشفاعة تعظم بعظم الشافع وروى البزار من طريق عبد الله بن ابراهيم
الغفاري حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن ابيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من زار قبري حلت له شفاعتي قال السيد السمهودي وهذا هو الأول
وهذا عزاه عبد الحق للدارقطني ايضا الا ان في الأول وجبت له وفي هذا
حلت والقصد تقوية الأول به وروى الطبراني في الكبير والأوسط
والدارقطني في اماليه وابو بكر بن المقرئ في معجمه من طريق مسلمة بن سالم
الجهني حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر مرفوعا من جاءني
زائرا لا يهمه حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون له شفيعا يوم القيمة
وفي معجم ابن المقرئ بالسند المذكور عن نافع وسالم عن ابن عمر مرفوعا من جاءني
زائرا كان له حقا على الله عز وجل ان اكون له شفيعا يوم القيمة واورد
الحافظ ابن السكن هذا الحديث في باب ثواب من زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وهو محذوف الاسانيد ومقتضى ما شرطه في خطبته ان يكون مما اجمع على
صحته قاله السيد السمهودي وروى الطبراني والدارقطني وغيرهما عن
ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني
بعد موتي فكانما زارني في حياتي ومن مات في احد الحرمين بعث من الآمنين
يوم القيمة وروى ابو داود بسند صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي
حتى ارد عليه السلام وفي مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعا من حج الى
مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان وعن العتبي واسمه
محمد بن عبيد الله بن عمرو ادرك ابن عيينة وروى عنه قال دخلت
المدينة فاتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذائه فجاء اعرابي
فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك فاستغفروا الله الآية وقد جئتك مستغفرا من ذنبي
مستشفعا بك الى ربي ثم بكى وانشا يقول

يا خير من دفنت في القاع اعظمه   فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال

قال ثم انصرف فغلبتني عيناي فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال
يا عتبي الحق الاعرابي فبشره بان الله تعالى قد غفر له بشفاعتي قال فاستيقظت
فخرجت اطلبه فلم اجده وحكى السيد السمهودي رحمه الله في تاريخه وفي الوفا
وادماله في خلاصة الوفا قال الحافظ ابو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان
في كتابه مصباح الظلام ان الحافظ ابا سعيد السمعاني ذكر فيما رويناه
عنه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قدم علينا اعرابي بعدما دفنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة ايام فرمى نفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وحثا من ترابه على راسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت
عن الله سبحانه وما وعينا عنك وكان مما انزل عليك ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر انه قد غفر لك
وروى الطبراني في الكبير عن عثمان بن حنيف ان رجلا كان يختلف الى
عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته
فلقي ابن حنيف فشكا اليه ذلك فقال له ابن حنيف ايت الميضا فتوضا ثم
ايت المسجد فصل ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك فتقضي حاجتي
فانطلق الرجل فصنع ما قال ثم اتى باب عثمان فجاءه البواب حتى اخذ بيده
فادخله على عثمان فاجلسه معه على الطنفسة فقال حاجتك فذكر حاجته
وقضاها له ثم قال ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة وقال ما كانت لك
من حاجة فاذكرها ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك
الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت الي حتى كلمته في فقال ابن حنيف
والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاه ضرير فشكا اليه
ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم او تصبر فقال يا رسول الله ليس
لي قايد وقد شق علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ايت الميضاء فتوضا ثم صل
ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات فقال ابو حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا
الحديث حتى دخل علينا الرجل كانه لم يكن به ضر قط رواه البيهقي من طريقين
بنحوه ورواه النسائي والترمذي في الدعوات من جامعه عن عثمان بن

حنيف ان رجلا ضريرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لي ان
يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال
فادعه فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعا اللهم اني اسئلك
واتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى
ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه في فقام وقد ابصر وفي رواية ففعل
الرجل فبرا قلت هذا الاثر المروي عن ابن حنيف اورده السيد السمهودي
في الوفا وخلاصة الوفا في ابواب فضل الزيارة وتوسل الزاير به صلى الله عليه
وسلم وتابعه على ذلك جماعات وصوبوه مستدلين به بخصوص الزيارة
والظاهر ان هذا الاثر فيه دلالة قوية لاجابة الداعي المتشفع بالنبي
صلى الله عليه وسلم في تلك الكلمات التي علمها صلى الله عليه وسلم للضرير بعد الطهارة
وصلاة ركعتين اينما كان وليس فيه تقييد بكونه زايرا اذ لم يكن وقتئذ
هناك قبر ولا غيره بل كان النبي صلى الله عليه وسلم قايما بين اظهرهم وعلم
ذلك الضرير كيف يسال الله تعالى فمن فعل ذلك اقتداء وامتثالا وانقيادا
لامره عليه السلام بنية خالصة فان الله يقبل دعاه ويستجيب سواله
اينما كان كما هو شان الادعية النبوية على الكيفيات المطلوبة الماثورة
بها عنه عليه السلام فانه كان يامر الصحابة بالادعية والصلوات
وغيرها من انواع الطاعات في ذلك المسجد ولا يكون ذلك خاصا بحيث
يقتصر عليه في تلك الامكنة فقط بل يعملون به ويامرون به غيرهم على
جهة العموم في اي مكان كان الا ان يقال ان ابن حنيف فهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان ذلك مما يختص به المسجد النبوي او نحو ذلك فيكون مما
يعد في فضل المسجد النبوي ومزيته على غيره ولا مدخل للزيارة اذ ذاك الا
بحسب اللزوم فقط لكن الانسب بساحة التشفع به صلى الله عليه وسلم هو العموم
في اي مكان وفي اي زمان والله اعلم فليتامل وقال الامام ابو بكر بن
المقري كنت انا والطبراني وابو الشيخ في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكنا على حالة فاثر فينا الجوع وواصلنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشا
حضرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الجوع وانصرفت
قال ابو بكر فنمت انا وابو الشيخ والطبراني جالس ينظر في شي فحضر بالباب

علوی فدق ففتحنا له فاذا معه غلامان مع کل واحد منهما زنبیل فیه
شی کثیر فجلسنا واکلنا وظننا ان الباقی یاخذه الغلام فولی وترک عندنا
الباقی فلما فرغنا من الطعام قال العلوی یا قوم اشکوتم الی رسول الله صلی
الله علیه وسلم فانی رایت رسول الله صلی الله علیه وسلم فی المنام فامرنی ان احمل
بشی الیکم والاثار الواردة فی فضیلة هذه القرب الجسیمه والاخبار
الشاهدة بفوز من یشاهد هاتیک الاماکن الشریفة الوسیمه یعجز عن
استیفائها الاحصا ویکل دون کلها الاستقصا ولو تتبعناها
مبسوطه واستقریناها من عقال الاختصار منشوطه لم تکتب
بمصنف مستقل واوردنا هنا النزر القلیل لننقع به الغلیل ونشفی
من داء الکسل کل علیل وننشط المکسل ونهیج المقل والا فجمیع ما ذکرناه
نقطة من بحار هاتیک الفضایل الزاخره ودرة من عقودها الفاخره
وقطرة من سحایبها الکفیلة باثمار اغصان الامال فی الدنیا والاخرة
المقدمة الثالثه فی السفر وفوایده وما قیل فی موصولات
صلاته وعوایده اخبر العلما ولا سیما ایمة الحدیث فی القدیم والحدیث
علی ان الارتحال غنیمة علی کل حال والحرکة برکه والسفر ظفر بشهادة
فلولا نفر وقد جمع العلماء فی فوائد الاسفار اسفارا واسفروا عن وجوه
عوایدها اسفارا فلنقتف بعض ذلک الاثر ولنقتصر علی ما هو موید لتلک
الفوائد بحکمة او اثر فنقول وعلی الله المعول ان للسفر فوایدا بداها
الصدر الاول منها ان الانسان اذا کان فی بلده بین قوم لئام
لیس بینه وبینهم التئام لا یقدرونه قدره ولا یطلعون فی افقهم
شمسه ولا بدره بل یجزمون نقعه ویخفضون نصبه ورفعه ویبنون
علی الحذف قواعده ویجزون بالخلف مواعده فانه بالانصراف والرحل
عن ذلک البلد المحیل یتمکن من عوامل التمکین مکانه ویتاسس علی اسس
التحصن ارکانه وتذل للواطئه عزته وتعز الاذلة بزته وتفتخر
معاطف سیادته بمطارف التعظیم والتبجیل ویطوف بکعبة مجادته
حجاج افادته وعمار وفادته باجادة التکریم جیلا بعد جیل فلا تتصرف
فی الاسماء الا افعاله اینما کان ولا ینادی بالترفیع الا علمه المفرد فی کل

مكان ولا تنتج الا مقدمات علومه ومفهومه ولا تنتج الا فضايل منطوقه ومفهومه فيتعوض بعث الظهور بذل الخمول ويتأكد عطف الوجوه الى قبلة بيته المامول ويدل لما اشرنا اليه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة اعز الله امره وابرز عزته واكرم دينه فقد روى ايمة الحديث والسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة شرفها الله تعالى وهي احب البقاع اليه وهاجر الى طيبة فكان من امره ما ظهر للعيان وبهر الاعيان وقصرت دونه البيان ثم عاد اليها عليه الصلاة والسلام وفتحها الله عليه وهو في عشرة الاف من اهل الاسلام بعد ما خرج منها هو وابو بكر رضي الله عنه منفردين من الاسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فاينما وجدت الخير فاقم واتق الله وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل للمومن ان يذل نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق وقيل

وان صريح الحزم والراي لامرئ اذا بلغته الشمس ان يتحولا

وقال الطغرائي

رضى الذليل بخفض العيش مسكنة والعز عند رسيم الاينق الذلل

وقال بعض الاعراب

سأعمل نص العيس حتى يكفني عن المال يوما او عن الحدثان
فالموت خير من حياة يرى بها على المرء بالاقلال وسم هوان

وقال المتلمس

ان الهوان حمار الذل يألفه والحر ينكره والفيل والاسد
ولا يقيم بدار الذل يالفها الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له احد

وقال ابو الطيب

واطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود وقال ايضا

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش اخف منه الحمام

وقال عش عزيزا او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

9

وقال التهامي

واذا الفتى الف الهوان فبينه ما الفرق بين الكلب والانسان
موت الذليل كعيشه وبد الفتى شلاء او مقطوعة سيان
ولاجل حاولت ان القى الزمان بطبعه لولا الوفاء وشيمة لا تنتقل
في الارض متسع لنفس حرة ان تنبُ منزلة وعاها منزل

ومنها ان الابدان تنتعش بالسفر وتظفر فيه بالصحة غاية الظفر فلا تخشى تخليط اخلاطها ولا فساد مزاجها ولا تفتقر مشعشعة كيموسها وقد صفت في نفوسها لمداوات صرفها بمزاجها عدل الاجسام اختلاف الاهوية وفاز كل خلط بما عشقه من ذلك وهويه فهي تتقلب في نعمى بلا بوس وتتسربل من ملاحف الاستمرار باسنى لبوس ولاشتماله على هذا الحظ الوافر من الصحة حض عليه النبي عليه الصلاة والسلام فقال سافروا تصحوا كما رواه عنه مرفوعا جماعة من شيوخ الاسلام ومنها انه يحصل له من المعارف والعلوم في غربته ما يعجز عن تحصيل عشره بين عشيرته في تربته ولذلك كان السلف رضي الله عنهم يشترطون في العلم الرحلة الى حصن التحصيل الحصين ويتمسكون في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو في الصين ومنها انه اذا قضي له في سفره بالوفاة وقضى نحبه في غربته وفات فانه يحكم له بالشهاده بما صححه ايمة الحديث من شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحبذا الشهاده فقد روى ابن ماجه والدارقطني في سننهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه موت الغريب شهاده وذكره الدارقطني من حديث ابن عمر وصححه ومنها انه يقاس له من مولده الى منقطع اثره في الجنة فيكون ذلك وقاية له من النار وجنة فقد روى النسائي وابن ماجه في سننهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مات رجل بالمدينة فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده قيس له من مولده الى منقطع اثره في الجنه ومنها انه يكتب له ما يفوته بسبب السفر من صالح الاعمال ويفوز من اجورها وان لم يعملها بغاية الامال ففي صحيح البخاري عن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا مرض العبد او سافر كتب له من الاجر ما كان يعمل صحيحا مقيما ومنها
ان دعوته مستجابه وكربته دائما منجابه فقد روى ايمة الصحيح عن ابي
هريرة يرفعه ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم
ودعوة الوالد ودعوة المسافر وقد جمعت جملة من فوايد الجولان في الارض
والذهاب هذه الابيات المنسوبة عند جماعة من الفقها للقاضي عبد الوهاب

تغرب عن الاوطان في طلب العلا وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم واداب وصحبة ماجد
فان قيل في الاسفار هم وغربة وقطع الفيافي وارتكاب الشدايد
فموت الفتى خير له من حياته بدار هوان بين واش وحاسد

ونبها صاحب الدرر الفرائد المنظم للشافعي رضي الله عنه وايد كل فائدة
بما راها مماثله من الاحاديث والحكم او قريبة منه ونحن نشير لذلك غير
مقتصرين على ما هنالك فنقول اما الفائدة الاولى وهي انفراج الهموم
وانكشاف الغموم فلا يخفى ان الله تعالى اجرى العادة في العباد ما بين
حاضر وباد بان الملازم لنوع واحد من الاطعمة او الاشربة او الامكنة
لا يزال يسام من اللزوم ويضجر منه ما امكنه ولا سيما ان همه هم او غمه
غم اهم فانه يشتد لشدته الملل التي جبلت عليه النفوس في سائر الملل فاذا
انفصل عن تلك الحالة وتشاغل بغيرها انصرف الهم عنه وانبعثت
روحانيته لما يروم من نفعها وخيرها قال يحيى بن عدي ان الطبيعة
تمل الشي الواحد اذا دام عليها ولذلك تختلف الوان الاطعمة والتزوج
باربع نسوة ورسم التنزه والتحول من مكان الى مكان والاستكثار من
الاخوان والجمع بين الجد والهزل واما الفائدة الثانية وهي اكتساب
المعيشة التي لم تزل النفوس لا غنى الا عنها الميها ثانية فلا يخفى ان
السفر من اجل اسبابها واصح ما يتمسك به من اسبابها فقد ورد عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال سافروا تصحوا وتغنموا وفي حديث اخر سافروا تصحوا
واغزوا تستغنوا وفي التوراة ابن ادم خلقتك من الحركة فتحرك وانا
معك وفي التوراة مكتوب ايضا احدث سفرا احدث لك رزقا وروي
ان الله تعالى لما خلق الارزاق امر الرياح فشتتها في الاقطار فمن الناس

من

من جعل رزقه في مكان واحد ومنهم من جعل رزقه في عشرة مواضع ومنهم
من جعله له في مائة ومنهم من جعله له في الف واكثر فكل واحد يطلبه رزقه
حيث كان حتى يستوفيه طوعا او كرها ومن الكلام النافع صعود
الاكام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان قال الشاعر

دع الهوينا وانتصب واكتسب   واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة في معزل   فالطبع موجود مع الراحه

وقال رجل لمعروف الكرخي يا ابا محفوظ اتحرك لطلب الرزق ام اجلس
قال لا بل تحرك فانه اصلح لك فقال اتقول هذا قال ما انا قلته ولكن
الله عز وجل امر به قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا
جنيا ولو شاء ان ينزله اليها من غير هز انزله وقال النابغة

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه   شكى الفقر او لام الصديق فاكثرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى   تعش ذا يسار او تموت فتعذرا

وقال ابن عبد ربه هل يجوز في عقل او يتميز في وهم او يصح في قياس
ان يحصد زرع بغير بذر او يجنى ثمر بغير غرس او يورى زند بغير قدح
او ينمو مال بغير طلب وقالت العرب من اجدب انتجع وقالوا الحركات
بركات وقيل لاعرابي اين منزلك قال بحيث ينزل الغيث وقال البحتري

واذا الزمان كساك حلة معدم   فالبس له حلل النوى وتغرب

واما الفائدة الثالثة وهي تحصيل العلوم فانها من الثمرة المعلوم
وقد كان السلف رضي الله عنهم يرحلون في طلب الفائدة الواحدة ويقصدون
ابعد الافاق للاخذ عمن يرونه فريد الزمان وواحده ورحل جابر بن
عبد الله مسافة بعيدة في طلب حديث واحد وفي قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
العلم ولو بالصين حجة لكل منصف وجاحد واما الفائدة الرابعة
وهي اكتساب الادب فانه في السفر يتيسر لطالبه من كل جانب لان الانسان
يتادب باداب من يلقاه من الافاضل ويكتسب من اداب العلما والباب
العقلاء الذين لا ياوون قطرة كل شنشنة فضيلة وكل خلق فاضل ويتحلى
بفرائد فوائدهم ويعود عليه من صلاتهم وعوائدهم فتحمل لذلك اخلاقه
ويكمل حظه من التاديب والتهذيب وخلائقه واما الفائدة الخامسة

وهي صحبة الماجد فهي مما لا يكاد يجمع في القطر الواحد واحد فاذا
ضرب الانسان في اغوار الارض و نجودها كان السفر سببا في انتاج هذه
الفائدة ووجودها فيكتسب بذلك من المجد غايته وينصب لرفع الذكر
وخفض الشكر رايته هذا وكم في السفر من فوائد غير ما ذكر ومنافع وعجائب
لا يكاد يجحدها منكر اذ لا يطلع على منافع الارض الا من جال الطول
وجاب العرض واعظم فوائده واكرم عوائده ما يتحققه الانسان
من سعة قدرة الله الحاملة له على شكر مولاه فقد قالت الحكما ان الله تعالى
لم يجمع منافع الدنيا في ارض بل فرقها واحوج بعضها الى بعض وقيل
المسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب وقيل الاسفار
مما تزيد علما بقدرة الله تعالى وحكمته وتدعو الى شكر نعمته وقال الثعلبي
من فضائل السفر ان صاحبه يرى من عجائب الاقطار وبدائع الامصار
ومحاسن الاثار ما يزيده علما بقدرة الله تعالى ويدعو شكرا الى نعمه وقال
المامون لا شي الذ من السفر لانك تجد في كل يوم محلة لم تحلها وتعاشر قوما
لم تعاشرهم وقال عنترة السفر يشد الابدان وينشط الكسلان ويشهي
الطعام ففي هذه الحكم دون ما مر من الفوائد ما يعود من موصولها على
متاملها صلات وعوائد واعرضنا عن تتبع ذلك وبسطه لانه لطوله
يستدعي التاليف بل قد لا تفي التاليف باستيفاء حظه وقسطه ولنختم هذه
المقدمة بنبذة من الاشعار الواردة عمن له بالسفر اشعار المنبئة عن
فوائده المبينة لعوائده فمن ذلك قول ابي الغنائم محمد بن المعلم

سرطا لباغ غاياتها اما ترى   فوق الثريا وترى تحت الثرى
لا تخلدن الى المقام فانما   سير الهلال قضى له ان يقمرا
لا تبك دارا فالفتى من اذ عا   دمعا عصاه وان دعاه دما جرى
اين الكناس من العرين واين عزلان الفلا في المجد من اسد الشرى
لا يمنع الوطن العلا ما سار عن   غمدانه سيف حمير مستنصرا
ولو استتم بمكة المجد ما رام   لم ينصب بيثرب منبرا
والليث لو وجد الفريسة رابضا   او ناهضا في خيسه ما اصحرا
لا عار في بيع النفوس على الردى   عندي اذا كان العلاء المشترا

همم

حتى م حظى فى الوهاد وحظ اصحاب الدناءة فى الشواهق والذرا
ما الجبن يحمينى الحمام ولا ارى الاقدام يجلب لى سوى ما قدرا
لابد منها وثبة تسمى الظبا فيها ويكسو الجو فيها عثيرا
اشكو الى الايام ما القى لها وجها الى تلاوينها مستبشرا
ما عذر من لم يبق وجها ابيضا منهن ان لم يلق موتا احمرا
وقال ابو تمام
وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فانى رايت الشمس زيدت محبة من الناس ان ليست عليهم بسرمد
وقال ابن قلاقس
سافر اذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى طيبا ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا
وقال ايضا ان مقام المرء فى بيته مثل مقام الميت فى لحده
فواصل الرحلة نحو الغنى فالسيف لا يقطع فى غمده
والنار لا يحرق مشبوبها الا اذا ما طار عن زنده
وقال ايضا والصغير الحقير يسمو بالسير فيضحو له الكبير الجليل
فرزين البيدق التنقل حتى انحط عنه فى قيمة الدستفيل
ومثله قول ابى الفضل التميمى
دعنى اسير فى الارض ملتمسا فضلة مال ان لم يفد زانا
فبيدق الرخ وهو ايسر ما فى الدست ان سار صار فرزانا
وقال اخر ليس ارتحالك ترتاد العلا سفرا بل المقام على خسف هو السفر
وقال ابو الفرج
لم تجبك العلا الى الغايات ما غناء الاسود فى الغابات
لا يرد الردى لزوم بيوت لا ولا يقتضيه جوب فلات
مولد الدرة الفريدة فى الغمر وتزهو فى الحلى ...

وقيل ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك وعقد ابن الساعاتى فقال
اهلك والليل مطيا جملك ثم فخير البلاد ما حملك

لا خير في بقعة لا وقعت الارض اذا لم تنل بها املاك

وقال ابو الطيب وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وقال ايضا وما بلد الانسان غير الموافق ولا اهله الادنون غير الاصادق

وقال ابو محمد الحريري

لا تبك الفا نأى ولا دارا ودر مع الدهر كيفما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره ودارهِ فاللبيب من دارا
ولا تضع فرصة السرور فما تدري ايومك تعيش ام دارا
واعلم بان المنون جايلة وقد دارت على الورى دارا
واقسمت لا تزال قانصة ما كرّ عصر الحيا وما دارا
فكيف ترجى النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا

وقال ابن شرف

وصير الارض دارا والورى رجلا حتى ترى مقبلا في الناس مقبولا

وهو ماخوذ من قول بهاء الدين

شرق وغرب تجد من غادر بدلا فالارض من تربة والناس من رجل

وقال ابو الطيب

اذا صديق نكرت جانبه لم تعينني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من اختها بدل

وقال ابو العرب الصقلي

اذا كان اصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين اقارب

وقال اخر تنقل فلذات الهوى في التنقل ورد كل صفو لا تقف عند منهل
وان سار من تهوى فسر عن جنابه ولا تسكبن دمعا على مترحل
ولا تتبع قول امرئ القيس انه ضليل ومن ذا يهتدي بمضلل
ففي الارض احباب وفيها منازل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقال ابن الساعاتي

وكن غايبا عن كل ارض باختها وان حل مغناها كواعب عين
فلولا فراق الدر اصداف بحره لا نكره تاج ولا صد جبين

وقال

وقال ابن قلاقس

ان كنت تبغي وطنا من العلا فاغترب ... فالتبر في غاباتها معدودة في العضب
والشمس لا ترتقب في المشرق لو لم تغرب

وقال اخر

والتبر كالترب ملقى في مواطنه ... والعود في ارضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه ... وان تغرب هذا سار في الذهب

وهو ماخوذ من قول الاول

اضيع في معشري وكم بلد ... يعد عود الكباء من حطبه

وقال حماد بن هبة الله

قالوا اراك كثير السير مجتهدا ... في الارض تنزل طورا وترتحل
فقلت لو لم يكن في السير فائدة ... ما كانت السبع في الابراج تنتقل

وقال ابو تمام

لا يمنعنك خفض العيش تطلبه ... نزوع نفس الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها ... اهلا باهل واوطانا باوطان

وقال الطغرائي

ان العلا حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدث ان العز في النقل
لو كان في شرف الماوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وقلت في ذلك سالكا بعض ما سلكوه من المسالك

سافر الى نيل العزة ان في السفر الظفر ... وانفر لنيل المجد فمن للمعالي قد نفر
واعلم بان المكث في الاوطان يدعو للضجر ... ويورث الاخلاط والاجسام انواع الضرر
او ما رايت الماء الطول المكث يعروه الكدر ... والبدر لو لزم الاقامة في محل ما بدر
والدر لو ابقوه في قعر البحار لما افتخر ... والتبر ترب في المعادن وهو فخر مدخر
والعود معدود لدى الغابات من جنس الشجر ... والعاز المغمود لو لم يخرجوه لما بتر
هذا وكم مثل سرى في الناس من هذي العبر ... ابدى البدائع منه من نظم القريض ومن نثر
عن وجهها في غالب الاسفار اسفر من سفر ... فاذا ابتغى الرجال في الاحوال اجمع تبتسر
واعلم بان البعد عن وطن به تم الوطر ... واغرب بشرق واشرق في الغرب ان تك ذا نظر
واجعل جميع الناس لا زيد ولا الثرى طرا وزر ... لا تختبرن بدوا ولا حضرا وكن مع ما حضر
فالبدو عز واللطافة والظرافة في الحضر ... فاذا ابدو تفكر عز بادخ فيك استقر

واذا حضرت فكل ظرف ظرفه لك مستقر لا فيك الفا لا ولا دارا ولا وسما دثر
فالناس الفك كلهم والارض اجمعها مقر فمتى وجدت العز والعيش الهني اقم ثم
واذا رايت الضد والصد الخفي فدع وذر واجعل بضاعتك التقي مع من اسر ومن جهر
فاذا اتقيت الله فزت بكل كنز مدخر

تنبيهات الاول مامر من الفوائد المشار اليها لا يخفى انها في مطلق السفر والارتحال فما بالك بالسفر لبيت الله ورسوله الكفيل بالفوز الاخروي والدنيوي على كل حال الثاني قول القاضي عياض

تقعد عن الاسفار ان كنت طالبا نجاة ففي الاسفار سبع عوايق
تشوق اخوان و فقد احبة واعظمها يا صاح سكنى الفنادق
وكثرة ايحاش وقلة مونس وتبديد اموال وخيفة سارق
فان قيل في الاسفار كسب معيشة وعلم واداب وصحبة وافق
فقل كان ذا دهرا تقادم عصره واعقبه دهر شديد المضايق
فهذا مقالي والسلام كما بدا وجرب ففي التجريب علم الحقايق

مردود بما اشرنا اليه فلا ينبغي ان يعول عليه الثالث قسم العلماء السفر الى هرب وطلب وكل منهما تعرض له الاحكام الخمسة فاما الهرب فينقسم الى واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح فاما الواجب فالخروج من ارض غلب فيها الحرام وقد تقرر ان طلب الحلال فريضة على كل مسلم واما المستحب فالخروج من ارض غلبت فيها البدع ولم يقدر على انكارها قال تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما الحرام فالخروج من ارض تعين عليه فيها وظيفة كمن يتعين عليه القضا او الفتوى في بلد واما المكروه فالخروج من ارض وقع بها الطاعون فرارا منه لما ورد في الحديث الصحيح كما في البخاري وغيره من النهي عن ذلك واما المباح فخروج المريض من الارض الوخمة الى النزهة لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن للرعاة حين استوخموا المدينة ان يخرجوا منها كما في البخاري وغيره واما الطلب فينقسم ايضا الى واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح فالواجب سفر الجهاد والحج وتحصيل القوت لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب والمستحب السفر

لطلب

13

لطلب العلم والزيارة والعشيرة والرباط والحرام سفر المعاصي والمكروه
السفر للاستكثار من المال من غير حاجة والمباح سفر التنزه والتجارة وكسب
الزايد على القوت الذي لا ينتهي به الحد الطغيان في الغنى واما سفر
السياحة لا لغرض ولا الى مكان مقصود فمنهي عنه وفي الحديث لا رهبانية
في الاسلام ولا تبتل **المقدمة الرابعة** فيما ينبغي للمسافر ارتكابه
اذا اجمعت على النص ركابه ينبغي لمن اراد السفر ورامه ولا سيما الى شعاب
شعب ورامه ان يستشير جارها في رايه عاقلا في تدبيره باذلا نصحه
لمن استنصحه من قريبه وبعيده وقبيله ودبيره موثوقا بدينه وعلمه
وصلاحه مجربا وما يرفع همته وخفض جناحه ونصب فلاحه ولما اشتملت
عليه المشورة من الخيرات المشهورة والبركات المنثورة امر الله سبحانه رسوله
ان يشاور اصحابه مع ان جميع العقول بالنسبة لعقله عليه السلام نقطة من
سحابه قال تعالى وشاورهم في الامر وقال في معرض المدح والثنا وامرهم
شورى بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم الا هداهم الله
لارشد امورهم وقال صلى الله عليه وسلم المستشار موتمن وقال الحسن ان الله
لم يامر نبيه عليه السلام بمشاورة اصحابه حاجة منه الى رايهم ولكن اراد
ان يعرفهم ما في المشورة من البركة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزل
به امر فشاور من هو دونه تواضعا عزم له على الرشد وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه شاور في امرك من يخاف الله عز وجل وكان يستشير في الامر
حتى ان كان ربما يستشير المراة فابصر في رايها فضلا وقال سليمان بن
داود عليه السلام لابنه يا بني لا تقطع امرا حتى تشاور مرشدا فانك اذا
فعلت ذلك لم تندم وقالت الحكما اذا كنت مستشيرا فتوخ ذا الراي
والنصيحة فانه لا يكتفى براي من لا ينصح ولا بنصيحة من لا راي له وقال
شاور سواك اذا نابتك نائبة يوما وان كنت من اهل المشورات
فالعين تبصر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها الا بمرآت
وقال اذا عن امر فاستشر فيه صاحبا وان كنت ذا راي تشير على الصحب
فاني رايت العين تجهل نفسها وتبصر ما قد حل في موضع الشهب
وانشد ابو عمر بن عبد البر في بهجة المجالس لبعض الاعراب

خليلي ليس الراي في صدر واحد   اشيرا علي اليوم ما تريان

وانشد ابن عبد القدوس

وان باب امر عليك التوى   فشاور لبيبا ولا تعصه
وان ناصح منك يوما دنا   فلا تنأ عنه ولا تقصه

فاذا اشير عليه بالسفر وظهر له وجه مصلحته وسفر بادر مقبلا على الاستخارة ليلهمه الله ما اختار له مولاه نفعه وخاره وصفتها كما في البخاري وغيره ان يصلي ركعتين من غير الفريضة واستحب العلماء ان يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية بعد الفاتحة قل هو الله احد والفيت بخط شيخنا الوالد رحمه الله واستحسن بعض العلما ايضا ان يقرا في الركعة الاولى بعد الكافرون وربك يخلق ما يشا ويختار الى يشركون وفي الثانية بعد الاخلاص وما كان لمومن ولا مومنة الى مبينا ثم يسلم ويثني على الله تعالى بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ورضني به فاذا وصل الى هنا اعاده مرة اخرى على وجه اخر بان يقول بعد قوله وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني وعاجل امري واجله الى اخره ثم يعيد مرة ثالثة ويقول فيها اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في عاجل امري واجله الى اخره فاذا فعل ذلك فانه يوافق لفظ النبي صلى الله عليه وسلم جزما ويخرج من الشك الوارد في الرواية كما افاده جماعة من ايمة التحقيق والتدقيق في الدراية وبه كان يفتي شيخنا الامام العلامة المحقق الهمام ابو عبد الله محمد بن احمد بن المسناوي البكري الدلائي رحمه الله والفيته بخطه مرارا ومنه نقلت وكذلك الفيته بخط والدنا رحمه الله وزادان في بعض الروايات اللهم ان كنت تعلم هذا الامر خيرا باسقاط أن ونصب خيرا على انه مفعول ثان لتعلم ورواية صاحب الدرر الفرائد المنظمة اللهم ان كنت

تعلم في هذا الامر وتسميه خيرا لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة امري
وفي الامور كلها فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا
الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وفي الامور كلها فاصرفه عني
واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ورضني بقضائك ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم اللهم خر لي واختر لي مع عافيتك ورحمتك اللهم
ما قضيت لي من قضاء فاجعل عاقبته الى خير قلت فيها زيادات حسنة
وهي مع غرابتها في الدواوين الحديثية لا باس بها اذ مثل هذا المقام
ينبغي فيه الاطناب والاكثار والالحاح في السوال والطلب كما لا يخفى والله
اعلم فاذا فعل ذلك وانشرح صدره لسلوك تلك المسالك وقوي عزمه
واشتد على السفر جزمه فليجتهد في امور منها ان يسعى ما امكنه في تحصيل
مال حلال يصرفه في تلك السفرة العظيمة لان الحلال سبب القبول واجابة
الدعا وغير ذلك من الخيرات ولذلك كان طلبه فريضة كما مر ايماء اليه
بخلاف الحرام فانه سبب المقت وعدم القبول حتى قال ابن حنبل ان من حج
بمال حرام فان حجه باطل قال الامام النووي رحمه الله في مناسكه ان حج
بمال مغصوب او فيه شبهة صح حجه في ظاهر الحكم ولكن ليس حجا مبرورا
ويبعد قبوله هذا مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة وجماهير العلماء من
السلف والخلف وقال احمد بن حنبل لا يجزيه بمال حرام قلت يؤيده ما اخرجه
الطبراني وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا اذا خرج الرجل حاجا
بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد
من السماء لبيك وسعديك زادك حلال ونفقتك حلال وراحلتك حلال
وحجك مبرور غير مأزور واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله
في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك
زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور وقال الشاعر

يحجون بالمال الذي يجمعونه ✱ حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم ان وزره يحط ✱ ولكن سعيهم في جهنم

وقال الآخر

اذا حججت بمال اصله سحت ✱ فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله الا كل طيبة ✱ ما كل من حج بيت الله مبرور

ومنها أن يخلص التوبة لله تعالى ظاهرا وباطنا من كل ذنب وقع فيه ولو مرة قولا كان أو فعلا ومنها أن يوصي بما يحتاج إلى الإيصاء من أولاد وأموال وغير ذلك ويشهد على وصيته ويستحل كل من كان بينه وبينه معاملة في شيء أو مصاحبة ويبادر إلى أداء ما في ذمته من حقوق العباد واسترضاء أربابها ويسرع لرد المظالم والمغصوبات وغيرها ويعجل أداء ما ترتب عليه من حقوق الله تعالى من الزكاة والصوم وغير ذلك ويعزم بقضائها وبراءة ذمته منها وهذا وإن كان مطلوبا بكل وقت لكن عند إرادة النسك يتأكد الطلب به ومنها أن يتعلم مناسك الحج والعمرة ليكون على بصيرة فيما يفعله وإذا استصحب كتابا مشتملا على المحتاج إليه في المناسك كان أفضل وأولى وكثير من الناس بل غالبهم في زماننا هذا يقلدون بعض عوام مكة الذين لا خبرة لهم بمناسك الحج بل ينقادون لصغار الولدان ويتوهمون أنهم يعرفونهم المناسك فيغترون بهم مع تخليط المذاهب وعدم المعرفة وذلك من الخطأ الشنيع الذي يجب التحرز منه والتنزه عنه ومنها أن يعد النفقة لمن تلزمه نفقته من الزوجات والأولاد والخدم والوالدين وغيرهم ويسترضي جميعهم بما أمكن ولا سيما والديه فإن حقهما أوكد لديه ويطلب منهم الدعاء الصالح ومنها اختيار الرفيق المساعد المنزل منه منزلة العضد والساعد ليوافقه في مرافقته ويرافقه في موافقته ويساعفه على ما يقصده من الأمور الدينية والدنيوية ويذكره إذا نسي ويعينه إذا ذكر ويحلم إذا غضب ويقبل إذا أدبر جامعا من خصال الكمال والتمام ما قال أبو تمام

من لي بإنسان إذا أغضبته ... وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا صبوت إلى المدام شربت من ... أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه ... وبقلبه ولعله أدرى به

ومنها أن يستكثر الزاد من غير إسراف ويؤثر المحتاجين منه ولا يخرج إلى المفاخرة بالرفاهية وقصدا للتنعم والاستطالة على من هو دونه ولا يجحف بنفسه إجحافا فينتسب به إلى ما لا يليق به بل يرتكب الأوسط فإن خير الأمور أوسطها دون إفراط ولا تفريط كما وردت السنة بذلك

ومنها

ومنها ان يطلع الجمال على ما اراد حمله من الزاد قليلا او كثيرا ولا يخفي
منه شيئا ومنها ان يحسن اخلاقه ما استطاع ويلين جانبه ويخفض
جناحه لجميع الخلق ولا سيما الضعفا والمساكين فان في لين الجانب لهم
جبر الخواطرهم ويتاكد حسن الخلق مع الجمالة فانهم اصعب شي واشد شراسة
وسوء خلق فيلين لهم ويعرض عن كلامهم ما امكنه ولا يقابلهم بشي والا
جلب الضرر لنفسه وخصوصا جمالة الحجاز فانهم لا يعبر عن شراستهم
بحقيقة ولا مجاز فليحذر الانسان منهم ما امكنه ويجمل اخلاقه معهم
في سائر الاماكن قيل انه لا يداوم على ذلك بل يغلظ عليهم احيانا او يهددهم
بالضرب وغلظة الكلام دفعا لا متدادا اذيتهم وتمردهم اذا تحققوا
اللين من احد طلعوا عليه وقاسوه المشاق وقد حكى ابن حمدون في
تذكرته عن الاعمش انه حج فاحرم فلاحاه الجمال في شي من فرع عكازه فشجه
بها فقيل له لم ذلك وانت محرم فقال من تمام الاحرام شج الجمال وحمل
ابن حزم قوله على الفسقة منهم وقال ابن مفلح في كتابه الفروع وليس
من تمام الحج ضرب الجمال خلافا للاعمش ومنها ان يتواضع لله تعالى
في هيئته وملبسه ولا يخرج الطور في ذلك بل يجمل نفسه وهيئته وملبسه
تجميلا لا يخل بامثاله دون افراط ولا تفريط واما المركب فليتانق فيه
جهده وليتجنب في اختياره زهده لان في رذالة الدابة تعب النفوس
والابدان ولا سيما مع طول السفر والتنقل في البلدان ولكن يتوسط
في كسوتها وحوايجها ولا يخرج بها عن طور امثاله ومنها ان يتجنب
الغيبة والنميمة واللعن لمخلوق اياكان حيوانا او غيره ويترك الشتم
والمخاصمة ومزاحمة الناس في الطرق وموارد المياه وغير ذلك من كل
ما فيه اذاية له او لغيره ولا يصحب كلبا ولا دابة في عنقها جرس لان
ذلك ينفي الملائكة عنه فان فعله غيره ازاله ان قدر وان لم يقدر قال
اللهم اني ابرا اليك مما فعل هولا فلا تحرمني ثمرة صحبة ملائكتك وبركتهم
ومنها انه اذا عزم على الخروج فليخرج يوم الخميس كما استحبه بعض
العلما ولا باس بالخروج في غيره وليصل ركعتين فني اهل حديث المنظم
ابن المقدام الصحابي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلف

احد عند اهله افضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا رواه الطبراني
وغيره قال الامام النووي قال بعض اصحابنا يستحب ان يقرا في الاولى
منهما بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد وقال
بعضهم يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل اعوذ برب الفلق وفي الثانية
قل اعوذ برب الناس واذا سلم قرا اية الكرسي قبل خروجه من منزله لم يصبه
شي يكرهه حتى يرجع ويستحب ان يقرا لايلاف قريش فقد قال الامام
ابو الحسن القزويني الفقيه الشافعي صاحب الكرامات الظاهرة انها
امان من كل سو قال ابو الطاهر اردت سفرا وكنت خائفا منه فدخلت الى
القزويني اساله الدعا فقال ابتداء من نفسه قبل ان اساله من اراد سفرا
ففزع من عدو او وحش فليقرا لايلاف قريش فانها امان من كل سو
فقراتها فلم يعرض لي عارض حتى الان **ومنها** انه اذا فرغ من الصلاة
وقراة ما ذكر ان يدعو باخلاص ورقة وخشوع ومن احسن ما يقول
اللهم بك استعين وعليك اتوكل اللهم ذلل لي صعوبة امري وسهل علي مشقة
سفري وارزقني من الخير اكثر مما اطلب واصرف عني كل شر رب اشرح لي
صدري ونور قلبي ويسر لي امري اللهم اني استحفظك واستودعك نفسي
وديني واهلي واقاربي وكل ما انعمت علي وعليهم به من اخرة ودنيا فاحفظنا
اجمعين يا كريم ويفتتح ذلك ويختمه بحمد الله تعالى والصلاة والسلام
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا نهض من جلوسه فليقل ما روي عن انس
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد سفرا الا قال حين ينهض
من جلوسه اللهم اليك توجهت وبك اعتصمت اللهم اكفني ما اهمني وما لا اهتم
له اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير فيما توجهت
ومنها انه اذا فرغ من الدعا فليودع اهله واقاربه واصحابه وجيرانه
ويسالهم الدعا ويدعو هو لهم ففي مسند الامام احمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اذا استودع شيا حفظه وعن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يسافر فليقل لمن
يخلفه استودعكم الله الذي لا تضيع ودايعه قال الامام النووي رحمه الله
والسنة ان يقول له من يودعه ما رويناه في سنن ابي داود عن قزعة قال

قال

قال لي ابن عمر رضي الله عنهما اودعك كما ودعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك قال الامام الخطابي الامانة
هنا اهله ومن يخلفه وماله قال وذكر الدين هنا لان السفر مظنة المشقة فربما
كان سببا لاهمال بعض الدين وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه قال
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اريد ان اسافر فزودني
فقال زودك الله البر والتقوى قال زدني قال وغفر ذنبك قال زدني
قال ويسر لك الخير حيث كنت وفي بعض المناسك ووجهك له وكفاك
المهم وجعلك في حفظه وكنفه وقال الصلاح الصفدي

ولما ان حججت جعلت اهلي   وديعة رب زمزم والحطيم
فيا امني عليهم في رواحي   ويا فرحي بهم عند القدوم

وقال ايضا

سررت بقصدي حين سرت لطيبة   وما كل قصد في الورى راح ضايعا
وودعت اولادي واودعت ضعفهم   لعجزهم من لا يضيع الودايعا
وفارقت اوطاني واوطار لذتي   وصيرتها اذ سرت عنها بلاقعا
اما قد وكلت الامر فيهم الى الذي   غدا لطفه في سائر الناس ذائعا
فما قلقي من اجلهم راح مجديا   ولا شغل قلبي بعد ذلك نافعا

ومنها انه اذا ودع اهله فليخرج مقدما رجله اليمنى ثم يقول بسم الله
وبالله امنت بالله واعتصمت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم اللهم اني اسألك خير هذا الخروج وخير ما فيه واعوذ بك
من شره وشر ما فيه خرجت بحول الله وقوته وبرئت اليه من الحول والقوة اللهم
اكفني ما اهمني وما انت اعلم به مني اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي
ووجهني للخير حيثما كنت اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل
اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل
والمال والولد اللهم اطو لنا البعيد وهون علينا السفر فاذا قدم رجله
للركوب قال بسم الله فاذا استوى راكبا قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا الى
قوله لمنقلبون ثم يقول الحمد لله ثلاث مرات الله اكبر ثلاث مرات ثم يقول
سبحانك لا اله الا انت اني كنت من الظالمين فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب.

الا انت فاذا انزل منزلا فليتحر عدم النزول فى الطريق ويشتغل بالتسبيح
حال حط الرحال فاذا استقر على الارض قال اعوذ بكلمات الله التامات
من شر ما خلق فانه لا يضره شىء حتى يرتحل فان نزل نهارا فلا باس ان ينام
نومة تعينه على دفع الوسن وتقويه على السير ليلا وان نزل ليلا قال
يا ارض ربى وربك الله اعوذ بك من شرك وشر ما فيك وشر ما يدب عليك
اعوذ بالله من اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما
ولد فاذا اصبح قال اصبحنا واصبح الملك لله الحمد لله الذى لا اله الا هو
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير رب اسالك
خير ما فى هذا اليوم وخير ما بعده واعوذ بك من شره وشر ما بعده فاذا
امسى قال امسينا وامسى الملك لله الى اخره اعوذ بالله من شر هذه الليلة الى اخره
فاذا ارتحل قال الحمد لله الذى عافانا من منقلبنا ومثوانا اللهم كما حملتنا
من منزلنا فبلغنا غيره فى عافية لا اله الا الله الحليم العظيم لا اله الا الله رب
العرش العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وآداب السفر كثيرة واذكاره
غزيرة وليكن هذا القدر فى هذا المختصر كفاية **خاتمة** وفيها
امور اولها قال بعض حذاق الاطبا يجب على من اراد السفر بعيدا وطويلا
ان ينقى بدنه من الفضول بالفصد والمسهل خشية تولدها فى بدنه والا
غلبت على مزاجه وافسدته فمتى سافر وبدنه غير نقى لم يكد يسلم من الخراجات
والبثور والحميات المتطاولة وانواع الاورام والنوازل ثم يدرج
نفسه الى المياه التى تنتقل عليه بان يحمل من ماء بلده ويمزجه بالماء الذى
يرد عليه ويحمل من ماء ذلك المنزل الثانى ويخلطه بماء المنزل الثالث يفعل
ذلك الى ان يبلغ الموضع الذى يقصده فان تعذر هذا التدبير وكرهه
فليجتهد ان لا يشرب ما يشربه الا بمزاج شراب ان كان مرطوبا او بسكنجبين
ساذج ان كان محرورا وان تعذر فبخل وقد ينفع المرطوب البصل المكبوس
فى الخل والمقطع فيه والمغسول به ومن ساعته ياكله وينفع من ذلك ايضا
ان يتزود من طين بلده الحر الجيد من موضع الماء الذى الف شربه فيلقى
منه قطعة فى اى ماء يرد عليه ويتركه حتى يسكن ويصفو ثم يشربه فان كان
الماء الذى يرد عليه كدرا صفاه وان كان مالحا مزجه بسكنجبين ساذج

اوش

او شيء من خل او يلقى فيه حزوبا او حب الاس او زعرورا او طينا حرا والسكنجبين
افضل من ذلك كله وان كان ما كدرا او كانت فيه عفونة فليمزج برب الفواكه
المزة الحامضة كرب الحصرم والرمان والتفاح والسفرجل ويهجر الاغذية
الحارة ما دام الشرب منه فان هذا النوع من الماء اسرع شيء في تولد الحصاة
وان كان فيه مرارة فينبغي ان يمزج بجلاب او ماء السكر ويوكل عليه الاشيا
الحلوة ومما يدفع ضرره ان يتجرع قبل شربه ماء الحصرم وكذلك الحصف
نفسه نافع من ذلك ومن سافر في حر شديد فلا يمتلي من الطعام والشراب
ولا ينبغي خلوه منهما لما يودي اليه من الفزاع ولكن يمتنك فيها ويستعمل
الاغذية الباردة المسكنة للعطش كماء الحصرم والخل والزيت وشراب
التمر هندي والسكنجبين وحليب البقلة الحمقا ويشرب شربة خفيفة
من السكر والسويق وليحذر اكل الاشيا المالحة والحلوة والحريفة وانواع
السمك والزيتون فانها معطشة وينفعه البصل المنقوع بالخل والرفق
في السير وتقليل الاكل ومن سافر في برد شديد وثلج فقد يعرض له الجمود
والجوع والاسترخاء ونحوها فينبغي ان يمتلي من الطعام ويمسك
عن الحركة بقدر ما يسخن الطعام في باطنه ويحصن نفسه بما يحتاج اليه
من اللباس المسخن وينبغي لكل مسافر ان يستصحب معه انواع التنقيات
للدماغ والباطن والمعاجين والمربات على اختلافها بحسب الازمنة
والامكنة والادهان الحارة والباردة وانواع التكاحيل والمراهيم وغير
ذلك مما تمس الحاجة اليه لينتفع به وينفع غيره الامر الثاني ينبغي للطالب
الحاج ان يستصحب معه ما يحتاج اليه من متعلقات تتعلق به او بدابته
فيكسو نفسه او لا كسوة امثاله ولا يسرف ولا سيما في الكتان فانه امامه باقل
ثمن واكد ما يعتنى به دائرة جيدة تحول بينه وبين المطر والبرد بعد الكسوة
المالوفة وينظر في دابته فيستصحب ما تحتاج اليه من الصفيحة والمسمار ونطرق
ذلك ويصيبه ويوثق اللجام والحزام والركاب ويكون معه في خرجه الخيط
ويتاكد القنب والوترة ومخيطان او ثلاثة وعشر او ثمان من الابر ونحو
اللقاط والمطرقة وشبه ذلك فاذا كان ممن ينتمي للعلم يستصحب زيادة على
ذلك ما يحتاج اليه من كتب الفروع كمناسك خليل ومختصره وان صاحبه شرحان شرح

فلا باس بذلك ونحو الشفا وكتاب يشتمل على القصايد المدحيه والادعية
الخيرات والاحزاب ويستصحب الات الكتابة من المحبرة والاقلام الكثيرة
ويحفظها في جعاب والمدا دا العنبرة والمقص والموسى ونحو ذلكه قد ذكر الامام
زين الدين عبد القادر الحنبلي في كتابه الدرر الفرايد المنظمة ان عدد
ما اصطلحت عليه كتاب القبط من اسماء الالات الكتابة ينيف على اربعين
وسردها منثورة ونظمها العلامة نور الدين على العسلي رحمه الله فقال

حمدا لمن علمنا بالقلم … وعلم الانسان ما لم يعلم
وخصه بالنطق والكتابه … كيما ينال بهما اربه
وان من اشرف اوضاع البشر … رسم الكتاب فهو وضع يعتبر
فمن هنا تفنن الكتاب … فيما به ينتظم الكتاب
فاوجدوا ادوات هم قديما … لما ذكرنا اربعين فيما
لكن فيها الغث والسمينا … وما نرى اسقاطه يعنينا
كمشغز ومرود ومكحله … والحق ان مثل ذا لا اصل له
فالعزم ان نبدله والنبيه … بما له علاقة قويه
حتى يرى اظرف مما اشتهرا … وهذه عدتها كما ترى
محبرة مركب ملاق … وهو الذي في عرفهم مشاق
مرملة مزودة مجفف … لرملهم وهو بهذا يوصف
ومبرد محدد ومزبر … لقلم ومجرد ومحفر
معرشة ممسحة ومكشره … ومغرز ومقسم ومسطره
ملزمة ومكبس ملف … مصفاة حبر للذي تكفف
ومنقد ومكشط ومديه … وهي برسم ما نروم بريه
كذا مسن مسحد ومقط … وقلم الطومار يسمون محط
وملزق ومخيط مشك … مقطع كتب ليس فيها شك
ومركز لما عليه يوضع … روس الاقلام لئلا تصدع
كذلك المواة والمقص … ثمت محراك عليه نصوا
محفظة ومجمع ومنشار … لقطع اوصال اليراع يختار
كذاك ملقاط لما نشا القلم … مصقلة تكمل النظم وتم

الامر الثالث يجب على امير الحاج زيادة على ما مر ذكره في مطلق النايب
عشرة اشيا ذكرها الماوردي رحمه الله ونقلها النووي في مناسكه مختصرة
فقال واما تسيير الحاج فهو ولاية سياسة ورعاية وتدبير والشروط
المعتبرة في المولى ان يكون مطاعا ذا راي وشجاعة وهداية والذي عليه
في هذه الولاية عشرة اشيا احدها جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى
لا يفترقوا فيخاف عليهم العدو والتغرير الثاني ترتيبهم في المسير والنزول
واعطا كل طائفة منهم محلا معروفا حتى اذا نزل عرف محله حتى لا يتنازعوا
فيه ولا يضلوا عنه الثالث ان يرفق بهم في المسير حتى لا يعجز عنهم ضعيفهم
ولا يضل منقطعهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المضعف امير الرفقة
يريد ان من ضعفت دوابه كان على القوم ان يسيروا بسيره الرابع ان
يسلك بهم اوضح الطرق واحسنها ويجتنب اوعرها واجدبها الخامس ان يرتاد لهم
المياه اذا انقطعت والمراعي اذا قلت السادس ان يحرسهم اذا نزلوا ويحوطهم
اذا رحلوا حتى لا يتخطفهم داعر ولا يطمع فيهم متلصص السابع ان يمنع
عنهم من يصدهم عن المسير ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج بقتال ان قدر
او ببذل مال ان اجاب الحجيج اليه ولا يسعه ان يجبر احدا على بذل الخفارة
ان امتنع منها لان بذل المال على التمكين من الحج لا يجب الثامن ان يصلح
بين المتشاجرين ويتوسط بين المتنازعين ولا يتعرض للحكم بينهم فان دخلوا
بلدا فيه حاكم جاز له وللحاكم البلد ان يحكما بينهما فايهما حكم نفذ حكمه ولو كان
التنازع بين الحجيج واهل البلد لم يحكم بينهم الا حاكم البلد التاسع ان يقوم
زايغهم ويودب خاينهم ولا يجاوز التعزير الى الحد الا ان يوذن له فيه
فيستوفيه اذا كان من اهل الاجتهاد فيه فان دخل بلدا فيه من يتولى اقامة
الحدود على اهله نظر فان كان ما اتاه المحدود قبل دخول البلد فوالي الحجيج
اولى باقامة الحد عليه العاشر ان يراعي اتساع الوقت حتى يامن الفوات ولا
يلجئهم ضيقه الى الحث في المسير فاذا وصل الى الميقات امهلهم للاحرام واقام
بسببه فان كان الوقت متسعا عدل بهم الى مكة ليخرج مع اهلها الى الموقف
وان كان الوقت ضيقا عدل بهم عن مكة الى عرفة خوفا من فواتها فيفوت الحج
بها فاذا وصل الحجيج الى مكة فمن لم يكن على العود منهم زالت عنه ولاية الوالي

على الحجيج فلم يبق عليه تبعة ومن كان منهم على العود فهو تحت ولايته قلت
ومما يتاكد وجوبه على امير الحاج ان يقف بالركب في اوقات الصلوات
الخمس لاجل الصلاة في الوقت ويامر المنادي ان يقول الصلاة يا حجاج
وان يكون له امام خاص به كما كان السلف فان من حج من غير اقامة الصلاة
لا سيما ان كان حجه تطوعا كان بمنزلة من سعى في ربح درهم وضيع
راس ماله وهو الوف كثيرة وقد كان السلف يواظبون في الحج على نوافل
الصلاة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل على راحلته في
اسفاره كلها ويوتر عليها وحج مسروق فما نام الا ساجدا وكان محمد بن
واسع يصلي في طريق مكة ليله اجمع في محمله يومي ايماء ويامر حاديه ان
يرفع صوته خلفه حتى يشتغل عنه بسماع صوت الحادي فلا يتفطن
له فيجب على الامير ان يامر بالمحافظة على الصلوات في اوقاتها ويفعل
ذلك ويظهره اذ لا يحل له ولا لغيره ان يوخر الصلاة لغير عذر شرعي
كما هو مقرر في الفروع ونبهنا على هذا لزهادة الناس فيه في وقتنا هذا
وغفلتهم عن الصلوات واعراضهم عنها وتاخيرها عن اوقاتها وجمع
الليلية والنهارية دفعة والعكس ويشتغلون بالنوم والاهواء
والاغراض النفسانية عنها ويثقل عليهم ابدا الصلاة فلا ياتونها الا
وهم كسالى وما علموا ان الله تعالى متى علم من عبد حرصه على اقامة
الصلاة على وجهها اعانه وما قدم احد حق الله تعالى على هوى نفسه
وراحتها الا اوتي سعادة الدنيا والاخرة ومما يجب عليه ايضا اجتناب
ما يرتكبه امراء وقتنا من قطع مرحلتين في مرحلة قصدا للسرعة في السير
وذلك ضرر كبير ومشقة شديدة على النفوس والابدان والجمال ومما
يجب عليه الرفق بالناس في الحر الشديد فيريحهم في وقت القيلولة المفرطة
ويقصد بهم الظلال والمياه للاستراحة وفي وقت الرياح المفرطة الشدة
ويكون بالمرصاد لرعيته فاذا حصل لهم اذى مشقة بادر الى راحتهم بازالتها
ولا سيما في الحجاز ويجب عليه في الرحلة التي بها مضيق ووعر منعهم من المزاحمة
والاصطدام والتشاجر ووكل من يمنعهم من ذلك ومن الرفق بالحجاج امهالهم
بالدار بعد الاعلام بالرحيل مقدار ما يعلم ان اهل الركب في حال الاعتدال

للسير

للسير والا يصير الذى لم يحمل جماله فى غاية السرعة والدهشة خصوصا ليلا فقد يترك بعض امتعته بالدار ذهولا ونسيانا وينبغى له ان يجلس بهم فى كل دار ومنزلة ليحضر اليه من يشكوا ظلما من جمال او غيره فيزيل شكواه ويصلح بين المتخاصمين وان كان الحكومة شرعية جهزه لقاضى الركب ان لم يكونوا فى بلد ولا ينبغى له ان يحتجب عن الحجيج ويدع امرهم فوضا بينهم لانه راع وكل راع مسؤل عن رعيته ولا يمسك ترجمانا يحول بينه وبين الناس الا اذا دعت لذلك ضرورة من عجمة او عجمة بعض الحجيج اما اذا عرف الالسنة وقصد بالترجمان اهانة وفد الله تعالى والتكبر عليهم فقد ارتكب اثما عظيما مع انه قد لا يبلغه الترجمان ما قاله كل من الامير والحاج لغش او ارادة رشوة او قصور او نحو ذلك ويجب عليه النظر فى الفقرا والضعفا والمرضى وخصوصا المشاة ويكشف على الساقة فى الغالب لانها مظنة ذلك وعلى غيرها وفى الدور وتحت الاشجار فان الفى ميتا فقيرا امر بدفنه وغسله والصلاة عليه لانهم رعيته وهو مسؤل عنهم كما مر فاذا كان الحر فينبغى له ان يحمل معه من القرب المملوة بالماء ليسقى العطاش ويتفقد الجيعان ويركب العيان ولا سيما فى الحجاز فمثل هذا هو المطلوب من امرا الحاج لا ما يعدونه من تحضير الاعمال الكثيرة للسماع وتنميق الماكل والمشارب والملابس والمراكب تفاخرا بالمفاخر لا يعملون لله ولا لليوم الاخر بل قد يرتكبون الفواحش والنقايص ويتعاطون كل خسيس ناقص وينهمكون فى انواع المحرمات على اختلافها ويرضعون من ثدى الفسق والزنا فايض اخلافها فما احدى من يرتكب هذه الرذايل بقول القايل

حججت البيت ليتك لا تحج ... ومنك الركب فى الافاق ضجوا
وحجت بحمل اوزار ثقال ... فعدت وفوق ذاك الحمل خرج

ولابن سنا الملك

حج فى العمرة وتعنى واحرما ... وانما من الحجاز كما راح محرما
فهو ذو الحجة التى تستحل المحرما

ولآخر

راى البيت يدعى بالحرام فحجه ... ولو كان يدعى بالحلال لما حجا

ولبعضهم

حج وقد كان ذا غرام ... بالركن والبيت والمقام

وعاد من حجه سريعا … يطعن في المشعر الحرام

وهذا بالنسبة لوقتنا غير مستبعد ولا مستنكر لافشاء الباطل واذاعة المنكر فنحن في زمان عاد الاسلام فيه غريبا والقابض فيه على دينه كالقابض على الجمر وماذا يقال وقد حكى صاحب المحاضرات ان عبيد ابن شرية دخل على معوية بن ابي سفين في ذلك الصدر من الزمان وقد اتت على عبيد مائتان وعشرون سنة فقال له ما شاهدت من الزمان وما ادركت فقال يا امير المومنين ادركت الناس وهم يقولون ذهب الناس فلا مربع ولا مفزع وقيل ما بقي من الناس الا حمار رابح او كلب نابح اواخ فاضح وكانت عايشة ام المومنين رضي الله عنها تنشد ذهب الذين يعاش في اكنافهم البيت قال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكت ام المومنين من زمانها فلقد شكا قوم عاد من زمانهم اذ وجد في خزاينهم سهم عليه مكتوب

بلاد بها كنا ونحن نحبها … اذ الناس ناس والزمان زمان

وقال ابو صالح في قوله تعالى ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بسراة الناس وقال المتنبي … وصرت اشك فيمن اصطفيه … لعلمي انه بعض الانام

وهذا ملئت به الدفاتر فلا نطيل به **ذكر ابتداء العزم على السفر والتهيؤ للرحيل عن الوطن في اشرف وقت** اعلم ارشدنا الله واياك واشرق بنور الطاعات محيانا ومحياك ان الله تعالى اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك وانه جلت قدرته اذا اراد بك السعاده * يسرك من اسبابها وفتح عليك من ابوابها ماهو معدود من خرق العاده * اذ قدرته سبحانه لا تتقيد بعادة ولا قانون * بل تجري على خلاف ما تتوهمه الاوهام وتتخيله الظنون * طالما كنا نتمنى الوصول لبيته الحرام ونسأله تعالى ان يبلغنا من الروضة المطهرة النبوية غاية المرام ونشتهي الحلول في تلك الاماكن الشريفه ولم نستطل لا بظلالها الوريفه فاصرح بذلك في نثاري ونظامي طالبا من الله تعالى ان يقوي بمشاهدة تلك المشاهد اوهنة الذنوب من عظامي وكان هيجان شديد شوقي الذي لا يحل ووجان قديد توقي

الذى لا يحى نحوه ولا ينحل زمن شرحى لنظم فصيح ثعلب لملك ابن المرحل
فكنت كلما مر بى ذكر الحرام او الاحرام اضرم نار الاشواق بين الجوانح غاية
الاضرام فتبرز القريحة الخامدة النار ما يعد البليه من العثار وتبدى
الفكرة الجامدة من الاشعار ما لم يكن لها به اشعار تشوقا لتلك
المساكن وتشوفا لمن بها ساكن فمن ذلك قولى بعد شرحى قوله وقد
حللت انا من احرامى اكمله فى البلد الحرام وقد هيج اللوعة واثار
الغرام ذكر الحرمين الشريفين والحج والاحرام وحركت سواكن القرائح
بعوامل الاشواق فنفثت بما راته نفاقا فى هاتيك الاسواق وتشوقا
لتلك المرابع وتشوفا بهاتيك المجامع مرتجلة ارتجالا يدفع عنها
الاعتراض ويستر مكنون جواهرها فى حلى الاعراض وان كانت
الاعراض هى التى تظهر فى الجواهر والازهار هى التى تبدو على الغصن
الزاهر والنفثة المشار لها قولى دون روية بحول الله لا بحولى

الا ليت شعرى هل ارى البيت معلما ... وهل اردن يوما على الرف زمزما
ومن لى بحج البيت فى خير معشر ... حداهم الحادى وغنى وزمزما
ومن لى بان امسى على حجراته ... واصبح ممن للمعالى به انتما
ومن لى بالخل الذى قد الفته ... فيدعى جهارا انتما القصد انتما
نطوف بذاك البيت طورا وتارة ... نلم بهاتيك البقاع فنلثما
واونة ناتى الى الحجر الذى ... سما قدره حتى تطاول للسما
نعفر فيه الخد والوجه كله ... ولست ارى ممن يخص به الفما
وطورا نصلى ثم نسعى الى الصفا ... ليصفى الفواد المستهام المتيما
ونسرع كى نلقى المنى ولدى منى ... نخيم فيمن كان لليمن خيما
ونجنى ثمار العرف من عرفاته ... ونعرف منه الخير عرفا معمما
ونبرا من كل العقاب اذا دنت ... عقاب جمار تحرق الذنب اينما
ونصبح فيمن بر لله حجه ... واصبح فى تلك الرياض منعما
ويا ليت شعرى هل ارى طيبة التى ... بها طابت الاكوان نجدا واتهما
وهل تبصر القبر الشريف محاجرى ... فاصبح فيه منشدا متر نما
اخاطبه جهرا واسال ما اشا ... وارجو حصول السول منه متمما

ويسعدني القول البليغ فانثني   اذا ما انتظمت القول فيه تنظما
وارجع مملوء الحقائب عامرا   بما شئت من علم وحلم وما وما
وتخدمني الدنيا واصبح في غد   لدى رتبة شماء في منزل سما
تحف بي الاملاك من كل جانب   لدى جنة الفردوس فوزا معظما
فتربح هاتيك التجارة كلها   ويغنم مولودها ابتدا ومختما
واهدي التحية للانام محمد   سلاما بعرف الطيبات مختما
حقق الله منا الرجاء وبلغ الامال بالفوز في هاتيك الارجاء بكرمه وطوله وعزته وفضله ومن ذلك كلام واي كلام
فهناك يحلو المدح دون تردد   ويطيب تكراري الثنا وترددي
واخاطب القبر الشريف مشافها   واقول للفكر القريح الا ارددِ
واقول يا خير الانام جميعه   يا صفوة الله العظيم الاوحد
يا خير من وطئ الثرى واجل من   بذل الثراء لناشد او منشد
هذا عبيد جاء كم متطفل   يسعى بدمع محاجر لم يجمد
متسربل بجرائر وجرائم   هدت قواه وكل طود اطود
فاشفع له فلقد اتى متشفعا   مولوي بالسبطين سبطي احمد
وسل الاله العفو عن اثامه   حتى يرى منها طهورا في الغد
والختم بالحسنى فذلك عنده   مولدي في المطلوب اكمل مقصد
والستر في الدنيا وفي اخرى فلي   ال بتسميتي سماه محمد
والفيض من كل العلوم بصدره   فيضان بحر بالمعارف اجود
والورد من حوض تكفل وردُه   ان ليس يظما وارد للورّد
وعليك ما سجع الحمام تحية   واشتاق مشتاق لقبر محمد
ونبهت على بعض ما اشتملت عليه هذه الابيات من الانواع البديعيات بقولي قلت قولي دون تردد المراد به التلعثم وعدم الانسجام من تردد في الشيء اذا لم ينطلق في فعله والمراد بترددي تكراري من ردد الشيء بمعنى كرره واعاده المرة بعد المرة او من قولك تردد بالمكان اذا اكثر من الذهاب والرجوع فيه فهو جناس تام لا ايطا كما يتوهم من لا معرفة عنده وان كان الايطا خاصا بالقوافي فان البلغاء

يتجنبونه حتى فى التصريح ولا يخفى ما فى قولى لناشدا ومنشد من التورية
مع ما فى الابيات من انواع الجناس واجناس البديع وذلك كله
من بركة الممدوح صلى الله عليه وسلم ومجد وكرم وعظم ومن ذلك
قولى وقد جرى له ذكر الحج المبرور سائلا من الله تعالى تعجيل الذهاب
لحرمه والمرور لا حرمنا الله تعالى من حجة مبروره وعمرة بالخيرات
معموره وزيارة للروضة النبوية التى لم تزل بالانوار مغموره

فهناك يدنو الهنا والسرور ... وتتم المنى وتنأى الشرور
وافوز بكل خير اذا ما ... قيل لى ذاك حجة مبرور
واذا زرت قبر خير الورى ... طاب عليه الصلاة ثم السرور

ومن ذلك قولى وقد جرى له ذكر التعريف وعرفة بعد ما نبهت على
ان يومه يوم شريف كل قد علم شرفه وعرفه جعلنا الله تعالى ممن يعرف
هذه السنة بعرفات ويغرف من زمزم بل يكرع اذ لا تكفيه الغرفات
وينال من فضل مواهبه فى فراديسه اعلا القصور والغرفات ويشاهد
بعد تلك المشاهد الانوار النبوية وينشد انشاداته هنالك دون روية

وتسعفه غر القوافى لانه ... مشوق الى تلك المرابع شيق
ويوحى له من كل قول لبابه ... ومن كل نظم فى المدائح رق
ويصبح رحب الصدر منه موسعا ... لانه من فرط الصبابة ضيق

فهناك يحق السرور وتذهب بحار الافراح بمراكب الشرور الى غير
ذلك مما تقبل فيه مودتنا وله الحمد على ما اولانا سؤلنا ودعانا
وافعم بخيراته الباطنة والظاهرة فى تلك الاماكن المقدسة الطاهرة
كما سألناه سبحانه ودعاءنا كقولى فى القصيدة الغراء التى قافيتها الراء

ام هل اطيب بطيبة زمنا ... وهل اعود من عطرها عطرا
وهل ارى منشدا بساحتها ... مدح الرسول المبعوث من مضرا

وستاتى بتمامها فى الزياره اذا وصلنا روضة المصطفى وداره
وربما فترت فكرتى لتطاول اشجانى وكثرت حسرتى لتداول الوجد
الذى برح بى واشجانى فاعدل الى الانشاد عن الانشاء واستثنى
من الاداب بعض ما يحق له الاستقراء والاستنشاء فاتمثل بقول من

تقلب قلبه على نيران الاشواق لما صفا   فاصبح يشتاق الى جيران الحجون والصفا

يا جيرتى بعد الحجون الى الصفا   شوقى اليكم مجمل ومفصل
اهوى دياركم ولى بربوعها   وجد يثبطنى وعهد اول
ويزيدنى فيها العذول صبابة   فيظل يغريني اذا ما يعذل
ويقول لى لو مذ تبدلت الهوى   فاقول قد عز الغداة تبدل
بالله قل لى كيف تحسن سلوتى   عنها وحسن تصبري هل يجمل
هل فى البلاد محلة معروفة   مثل المعرف او محل يحلل
ام فى الزمان كليلة النفر التى   فيها من الله العوارف تجزل
ام مثل ايام تقضت فى منى   هم الزمان بها اغر محجل

وربما اتواجد بما غشينى من الوجد وعلانى فاتمثل بقول القطب القسطلانى

الا هل لظل بالاراك معاد   وهل ذلك العيش الهنى يعاد
وهل زائر الزوراء زائرا بطيبة   وخيفة منى دار تحل سعاد
وهل لطوى والمازمين ومشعر   تدان فقد اضنى الفؤاد بعاد
وهل مدنف باك تكدر عيشه   واقلقه داء فى الغرام يعاد
وهل ذلك السر الذى كان بيننا   وما فطن الواشى لذاك يعاد

وكلما تحدث بالرحيل الى تلك الاماكن راحل او تتابعت الحطائها المراحل اعود لاداب القطب فارد قوله الذى هو ازهى كلمة وابهى قوله

اراحك وشك البين ام انت غافل   ام القلب فى اثر الظعاين راحل
لقد لج هذا الوجد حتى كانه   يحاول ثارا عند من هو قاتل
تحيرت حتى لو سئلت عن الهوى   لفرط الجوى لم ادر ما انا قايل
الاحبابنا بالجزع عن ايمن الحمى   ترى هل لما اروى من الشوق ناقل
تمنع من اهوى على بوصله   فعندى من الوجد المبرح شاغل
كتمت هواه برهة فنمت به   دموع على خدى سح هوامل

وربما فاضت الاشواق فيضا   فرجعت قوله ايضا

الا هل عشيات الاراك رواجع   فننعم عينا والعيون هواجع
ونزفل من القرب سابل   ويسكن نصبا حرجة القواطع   في ذيل صح
وترفع جزم الهجر عنا بوضعها   عوامل لما ان عداها التقاطع

22

غريب له مذ بان بان برامة فؤادٌ معنّى ازعجته المطامع
يبيت يناجي النجم والطرف ساهر بجنب قريح قد جفته المضاجع
له مذ نائي للاحباب سفح مدامع وزفرة مهمود وهل ذاك نافع
تشاغل دهرا بالحديث يظنه يشتت همّا وهو للهمّ جامع
ولم يثنه قول الوشاة بانه وان ظن عاص فهو بالقطع طايع
تبدا من مرّ النصائح حلاوة فلذ له ما طال فيه التنازع
دعوا العتب فيما قد مضى ونصحنا بيذل الندى فالعمر لولاه ضايع
ومن لى بوصل ارتجيه واننى بطيب خيال فى المنام لقانع
اجيروا من الجور المفرق للمنى بجمع على مر الدهور ربطاوع

ومهما خضت فى ذلك الوادى او ركضت الى صعيد انجوادى او تشخصت ان يحل فى تلك الاماكن المشرفة سوا دى اعدّ وصولى اليها من المحال واعتقادى لا قدرة عليه ولو بالغت فى الحيل والمحال زاعما ان الضعفا امثالى لا يستطيعون على كل حال لون الحج انما يستقيم بالاجسام الجسام والاموال التى لا توسم بالحصر والانسا حتى كنت ربما اتغالى فاصرح بانى لا اصاحب من هنالك ذهب ولو ملكت ما ملكت من الفضة او الذهب وان كان التوحيد يحمل العبد على تعليق افعاله بمشيئة مولاه فنقول الا ان يشاء الله ولما دعانا مولانا تعالى لشريف حضرته وايدنا بتاييده وتوفيقه ونصرته هيأ لنا الاسباب وفتح لنا من خيراته كل باب ولم يترك سبحانه نوعا من انواع التيسير الا امدنا به جلت قدرته فى الامد اليسير ليعلمنا ان قدرته سبحانه صالحة لتسوية الموسع والمقتر واندحلت حكمته لا فرق فى ارادته بين القوى والضعيف والمقل والمكثر وينبينا ان وصاله لا ينال بحيلة ولا يرام بالنفايس الجليلة وانما هو خصيصا يخص بها من شاء من عباده وفضل يجريه فى الخلايق على حسب اختياره ومراده ولقد صدق القايل الذى ظهرت على قوله من الخصوصية مخايل

قد كنت احسب ان وصلك يشترى بنفائس الاموال والارباح
وظننت جهلا ان حبك هيّن تفنى عليه كرائم الارواح

حتى رايتك تجتني وتخص من ... تختاره بلطائف الامناح
فعلمت انك لا تنال بحيلة ... ولويت راسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام اقامتي ... فيه غدوي دائما ورواحي

فلذلك لما ازعجنا الشوق الذي بثه سبحانه في صدورنا وجوانحنا الى شريف تلك المساكن حركت عوامله المعنوية من قلوبنا وجوارحنا كل كائن وساكن حتى ذهلنا عن النظر في العواقب ولم نلتفت لقوة جسم ولا مال ولم نعتبر ذلك ولم نراقب وخرجنا منقادين بسلاسل الارادة لما شاء ان يوثرنا به سبحانه من عظيم هذه العبادة وقيض لنا الرفيق الذي لم نكن لنفارقه والصديق الذي خلي بحلي الصداقة والمودة بخوره ومفارقه والخليل الحبيب الصاحب الاثيل الذي لم يكن له في خلته ومحبته من مثيل والاخ القائم باعباء الاخوة لانه يرى الذهول عن حقوقها ليس من المروة الفقيه اللوذعي الكاتب المجيد الذي قلد بدرر اسجاعه الحلوة ونظامه المستعذبة كل جيد اخانا ومحبنا وصفي ودنا ووفي عهدنا ابا عبد الله محمد بن محبنا الفقيه الناسك العدل الاتقى الارتقى ابي عبد الله الخياط ابن احمد الشهير بين الديار الحضرية الفاسية بابن جنيه المستنشق من اعراف الاعراق واطيب الاعلاق نسيم الحسب واريجه اصلح الله الولد ورحم الوالد وبلغنا جميعا من المقاصد كل طارف وتالد فقد كانت لوالده رحمه الله تعالى فينا زيادة محبة اوجبت اخلاص مودة الولد فلذلك لم نترك منها شيئا لحبه وتخلى الولد حفظه الله تلك المحبة القديمة التي لم تزل على ممر الازمان مستديمة فكنا بتوفيق الله على عشرة لم نعهد للغير ومساعفة ومساعدة شاهدة لنا بكل خير كل منا الزم لصاحبه من ظله واشد استغناء به عن اقاربه واهله شنشنة عرفناها في زمن الصبا وجعلناها اشهى الى الروح من نسيم الصبا فلا تذكر ملازمة الفرقدين بالنسبة لذلك ولا تعبا بما قيل عن منادمة عقيل ومالك

فهذا هو الذي تستديمه ... ولا تسالن عن مالك وعقيل
ولا تذكرن الفرقدين فودنا ... على كل ذي ود زرى وخليل

الود
صح

نشار

فسأل مولانا سبحانه أن يديم تلك المودة المحضة مصحوبة بالتوفيق
إلى أن يرث الله الأرض لأن القلوب بيديه والأمر كله لديه وكان
هذا الأخ بلغه الله أمنيته ووفاه قصده ونيته قبل هاتين السنتين
بعام كلما تهيأت الركاب للسفر سح في بحر مدامعه وعام ولم يملك قيادا
لنفسه ولم يميز وحشته من أنسه شوقا لتلك الأماكن المشرفة المكرمة
وتوقا لذلك الجناب الذي عظمه الله تعالى ومجده وكرمه فإذا امتدت
أشواقه ونفقت ببضائع الوجد أسواقه طفق يغريني بطرائق الوجد
ويحثني على الرحيل إلى تهامة ونجد فيسري ذلك منه إلي ويستولي
بخيله ورجله علي غير أني أتصبر فلا أساعده على قوله لما أتحقق
من عدم قوته وحوله وأظهر له التمنع من ذلك لما أعلم من أنا معا
لا قدرة لنا على سلوك تلك المسالك وإن كانت القلوب لتلك
الرباع الرابعة راحلة بغير زاد ولا راحلة فما زال بي أعلى الله تعالى
قدره حتى شرح الله سبحانه صدري لما شرح إليه صدره وأذهب عنا
الموانع والعلائق وأرشدنا إلى أن ذلك هو الأمر اللائق فعند ذلك
لم يمكنا إلا أن نرتضع من الإسعاف جميع الأخلاف ولم يسعنا بعد
ما أزهرت روضة الوفاق أن نستنشق زهر الخلاف فأخذنا جادين
في أهبة السفر وقد أضاء علينا بفضل الله تعالى صبح التيسير وسفر

ذكر خروجنا من فاس ومفارقتنا لتلك الشمائل الطيبة الأنفاس

خرجنا من فاس الغراء التي لم ينظر لها نظير سوى الحرمين الشريفين
فيما أظلت الخضراء وأقلت الغبراء الأرض التي لم تزل رياضها
بمآثر الكمالات أريضة ومحاسنها الباهرة طويلة عريضة أرض جمعت
ما تفرق في الدنيا من المحاسن وحوت ما لا يوجد في غيرها من الفواكه
المنوعة وأنهار الماء الذي ليس بآسن

أرجاؤها طبق المنى وهواؤها   يشتاقه الولهان في الأسحار
والطبع معتدل فقل ما شئته   في الظل والأزهار والأنهار

بلد تدفقت أنهاره وتفتقت أزهاره واتسقت أبنيته واتسعت
أفنيته فإذا تذكرت أنسه وبانه أنشدت قول ابن اللبانه

بلاد عادته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس
فكانما الانهار فيه مدامة وكان ساحات الديار كؤوس
ارض تنبت الثراء ثراها وتبتهج النفوس مهما تراها ارض حازت مصالح الدين والدنيا بغير شرط ولا ثنيا ارض ما زلت انشد كلما شوقني اليها لذاتها واترابها
بلاد بها نيطت علي تمائمي واول ارض مس جلدي ترابها
وماذا اقول في ارض احرست محاسنها لسان لسان الدين ابن الخطيب وقد الف فيما جمع من البراعة والفصاحة والفضل والسماحة نفح الطيب وما ادراك ما نفح الطيب وباي عبارة اعبر من بلاد عجز عن استيفاء بعض كمالاتها القلم والقرطاس وما رام رام ان يصيب اغراضها ويبيل سهامه من قراطيسها اغراضها الدنيا سهمه فاخطا القرطاس واذا طار صيت هذه الارض في الافاق وسما قدرها على جميع الامصار في ساير الاعصار وفاق وسارت محاسنها البادية في الحاضرة والبادية الركبان والرفاق واشتهرت مزاياها اشتهارا جلت به عن المثال والنزاع واقر الخصم بما لها من الكمال وارتفع النزاع فلا يخدش في وجه جمالها الباهر وكمالها الظاهر صيرت الفتن مجاريها صدورا واقعدت الشرور والمحن اوباشها من مقاعد التصرفات صدورا واستولى امرها ارذالها دون اشرافها واكابرها وتحكم انذالها في كراسيها ومنابرها فان الشهر ظلمه ولا يظلم احد حتى يستوجب ظلمه وتراكم الاهوال موجب لتغير الاحوال وانقلاب الدول مظنة الفتن من الزمان الاول على ان ذلك مستند بالنسبة لما مضى من تمام عافيتها وما هو ان شاء الله آت ومغتفر في جنب حسناتها العظام ان الحسنات يذهبن السيئات • واذا المليح اتى بذنب واحد جاءت محاسنه بالف شفيع • فمن رام ان يغنم صفوها بلا كدر اسرع النقلة عنها قبل ايام الفتن والبدر واز مع الارتحال عند انتقال الحال وقد فارقنا محياها الازهر وانصرفنا عن روضها الذي بافنان فنون العلم والعمل يزهر ونحن نستمد المعونة من القادر ونساله اللطف

والخيرة

والخيرة في جميع المقادر مصحوبون بالسلامة والعافية محفوظون
في الائه تعالى التي ليست بواهية ولا عافية صبيحة يوم الاربعا
الرابع من رجب الفرد الحرام سنة تسع وثلاثين ومائة والف
لهجرة المصطفى صلى الله وسلم عليه وعلى اله وصحابته الكرام وكان الركب
خرج قبلنا في يوم الاثنين الثاني من الشهر المذكور محفوفا بالسعادة
وللاقبال في الاصال والبكور وتاخرنا عنه نحن لمقتضيات اقتضاها
الحال مع مطر غزير تولدت منه اوحال واوحال فلما اصبح يوم
الاربعا بسمت ثغوره عن الصحو وهبت رياح الاقبال على السحايب
فمحت اثارها اي محو فخرجنا بعد ان استعملنا ما اشرنا اليه في المقدمة
الرابعة من التوديع والادعية وافتتحنا بزيارة من امكنت زيارته
من الصالحين الصدور والاوعية

وسالت الاله مولاي ان يخلفني في جميع اهلي ومالي
فهو ارحم جل مني بهم وهو يبلغني غاية الامال

وختمنا الزيارة بشمس المغرب التي ليس لمشرق انوارها مغرب بغية
الامل وملتقى القاصدين بالخلق الكامل بضعة الرسول ومنتهى
السول مولانا ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل اعاد الله على
جميع المسلمين من بركاته واختص هذا العبد الفقير باوفر نصيب منها
في سكناته وحركاته ليكون الركوع في ذلك المسجد الاعظم والخضوع
بين يدي ضريحه المعظم هو اخر العهد من تلك المدينة المباركة التي
ليست فرزاياها وما ثرها بمشاركة ثم قصدنا زيارة رجال باب
الفتوح والدخول في منيع حرزهم وختمنا بالامام الاكبر ابي الحسن
علي ابن حرزهم وخرج لتشييعنا جماعة من اصحابنا الاعيان واودا ثنا
الذين يقصر عن وصف حلاهم ووصف علاهم الايضاح والتبيان
فمنهم من ودعنا بباب الفتوح والدموع منسكبة انسكاب الفتوح
ومنهم من فارقناه في اواسط الزيتون وسحايب المدامع تجري
فتزري بالعارض الهتون ومنهم من حملته المودة على الوصول
الى عنق الجمل ولم يعبا في جنب المحبة بما تكلف من مشقة الطين والوحل

وحمل فكان للبين بين هولاء القوم يوم واى يوم يوم وافى
بموقف من اعظم المواقف وترك المحبين ما بين جالس من جزع البين
وواقف سكروا بمدامة الفراق وهاموا بسلامة النوى واختاروا
ادامة الارتحال والنوى عن ملازمة النوى فى جنب الوجه الذى
نوينا اذ هو اكمل وجه وافضل نوى فياما اشح النفوس بنفيس
تلك الجموع ويا ما اسح الاماق بسحايب الدموع فى ذلك الموقف
العظيم الذى وقفت دون وصفه اليراعه وقفت آثار الكل
بالنسبة اليه كل فصاحة وبراعه موقف مدت فيه الى الله تعالى
ايدى التذلل والضراعه وحسر المشتاقون فيه ساعد الالحاح
فى الطلب وذراعه وارتفعت الاصوات بالدعاء والابتهال
وانهار جبل الصبر الشامخ لعظيم جزعه وانهال وتوالت من النفوس
زفراتها واستولت عليها شدايدها وحسراتها واستعبرت
العيون فلا تسل عن سيل سحائب العبرات واستعبرت الاعيان
من ذلك الموقف حتى قصرت العبارات عن تلك العبرات فيا له
من يوم غبط فيه المقيم الراحل وتمنى ان يطوى معه ولو على مقلتيه
نشر المراحل وجعل يتلو شوقا لتلك الاماكن التى لا تزال تزداد
تشريفا وتعظيما يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما ويا له من
مشهد استحلت النفوس فيه مرارة الفراق وحلفت ان لا يميل فى ذوقها
لشراب الوصل ولو جاؤها بالف راق

فلا تعذلوا وتعجبوا من مقالها فان الذى قالت هو الكلم الفصل
لان فراقا مثل هذا وحقكم وصال لان القصد منه هو الوصل
الم تك فارقنا البلاد واهلنا لوصل الذى فى الكائنات هو الاصل
عليه صلاة الله ثم سلامه ورضوانه ما اهتز فى المعرك النصل

فلما سمع الاصحاب هذه الابيات المرتجله طفقوا يعجبون من البداهة
والعجله ويستحسنون معانيها الغريبه ومبانيها الفائقة
والتزاماتها القريبه ثم اخذوا يتناشدون من الاشعار ما رق
وراق ويتذاكرون فيما قيل فى مثل هذا اليوم من ايام الفراق

فمن منشد قول من لم يجد لسقام الوجد من منصف ولا راق
لا تسالني عما جناه الفراق   حملتني بداه ما لا يطاق
اين صبري او كيف املك دمعي   والمطايا بالظاعنين تساق
قف معي نندب الطلول فهذي   سنة قبل سنها العشاق
واعد لي ذكرا العوير فكم مال   بعطفي نسيمه الخفاق
في سبيل الغرام ما فعلت بالعا   شقين القدود والاحداق
يوم ولت طلائع الصبر منا   ثم ثنت غاراتها الاشواق
ومن مستحسن قول بعض الناس لما فيه من الجناس
ودعتكم فرجعت بعد وداعكم   ندما اعض من الفراق اناملي
اما التصبر بعدكم فعدمته   ومن التشوق والغرام انا ملي
ومن مستجيد قول القائل المجيد
لو كنت ساعة بيننا ما بيننا   ورايت كيف نكرر التوديعا
لعلمت ان من الدموع محدثا   وعلمت ان من الحديث دموعا
ومن مائل الى قول القائل
ولما بدا التوديع ممن احبه   ولم يبق لا ان تزم الرواحل
بكيت وابكيت العواذل رحمة   وحسبك من تبكي عليه العواذل
ومن جامع جميع الاوطار في قول من بان عنه الف اوطار
حلوا عقود اصطباري عندما رحلوا   وفي الخمائل حلوا مثل امطاري
ان المنازل قد كانت منازه اذ   بانوا بها وهي اوطاني واوطاري
ومن قائل ان الراي الصالح هو انشاد قول المعافري محمد بن صالح
ودعت قلبي ساعة التوديع   واطعت قلبي وهو غير مطيع
ان لم تشيعهم فقد شيعتهم   بمشيعين تنفسي ودموعي
ومن ساكن حركته عوامل الاشواق فلاذ بقول القائل الاسواق
كيف طابت نفوسكم بفراق   وفراق الاحباب مر المذاق
لو علمتم بلوعتي وصبابا   تي ووجدي وزفرتي واحتراقي
لرثيتم للمستهام المعنى   ووفيتم بالعهد والميثاق
ومن قائل هل من صائغ مثل قول ابن الصائغ

قد اودعوا القلب لما ودعوا حرقا   فظل في الليل مثل النجم حيرانا
راود ند يستعير الصبر بعدهم   فقال اني استعرت القلب نيرانا
ومن اسوان فاضت عينه فيضان السواني فتمثل بقول القاضي الرشيد الاسواني
رحلوا فلا خلت المنازل منهم   ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم
وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم   وضياء نور الشمس ما لا يكتم
وتبدلوا ارض العقيق عن الحما   روى باعيوني اي ارض يمموا
نزلوا العذيب وانما هو مهجتي   رحلوا وفي قلبي المتيم خيموا
ما ضرهم لو ودعوا من اودعوا   نار الغرام وسلموا من اسلموا
هم في الحشا ان اعرقوا او انجدوا   او يمنوا او اشملوا او اتهموا
ومن مشتاق • يردد قول من نزح لا حبته واشتاق •
غبتم فما لي في التصبر مطمع   عظم الجوى واشتدت الاشواق
لا الدار بعدكم كما كانت ولا   ذاك البهاء بها ولا الاشراق
اشتاقكم وكذا المحب اذا نأى   عنه احبته قلبه يشتاق
ومن مغرق في بحر دمعه السايل • مغرم بقول القايل السايل •
ولي فؤاد مذ نأى شخصهم   ظل كئيبا مدنفا موجعا
ومقلة مهما تذكرتهم   تنزف دمعا اربعا اربعا
وليس لي من حيلة كلما   لجت بي الاشواق الا الدعا
اسال من الف ما بيننا   وقدر الفرقة ان يجمعا
ومن مشوق غلبته العبرة فما زاد على ان توجع وتالم • وانشد بلسان حاله وما تكلم •   وموزع يوم الفراق بطرفه   شرق من العبرات ما يتكلم
متلفت نحو الحبيب بغصة   لا يستطيع وداعه فيسلم
ومن داع الى قول من اعتبر حروف الجمع والوداع
كنا جميعا والدار تجمعنا   مثل حروف الجمع ملتصقه
واليوم صار الوداع يجعلنا   مثل حروف الوداع مفترقه
ومن مصبر قلبه بقول من اعتبر من الوداع قلبه
اذا رايت الوداع فاصبر   ولا يهمنك البعاد
وانتظر العود عن قريب   لان قلب الوداع عادو

ومن

ومن مستصوب ترك الوداع مستدا بقول من ليس له بطاقة الوداع

عاقني عن حلاوة التشييع ما ارى من مرارة التوديع
لم يقم انس ذا بوحشة هذا فرايت الصواب ترك الجميع

ومن واله ناسج على منواله منشد قول الزين ابن الوردي تقوية لتصحيح تلك الحجه وتتمية لتوضيح هاتيك المحجه

من كان مرتحلا بقلب محبة يوما فانك راحل بجميعي
وانا الذي ترك الوداع تعمدا من ذا يطيق مرارة التوديع

ومن مخالف لهذا المذهب قائل ان عكسه هو الطراز المذهب محتجا بقول من اقام البرهان من فرسان ذلك الزمان

ارايت من يرضى بفرقة الفه انا قد رضينا لنا بان نتفرقا
حتى افوز بقبلة في خده عند الوداع ومثلها عند اللقا

الى غير ذلك من الانشادات التي لست استوفيها ولو وضعت مولفا مستقلا فيها غير ان آخر ما سمعته من الانشادات بين هولاء السادات قول من فاضت دموعه لما فارقته احبته وودعته جموعه

اودعكم واودعكم جناني وانثر ادمعا مثل الجمان
ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

وقد تكلفت القريحة الجامدة فما وصلت وان صالت وقالت تكلف الاعتذار لو حبتها حتى قالت

نودعكم ونودع اللب والقلبا لديكم ايا من لم يزالوا لنا قلبا
ونسالكم ان تعذرونا وتسمحوا ولا تعذروا كلا ولا تكثروا عتبا
وما كان هذا البين والله عن رضى ولكنه وصل نطيع به الربا
وفي ضمنه زيارة المصطفى الذي له خلق الله المشارق والغربا
عليه صلاة الله ما ذر شارق وما طلعت شمس فاذهبت الشهبا

ولما لم يبق الا التوديع ودعناهم واودعناهم من عظيم الشوق ما اودعناهم فرجعوا ودموعهم تعثر في اذيال الفرقة وسرنا آمنين في اعظم رفقة واكرم فرقة ولما ادبر الناس اقبل على الراح الذي لست لعهده ومحبته بالناس والصحيب الذي لم تزل مودته

فى القلوب راسخه والود الذى لم يبرح اى محبته لكل محكم من
الوداد ناسخه الفقيه الاستاذ النبيه والاديب الذى ما زالت
آدابه اللطيفة تنبى عن نباهة ابن النبيه من لا انسى محبته وعشرته
عشيتى وبكورى صاحبنا ومحبنا الاعز ابو العباس احمد بن محمد
التكورى اعزّ الله جنابه وكفاه ما نابه فناولنى رقعة لوا قوم
بحقوقها ولا استوفيها ففتحتها فاذا هى مكتوب فيها

قدمت يا ابن الطيّب الطيّب　　لزورة البيت من المغرب
فى رفعة موصولة ابدا　　ورتبة تعلو على الرتب
لا زلت ترقى فى سماء العلا　　حتى ترى فى الركب كالكوكب
وربنا يرد دك فى نعمة　　كى لا يرى الغرب بلا طيّب

والسلام عائد عليك وبعد منصرفه عنى بعث لى قصيدة اخرى
ما زلت اعدها غنيمة وذخرا اجاد فى صنيع مبانيها ما شاء وابدع
فى بديع معانيها الانشاء واطال فيها القول واطاب وملأ
العيبة والوطاب بمرسل حديثها المسلسل المستطاب ونصها بعد
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

تاهب فركب الحج قد كاد يرحل　　ايا من له شوق على الشرق يحمل
اذا ما حدا الحادى لطيبة معلنا　　بدت جمرة بين الجوانح تشعل
ومذ ودعونى ودعت مقلتى الكرى　　وقلبى على جمر الغضا يتململ
هنيئا لذاك الركب كم حاز من علا　　فصحبته ذخر لمن هو يعقل
ولم لا وفيه العالم العلم الذى　　افاض عليه الله ما كان يسأل
محمد بن الطيب الطيّب الذى　　له همة عنها العوالم تنزل
له الفقه والتوحيد طوع يمينه　　ونحو وتفسير به يتفضل
وقد صار فى المعقول فى الدهر عمدة　　يقسم اجزاء القضايا فيعدل
وان جئته تشكوا اليه عويصة　　بدت للذهن عرفانه تتذلل
تصرف فى علم البديع حقيقة　　فانسى صفى الدين ما كان يفعل
وانسانى الفتح بن خاقان نثره　　بطرس ومن نثر الحريرى اجمل
وفى الشعر والترسيل ما زال قدوة　　اذا قال خلت السحر فى القول يجعل

اتانا بآى من نتائج فكره ... لقد ذهلت من لا اخا له يذهل
بخط به انسى ابن مقلة خطه ... اذا ما رآه قال خطى مشكل
ارتنا زهيرا وامرء القيس والفتى ... لبيدا ومن حبك ابن زهير دون افضل
شربت بها كاس البلاغة مترعا ... فملت بها وجدا كما مال مثمل
فقلت اذا قالت ختام فصدقوا ... مقالتها فالصدق للمرء اعدل
فكم من قصيد عنده وخريدة ... تسليك عن حور الخيام وتغزل
فلا زلت ابغيه واهتف باسمه ... وامدحه لو ان نظمي يسهل
اخي وصفيي بل وشيخي وسيدي ... اسايل عنه الريح ان هبت شمال
واندب اطلالا بها كان جمعنا ... على نظم آداب بها السعد يكمل
فيا اهل سلع والنقا وديار من ... بيارقة الخيف اسمعوا النصح واقبلوا
اذا ما اتى ابن الطيب الدهر عندكم ... فقوموا على ساق اليه وعجلوا
يمينا فما في الشرق من هو مثله ... ولا احد فيكم عليه المعول
فهذا الذي ان قال قولا اتاكم ... بسحر وان ما رام شرحا يطول
سلوه على نظم الفصيح لثعلب ... يريكم له شرحا به الشرق يخجل
وان لاح اسفار اللثام اراكم ... شواهد ترضى في الخطاب وتقبل
ومهما بدا سمط الفرائد فاغنموا ... فوائده فالعلم فيه مكمل
وان يبد تحرير الرواية فارنوا ... معين معانيه التي تتسلسل
وكم له في التلخيص تخليص شاهد ... غدا كل عقل عن معانيه يعقل
الى كتب لا استطيع حسابها ... غدت في فنون العلم طرا تفصل
وان رمتم سرد الحديث فعنده ... احاديث ما فيها حديث معطل
فمن كان ظمآنا الى العلم منكم ... فها هو ذا ابن الطيب اليوم منهل
عليكم به لا تقربوا عوض غيره ... ففيه لكم كل المنى والمؤمل
عليه سلام الله ما فاح عرفه ... بشرق وما سار الحجيج المفضل
وما انشد المشتاق من كلف به ... خليلي ركب الحج قد كاد يرحل

قلت في قوله سلوه الابيات الخمسة تلميح الى ذكر بعض مولفاتي وتمليح بشي من مصنفاتي فاشار بالبيت الاول الى شرحي لنظم مالك بن المرحل الذي لبس من حلل البلاغة كل وشي مرحل وهو شرح حافل

تميته مرطئة الفصيح لمواطاة الفصيح وقد بالغ اصحابنا في الثناء
عليه وفرطوا عليه من الاداب ما هو جائز بنسبته اليه وسياتي بعض
اقوالهم البديعة الرائقة في مدح ذلك الكتاب والثناء على معانيه
الفائقة ولمح بقوله وان لم اسفار اللثام البيت الى كتابي المسمى
باسفار اللثام عن محيا شواهد ابن هشام وبقوله ومهما بدا
سمط الفرائد البيت الى كتابي المسمى بسمط الفرايد فيما يتعلق
بالبسملة والصلاة من الفوائد وبقوله وان يبد تحرير الرواية
البيت الى كتابي المسمى بتحرير الروايه في تقريرا لكفايه وبقوله
وكم له في التلخيص البيت الى كتابي الموسوم بتخليص التلخيص من
شواهد التلخيص وقد اشتملت هذه القصيدة الفائقة على انواع
من البديع بديعه وحازت من اجناس الجناس مستحسنه وبديعه
مع انطلاق تلك القريحة القوية وانسجامها وورود معانيها
من معين المودة اذ لا تراح الارتياح لغيرا لبن جامها وصدور
هاتيك الامداح عن صدر صادق المحبة وقلب قلب بين شغاف
الشغف شغافه وحبه وجمع اوصاف تمام العهد واصناف
دوام الود فلم يترك منها مثقال حبه ومحبة خالصه ليست كدر
على خالصه قضت على هذا المحب ان تتولد عن فكرته هذه الخريده
الحائزة من جواهر الثنا كل فريده وان كنت لست باهل لذلك
ولا مغتر بما هنالك بل اعتقد والله رقيب وشاهد انى على
النقيض من جميع ما تضمنته من الاوصاف المدحية هاتيك الشواهد
فان اجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس فنسأل
مولانا سبحانه ان يجعلنا فوق ما يظنون ولا يواخذنا بما يقولون
كما نسال الله تعالى ان يكافئ هذا المحب على نيته ويكون له في سره
وعلانيته ويجعل محبته لاشياخه غنيمة له وذخرا وينفعه
بطويته دنيا واخرى بقوته وحوله وكرمه وطوله ولما توجهنا
الى طريق عنق الجمل الفيناها لا تسلك بحافر ولا جمل جمعت
الطين والاوحال ومنعت الرجال والرحال فاخذنا في ذات

اليسار رغبة في اليسار وعدلنا عن الطريق المألوفة عن اليمين رجاء
السلامة بسلامها والمعونة بكلامها والبركة والقوة واليمين
ولم نزل سائرين ما بين تلال وهضاب وشماريخ لا تسأل عن نيل
الشماريخ ولا عن هضب الهضاب وكلما وافينا شعبة او شعبا
الفينا بنواحيها من الاعراب قبيلة او شعبا فيبادرون الى
تلقينا باللبن والحليب ويقولون مرحبا بزوار الحبيب فازددنا
نشاطا بتلك الفالات الحسنة ورأينا في الانفراد عن الطريق
الاخرى حسنة واي حسنة وبعد الزوال انحدرنا لاول الطريق
وادركنا من سلكها في اوحاله عزيق فلما سلمنا عليهم اخذوا في
التعجب والارتياب حيث اتيناهم انقياء الثياب ونزلنا بالنخيلة
لنتطهر بواديها لصلاة الظهرين ونخلوا عن القلوب بأداء
كل صح تلك العبادة كل دين ثم جددنا تسياره لندرك من تقدمنا
من السياره ومازال الناس يجتمعون بعشائرهم ويجمعون
لملاقاتهم ما يستبشرون به من بشائرهم وكان اصحابنا تقدموا
في الرحيل الاول فلم ندركهم حتى اشفى الشفق على الغروب وعول
فالفيناهم نزلوا الغور ما بين نجد وغور فنزلنا متأهبين لصلاة
العشاء ووجدناهم جادين في مناولة صلاة العشاء فبتنا هنالك
حتى طلع الفجر واغتنمنا ما في صلاته من المثوبة والاجر وارتحلنا
صباح الخميس مستمدين العون من مولانا ومادين له ايدي الشكر
والحمد على ما اولانا فظللنا سائرين في طريقة ارتحلت عنها عيون
الاوطار الاوطار وان غادرت من الغدران والعيون ما لا تستغني عنه

ووافيت ما بين الظهيرة والعصر ضريح امام العارفين ابي بكر
وجددت في الوادي الطهارة سائلا من الله تطهيري من الذنب والوزر
وصليت فيه الظهر وارتحت ساعة وصليت ايضا فيه ركعتي العصر
واقبلت ادعو الله جل بجاهه يتيسر لي في كل ما ارتجي امري
ويمنحني التيسير منه تفضلا فربي تعالى سهل العسر باليسر
الى ان ارى في مكة متيما يلا تمايل زهوا لا وصل لاميلة الكبر

ومن بعدها امسى بطيبة طيبا اجارا اذا جاورت طه من الجور
اعفر خدى حول تربة احمد فتربة رسول الله ازهى من التبر
وطيبة كل الطيبات بطيبها تفوح فلا تسال عن العنبر الشحر
فنسئل مولونا بجاه محمد وطيبة والبيت الحرام وبالحجر
يمن علينا بالوصول اليهما جميعا بلا قطع يكون ولا هجر
ويرفد هذا الوفد من فيض رفده بما املوا فى ذا المقام من الخير
الى ان يفوزوا فى منى بمناهم ويمنح كل منهم رابح التجر
ويسعدهم فى طيبة طيب سعدهم بزورة خير العالم النائل البر
محمد المحمود فى الكتب كلها بالسن اهل الافق والبحر والبر
واذ مدح المولى الكريم بنفسه سنا خلقه الممدوح فى محكم الذكر
فماذا يقول المادحون باسرهم ولو ملاوا الافاق بالحمد والشكر
عليه صلاة الله ما حن شائق اليه وما اعيت مدائحه فكرى

فلما قضينا الارب من الراحة واقتضينا من الاجابة ما ملا الراحة اخذنا فى الصعود لعقبة بنى مجاره الكبيرة المسافة الكثيرة الحجاره فادركنا الليل قبل الانحدار عنها وبتنا فى راسها مع من لم يمكنه الانفصال عنها وارتحلنا منها صباح الجمعه لندرك شيخ الركب ومن تقدم معه ودخلنا مع اشراق الشمس حرز الشيخ محرز وتوجهنا لزيارته والدخول فى حصنه الاحرز

وجئت بكل ما اعيى واعوز اؤم به مقام الشيخ محرز
وانزل عنده آمال ركب الحجيج فلا يخاف وليس يشاز
فان مقامه فى قطر تازا لدوار الرجا ما زال مركز
فيا مولى الموالى هذا وفد نوى البيت الحرام وما تميز
وانت امرت بالدعوات ربى وانت اجل من انجى وانجز
فنسئل من نداك الرحب وصلا الى الحرمين توصيلا معزز
بحق محمد خير البرايا وافضل من تسامى او تعزز
ومن فاق الانام بلا اشتراك وحاز المجد اجمعه واحرز
عليه الله صلى كل حين وسلم ما انثنى غصن وما اهتز

ووالى بالرضى الاصحاب طرا   وآل المصطفى والشيخ محرز

ونزلنا تازا ضحى ذلك اليوم واقمنا بها لاجتماع جميع القوم ولما
قرب الزوال توجهنا للمدينة لنغتنم بها صلاة الجمعة وننال من
فضل الله الخير اجمعه فقصدت مسجدها الجامع الذى هو لاشتات
المحاسن جامع مسجد رقى على اجل مساجد المغرب وحاز كل صنع بديع
ووشي مُغرب وانفرد بالثريا التى فاقت فى سناها الثريا والقبة
المحرابية التى لم تزل على سائر القباب رابية والمنبر الذى لم تزل
درر اعواده المقلدة على غرر اجياده ازهى من العود والعنبر
فاى مسجد احرز هذه الثلاث الخصال • وقال المورخون انه فاق بها
على الافاق وصال • الى فساحة الساحة وسعة الافنية ورحابة
الرحاب واتقان الابنية وغرابة صحنيه الصغير والكبير وغير
ذلك مما يقصر دونه التعبير وبقيت فى زيتون الصحن الكبير
انتظر الصلاة والخطبة واستدفع بحضورهما ريب الزمان
وخَطبه حتى خرج من بيت الخطابة رجل تدل ذاته على اميته •
وخطبته على عاميته فقضينا تلك الفريضة والقلوب من اندثار
العلم وانقراض العلماء مريضة ثم خرجنا لنجول فى تلك الارض ونقضى
من الحوائج السفرية ما يتاكد تاكد الفرض فالفيناها بلدة حصينة
متمنعة رصينة نصبت على يفاع وارتفعت بين الجبال اى ارتفاع
فكانت قلعة لانتشار عواصف هبوب الارواح وانقباض النفوس
من الغرباء والادواح غلبت عليها احوال البادية دون الحاضرة
وتيسرت لاهلها اسباب الفلاحة فهى لديهم بادية حاضرة وقد
راينا فى اطرافها واواسطها من اثار الاندثار والخراب وعاينا
خلال ديارها من دمن السرجين والتراب ما يدل على ان املاكها
فارقت ملاكها وبان بين بانات ديارها للفساد غراب واى غراب
فلا بدع ان اعرضنا عن اوصاف القاطن بها والساكن لان
اللبيب يستدل على ذلك بما اومانا اليه فى اوصاف المساكن وفيها
من المساجد ما فيه غنية للراكع والساجد ومن المزارات والمشاهد

ماينتفع بقصده والوقوف عليه للغايب والشاهد وقد زرنا من
امكننا زيارته من مشاهدها كمشهد سيدى محمد بن الجبش وسيدى عزوز
وسيدى واضح وسيدى على الجبار وسيدى ابى الفتوح وسيدى
موسى الجيلانى وسيدى على الدرار وسيدى عبدالله متعددا فى اماكن
منها وفى خارجها مشهد الامام ابى الحسن سيدى على بن حرزهم وسيدى
الخفاف وغيرهم ممن لم نعرف اسمه نفعنا الله تعالى بهم واعاد
علينا وعلى جميع المسلمين من بركاتهم امين ودفنا بها جماعة من
اصحابنا الذين اتخذوها وطنا وصيروها بعد مفارقتنا عطنا
وسرنا فوصلنا مع الاصفرار الى علويه فبتنا على ربوتها المشرفة العلوية
وارتحلنا يوم الاثنين فظللنا بالشريعه وقد ابدى لنا فيها زمان
الربيع من افنان الربيع رقيقه ورتيقه وسرنا منها فبتنا فى ارض
عارية من النبات خالية من البنين والبنات وارتحلنا يوم
الثلاثا فسرنا حتى وصلنا وادى دبدوا وهو جبل عظيم لم تزل
العربان عليه تتردد فينحدر من اعلاه ماء كثار لا يبالى ورده جماعة
او كثار فاخذ الناس فى الاستقاء والطهر واداء صلاة العصر
بعد الظهر ثم تجاوزنا ذلك الوادى وبتنا بقرب فم بلزوز امنين
من عدو العوادى وارتحلنا يوم الاربعا حادى عشر رجب ودخلنا
فم بلزوز الوادى العظيم الذى يقضى من شدة تمنعه العجب استدار
كالافعوان بين الجبال يمينا وشمالا وتعمق بين الاكام فلا تكاد
تلقى به جنوبا ولا شمالا وفى اثنائه ظهرت لنا هضاب عاليه
قيل لنا ان بها ضريح الامام المشهور بالكرامات العزيزة الغاليه
• ابى الحسن الرضى على بن المسامح • جليل العطيات الحليم المسامح •
• ثمال الوفود القاصدين جنابه • ومكرمهم طرا باسنى المنايح •
فتوجهنا بالنية اليه اذ لم يتيسر لنا الوقوف عليه لانحرافه عن
صوب الطريق وعدم الاقتدار على ارتقاء جبله الشاهق لضعف
الطريق وقلة الرفيق فى ذلك الفريق وسالنا الله تعالى بجاهه
ان يبلغ المقاصد من كل قاصد ويعم بسببه الحاضر كل باد

وحاضر

وحاضر وهو سبحانه يجازى ببلوغ الامنيات على النيات لانها
ركن الزيارات فلا تتوقف على مباشرة المزارات ثم توجهنا لدخول
الظهره فالفيناها تقصم غوا سالكها وتقصم ظهره ارض تكل
دون وصفها الاقلام وتعيى دون نصفها الاقدام وتضل
فيها القطا وتقصر عن ادناها الخطا عرضت وطالت وصالت
على كل تيهاء وطالت وخلت حتى لا تكاد تلقى بها الانيس ولو
التمسته من اليعافير او العيس وبتنا بقرب جبل يسمى القارة النا دفة
فى اوايلها سائلين من الله ان يومننا من غوائلها وارتحلنا يوم
الخميس واغصان رياض الزهو والسرور علينا تميس فظلنا بوادى
بنى مطهر الذى هو مجلى لجلاء الخصب والكلا ومظهر وصلينا به
صلاة الظهرين فظفرنا بغاية الصلاة والقرب واستقينا من
مائه النمير الذى لا تكدره الدلاء ولا تنقصه القرب وتجاوزناه
بقريب وبتنا فى نعمة تسلى الحزين وتطرب الغريب وارتحلنا منه
وسرنا حتى وصلنا المنقوب بالقاف المعقوده وهو واد عظيم
استقلت عقده لما اثبت الله عقوده غيران ماءه كاد ان يعجز عن
تكميل الاوطار لولا غدران غادرها فيه الامطار وتفرق الناس
فى كل ناحية يحفرون فيها فنجم لكل طائفة من الماء ما يكفيها حتى
اكتفى الناس كلهم وذهب عنهم تعبهم وكلهم ثم ادينا الصلاة
وقتنا وتجاوزنا ذلك الوادى وبتنا وارتحلنا نخد الجادة
بامتطاء الاكام وانتعال الغيطان حتى اتينا على بيار السلطان
وهى ابار عديده ذات مياه اجرها وافرة مديده فاستقى الناس
ما يكفيهم منها لعدم استغنائهم عنها ثم سارت الابل امام والخيل
يتقدمها كالامام وبقينا نحن خلفها نرتضع ثدى الراحة ونمترى
خلفها حتى صلينا الظهر والعصر وعصرنا النهار من الهاجرة اى
عصر وسرنا نقتص اثر الركب السابق ونعمل فى الوصول اليه نص
السوابق فلحقناه بعد المغرب وقد ضرب الخيام اى مضرب فبتنا
فى عيش هنى ونعيم مطرب وارتحلنا قاصدين ابا الضروس المجوف

برقيق الرمال ودقيق الضروس فنزلناه الضحى ناوين اقامة ذلك
اليوم لاستراحة المراحل والقوم والاستعداد من مائه للمفازة
التي استقبلناها امام اذ لم يكن لنا بالماء فيها المام وارتحلنا
خائفين من العطش اشد الخوف اذ لم يكن لنا بحصول الماء تيقن ولا
لهم خوف فكان الامر بخلاف ما ظن الناس وامتن علينا مولانا تعالى
بيوم لست لكثرة برده وبروده بالناس من فضل الله سبحانه وبركة
رسوله عليه السلام التي لم تزل على الافاق فائضة سبحانه فظللنا
سائرين غير خماص ولا ظماء ومتنا على غير ماء وارتحلنا نؤم عين
الحسنى فوصلناها وقد جردت سيوف مائها اللجيني ونزلناها
ناوين الاقامة لنستريح في نعيم تلك الخصابة ونستقي من معاني
تلك المقامة وارتحلنا منها فبتنا بالقصاع وهو موضع سمي بذلك
لاشتمال حجارته على نقر عظام تشبه القصاع ومنه اصبحنا على
القصيعات بالتصغير وهي نقر صغيرة حول حجارتها غدير صغير
فالفينا المطر قد غادر بغديرها مياها قليلة تسارعت لشربه
الابل الكليله وسرنا حتى قربنا من عين الحجر وبتنا ما بين اذخر
وذخيره وجليل وجليله وارتحلنا فاصبحنا ضحى على عين الحجر فالفينا
من اثرها قد منع الخراب عمرانها والحجر وحثثنا السير فوصلنا ظهرا
لقرية المشرية فتعرض اهلها للحجاج واخذوا معهم في البيوع
والاشربة والفينا فيها من السمن والاغنام ما فيه غنيمة للانام
وزرنا فيها روضة الشيخ محمد العمري الملقب بمولى الخلوه وروضة
الشيخ عبد الرزاق المجلد في تلك الخلوه نفعنا الله وجميع المسلمين
بتلك المزاره وغفر لهذا العبد المذنب ما اثمه واوزاره وخرجنا
بعد قضاء المآرب لبابها فادينا من دين الفرايض ما نسال الله
ان يجعله من خالص العبادة ولبابها وسرنا حتى مالت الشمس
للاصفرار ونزلنا بحكم الاضطرار وارتحلنا فظللنا سائرين حتى
اذنت الشمس بالمغرب فنزلنا مسرعين لاداء صلاة المغرب فبتنا
بواد قبيل النخيلي بعدما اشرفت على الاشفاء في الوصول الشرفه

رحلى

دَجلى وخيلى وارتحلنا فاتينا النخيلى وقد اشرق الصباح ولا
اشراق الوجوه الصباح وهوا النخيلى تصغير نخل التمر اعزه ياء نسب
ورايت فى بعض الرحل انه مُخيليف بابدال النون ميما وبزيادة
الفاء بعد المثناة التحتية وكانه تصغير مخلوف وهوا الكورة ومنه
مخاليف اليمن كما فى القاموس وغيره وبعضهم يسميه نخيل تصغير نخل
من غير ياء ولا تعريف وهذا الموضع فيه يجتمع طريقة الركب
الفاسى مع السجلماسى وسرنا منه حتى تجاوزنا واديا عظيما يسمى
وادى لطرفا وبتنا نسامر من المواكب طرفا ومن الكواكب طرفا
وارتحلنا فاصبحنا ضحى على وادى الاشبور وهو واد عظيم لا ماء به
نصله عن السمك والاشبور كثرت فى جوانبه اجناس النبات والشجر
وكثرت فى نواحيه آساس الجبال والحجر اكتنفته شواهق الجبال
وحف باصوله من معادن الملح ما لم يخطر ببال فاخذ الناس ياخذون
من هاتيك الملح ولم يعرجوا على ماءة الاجاج المالح غيران به عينا
اقرت بمعينها من الركب عينا اكتفى بها الحجاج عن غيرها من
الماء الاجاج وسرنا نحوا من ثلاثة اميال بين تلك الاطواد ثم اشرفنا
على مدشر خرب لم يبق الا اثاره بعد ذلك الوادى وبعد مجاوزة
ذلك المدشر الفينا معشرا من الاعراب ينتظرون الحجاج واى معشر
فطلبوا من الشيخ النزول لاقامة السوق فما اجابهم الا والناس
قائمون على سوق فتجاوزناهم حتى توسطنا شماريخ البور وبتنا
على غير ماء سوى ما سقينا من عين وادى الاشبور وارتحلنا
فاضحينا بعين ماضى بعد اعمال السير الحثيث الماضى فاعتاقنا
الرحال وحللنا السحال واخذنا نتنعم فى مائها العذب الفرات
الذى هوا ازهى من النيل واشهى من الفرات عم ماؤها جميع تلك
الارجاء بالانتفاع وشمل القاع واليفاع وقامت بين الحجاج
واعرابها سوق عظيمة لا يعبر عن اعرابها وقد حاز اهلها من
كرم الاخلاق الاوفى حظ واوفر خلاق اكثرهم للقران حافظ
وبالعرفان لافظ واما نساؤها فانهن من ازهر النساء سناء وازهاها

وابهرها سنا وابهاها عيون فواتر امضى في القلوب من السيوف البواتر وقدود زواهر ازهى في العيون من الغصن الزاهر وقد بالغ ارباب الرحل في مدح ذلك الجمال ومدوا اطناب الاطناب في وصف ذلك الكمال فلذلك صبا القلب لذكره ذلك فقال لما مال

عين ماض بها عيون مواض فاعلات فعل السيوف المواضي
والتفات الغزال لما غزالي صائلا صولة الاسود المواضي
وقدود تزهو اذا اقرت القلب ازدهاء الاغصان بين الرياض

غيرانا اخبرونا انهن لا يستعملن الماء في الاغتسال لانه يضر بابدانهن مهما قطر عليها وسال وقد ورد علينا سائل بين موجب ذلك واوضح عذره قائلا ان ذلك الماء يسقط حمل الحوامل ويذهب من الابكار بالعذره وكنا اجبناه بان عدم الاغتسال ربما يخفف في حق العذارى والحوامل فقط لهذه الضرورة الكبرى واما غيرهن من الفارقات البطون والايامى فلا يعذرن بترك الاغتسال اذ لا ضرورة تلجئهم لذلك والله سبحانه اعلم وارتحلنا من عين ماضي باتين على التخفيف كل مستقبل وماضي وسرنا حتى قابلنا بخوت وهي قرية حافلة مازالت في جلابيب السعة والرفاهية رافلة اشتملت على بساتين وجنان وحدايق احدقت السرور بكل جنان ولم ندخلها لانحرافها يسارا عن الطريق لكن خرج من اهلها لتلقينا كم من فريق فبقي الركب مع هؤلاء الاعارب ريثما قضوا المآرب وسرنا نطوي نشر تلك الفيافي بهما بعد بهما حتى مالت الشمس للغروب وبتنا على غير ماء وارتحلنا فاصبحنا عند ارتفاع النهار على الاغواط البلدة المحمودة الامجاد الممدوحة الاغواط قال فيها ارباب الرحل انها بلدة واسعة ذات ارضين واسعة ومحارث كثيرة وفواكه متنوعة غير انها كثيرة الرياح والرمال حتى قيل ان الرياح ذهبت بقرية من قراها باهلها وطمست عليها الرمال ولم يبق لها اثر نسأل الله السلامة والعافية ولما وصلناها خرج اهلها لملاقاتنا وطلبوا من الشيخ النزول عندهم للتسويق

واشترار

واشتراء السلع المغربية وبيع السويق فساعفهم بذلك بعد تمنع
شديد لما راى في اقامة السوق هنالك لنا ولهم من الراي السديد
ونزلنا قبالة نخيلهم الباسقة وقصورهم المتناسقة وبات
الحجاج اخذين الحذر هنالك لما يعتادون فيها من النهبة والسرقة
وغير ذلك وقامت بينهم سوق حافلة كفيلة بمقضيات الركاب
العظيمة فضلا عن القافلة وورد علينا هنالك جماعة من الطلبة
فيهم اخونا في الله ومحبة شيخنا ووسيلتنا الى ربنا والواسطة
بيننا وبين نبينا الامام ابو العباس احمد بن ناصر اعاد الله علينا
وعلى المسلمين من بركاته ونفعنا بسكناته وحركاته والفقيه المسن
الخير الناسك ابو زيد السيد الحاج عبد الرحمن الفجيجي وولده الفقيه
الانجب صاحبنا السيد اسمعيل واكرمونا بانواع التمر والخضر والفواكه
جزاهم الله خيرا وتنا ولنا معهم مسايل متنوعة في الفنون العلمية
وورد علينا سوال يتضمن البحث عن رواية الاستتار في البول
واستشكال عده من الكبائر في البخاري حيث قال باب من الكبائر
ان لا يستتر من بوله وكنت اجبت عنه بان معنى الاستتار التحرز
والتوقي والتحفظ من البول كما تدل له الاحاديث وان الاستتار
افتعال من السترة وقول ابن مرزوق انه استفعال لا افتعال
سبق قلم كما لا يخفى وصوابه افتعال ورواية يستتر بمثناتين
فوقيتين هو الذي في اكثر الروايات وفي رواية ابن عساكر
يستبرئ بموحدة ساكنة من الاستبراء ولمسلم وابي داود من حديث
الاعمش لا يستنزه بنون ساكنة بعدها زاي ثم هاء هذا حاصل
ما ذكره القسطلاني من الروايات وقد وقع عند ابي نعيم في المستخرج
من طريق وكيع عن الاعمش لا يتوقى ونقلها ابن حجر ايضا مع ما سبق
من الروايات وقال ابن مرزوق في شرحه انه روي لا يتاذى قال
وفي كلام بعضهم ما يقتضي انه روي لا يستنثر يعني بالمثلثة وهو
استفعل من النثر اي لا ينفض ذكره من البول فان صح رجع الى
لا يستبرئ وهذه الرواية التي فهمها ابن مرزوق من كلام هذا البعض

في غاية الغرابة والله اعلم فمعنى لا يستتر يجعل بين جسده وثوبه وبين
البول سترة اي وقاية منه اي من لا يستتر فقد فعل كبيرة وهو
ترك الاستتار ومعنى لا يستبرئ اي لا يطلب البراة من البول
ولا يفعلها ومعنى لا يستنزه لا يطلب النزاهة وهي التخلص والبعد
من البول وهي كلها متقاربة قال وراوية لا يستتر وان امكن
حملها على كشف العورة لكن يبعده من البول من التعليلية وكشف
العورة محرم سوا كان من اجل البول او من اجل غيره الا ان يقال
اذا كان كشفها من اجل البول محرما مع الحاجة اليه فمع غيره احرى
فهو من التنبيه بالادنى لكن تبويب الصحيحين وغيرهما يدل على ان
الايمة انما فهموا الاستتار بمعنى التوقي وهو وان كان مجازا من
التشبيه والاستعارة لكن قرينة اتصاله بمن وتحريم الكشف مطلقا
يرجحانه على حمله على الحقيقة وكذلك ما جاء من التصريح بهذا المعنى
فيما روي تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه قاله ابن مرزوق
في شرح البخاري وقال ابن حجر بعد تحرير الروايات فعلى رواية الاكثر
معنى الاستتار انه لا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني لا يتحفظ منه
فتوافق رواية لا يستنزه لانها من التنزه وهو الابعاد وقد وقع عند
ابي نعيم في المستخرج من طريق وكيع عن الاعمش كان لا يتوقى وهي مفسرة
للمراد واما رواية الاستبرا فهي ابلغ في التوقي وتعقب الاسمعيلي
رواية الاستتار بما يحصل جوابه فيما ذكرنا قال ابن دقيق العيد لو
حمل الاستتار على حقيقته للزم ان مجرد كشف العورة كان سبب
العذاب المذكور وسياق الحديث يدل على ان للبول بالنسبة الى
عذاب القبر خصوصية يشير الى ما صححه ابن خزيمة من حديث ابي هريرة
مرفوعا اكثر عذاب القبر من البول اي بسبب ترك التحرز منه
ويؤيده ان لفظ من في هذا الحديث لما اضيف الى البول اقتضى نسبة
الاستتار الذي عدمه سبب العذاب الى البول بمعنى ان ابتداء
البول سبب العذاب من البول فلو حمل على مجرد كشف العورة زال
هذا المعنى فتعين الحمل على المجاز لتجتمع الفاظ الحديث على معنى واحد

ويؤيده

ويؤيده ان في حديث ابي بكرة عند احمد وابن ماجه ان احدهما يعذب
في البول ومثله للطبراني عن انس وقال القسطلاني بعد تفسير
الاستتار بالتحفظ والتوقي والابعاد ولا يقال ان معنى لا يستتر
يكشف عورته لانه يلزم منه ان مجرد كشف العورة سبب للعذاب
المذكور لا باعتبار البول فيترتب العذاب على مجرد الكشف وليس
كذلك بل الاقرب حمله على المجاز ويكون المراد بالاستتار التنزه عن البول
والتوقي منه اما بعدم ملابسته واما بالاحتراز عن مفسدة تتعلق به
كانتقاض الطهارة وعبر عن التوقي بالاستتار مجازا ووجه العلاقة
بينهما ان المستتر عن الشيء فيه بعد عنه واحتجاب وذلك شبيه بالبعد
عن ملابسة البول وانما رجح المجاز وان كان الاصل الحقيقة لان
الحديث يدل على ان للبول بالنسبة الى عذاب القبر خصوصية فالحمل
على ما يقتضيه الحديث المصرح بهذه الخصوصية اولى وايضا فان لفظة
من لما اضيفت الى البول وهي لابتداء الغاية حقيقة او ما يرجع الى
معنى ابتداء الغاية مجازا يقتضي نسبة الاستتار الذي عدمه سبب
العذاب الى البول بمعنى ان ابتداء سبب عذابه من البول واذا حمل
على كشف العورة زال هذا المعنى والحديث تتعلق به وجوه كثيرة
ومباحث اعرضنا عنها اذ ليس هذا محل بسط الكلام فيها مع كونها
لم يتعلق بها غرض الباحث وفيما اشرنا اليه كفاية لمن له بمباحث الكلام
دراية والله اعلم سبحانه وارتحلنا من الاغواط نحث المسير فوصلنا
وادي الحوت عصرا واستقينا منه وبتنا بعد مجاوزته بيسير
وارتحلنا فوصلنا بعد ارتفاع النهار دمت وبعضهم يسميه دمد
بالدال بدل المثناة الفوقية وهي قرية على سفح جبال عن يمين الذاهب
مشرقا وفي اصل جبالها واد عظيم كثير الاشجار والفواكه والمياه
كبير النفع لما شملته مسارحها من الانعام والشياه غير ان اهلها
مشهورون بالتلصص والانتهاب معروفون بسرقة الحجاج بين تلك
الهضاب فيا سعادة من غزا واديهم وفرق عن جموع وفود الحرمين
الشريفين ناديهم ولما توسطنا بين هاتيك الاطواد جلسنا هنيئة

للاستراحة والوضوء من ذلك الواد ثم سرنا حتى وصلنا البرج ويقال
عين البرج فبتنا به وطرف كل واحد من الحجاج نابه ومنه بتنا
في اول عبد المجيد وهو مبدا المفازة الجارية التي طوقت بسخاب
المشاق والتعب من المسافرين كل جيد وارتحلنا منه فظللنا سائرين
في غدران غادرتها الامطار واضاءة اضاءت منها وجوه الاوطار
وسرى بها الروع عن الناس واستبدل الروع من وحشة العطش
كل ايناس وذهب ما كان الناس يتخوفونه من قلة المياه ووجد
كل واحد من الاوجذ ما طاب ريه ورياه وهذه المسافة من اول
عبد المجيد الى انتهاء وادي سيدي خالد من المفاوز التي ما زال
يتحدث بعظم مشقتها وبعد شقتها الولد عن الوالد كلها وعرة
مخوفة معطشة مجهلة لن يسلك حاج فيما حوت من المخافات
وابرزت من الافات ولن يجهله قالت جماعة من ارباب الرحل
قد اجمع الحجيج وصح عندهم انه لا يسلكها ركب الا ويضيع فيها
ادمي او غيره وجرى على السنتهم لا بد ان تاخذ هذه المفازة شاتها
وقد تقرر ان الله سبحانه هو الفاعل المختار الجاري فعله جلت قدرته
على حسب المشية والاختيار فالحذر الحذر من اعتقاد مثل هذه الاعتقادات
الفاسدة القاعدة في بنائها على غير قاعدة وقد مات لنا فيها رجل
من الركب نادته منيته قبل ان تبلغ امنيته رحمة الله تعالى عليه
وسرنا نحث المطيات حتى اصفرت الشمس وبتنا بعد مجاوزة التوميات
وهما ربوتان عظيمتان كانهما شبهتا بالتوام الذي يولد مع اخيه
في بطن واحدة لشدة تقاربهما وتماثلهما وارتحلنا فاصبحنا
ضحى بوادي نبي الله تعالى سيدي خالد بن سنان عليه السلام وتلقانا
من الاعراب الذي بنواحيه اقوام يعجز دون حدهم الحساب ويكل
دون عدهم كل الحساب وملأوا تلك الارض ما بين الطول والعرض
كان الارض تفور بهم فورا وربما تخيلتها مالت فمارت مورا
وطلبوا من الشيخ نزول الركب ليتسوقوه فابى لما علم انهم لا يعتبرون
في النهب اما ولا ابا فاسرع السير لما ثبت لديه من سرقة القوم

وخيانتهم وكثرة تلصصهم وقلة امانتهم وبعد مفارقتهم اصابنا
عاصف من الارواح كاد ان يذهب بالاجسام ويزهق بالارواح
وملأ الوجوه والعيون غبارا واذهل الناس فتراهم سكارى وما هم
بسكارى فشغلنا بهذا الامر الشاق الشديد عن زيارة سيدى خالد
والوقوف على ضريحه المشهور بالفضل الوافر المديد ولما قابلناه
كنت قلت قصيدة من غرر القصائد مشتملة من البديع على درر الفرائد
واولها حططنا بمغنى خالد بن سنان لنحظى به عن اسهم وسنان
اخالد منك الود اصبح خالدا لدى خلدى بل فى صميم جنانى
اخالد هل لى للحرامين وصلة انعم منها فى فسيح جنان
اخالد من لى ان افوز بحجة لها حجة فى البر ذات بدان
اخالد هل لى زورة لمحمد نبى سما عن مشبه ومدان
عليه صلاة الله ماحن شائق الجوانح من قاصى اليه ودان
وباقيها ضاع مع ما اشرنا اليه من الشىء المضاع وقد ذكر شيخ شيوخنا
الامام العلامة الرحلة الاديب البارع ابو سالم عبد الله العياشى رحمه الله
فى رحلته خالد بن سنان وقال ان قبره من المزارات الشهيرة ببلاد
الزاب تقصده الاركاب للزيارة من قواصى افريقية كلها اشتهر امره
لدى الخاص والعام والبدو والحضر وعليه مسجد عظيم وحوله مدرسة
والناس ينقلون عن ذلك المشهد كرامات قال وقد اشكل على امره
وسالت عنه من يظن به علم فلم اجد عند احد ما يشفى ولا رايت خبره
فى تاريخ ولا تقييد وغاية ما سمعت من بعضهم ان سيدى عبد الرحمن
الاخضر اخبرهم انه شاهد النور صاعدا من تلك البقعة الى السما ثلاث
ليال واخبر انه قبر نبى الله خالد فان كان اطلع على ذلك من كشفه فيسلم
له فانه اهل لذلك وقد راينا وسمعنا فى بلاد المشرق بمشاهد متعددة
من قبور الانبيا والاولياء اظهرها اهل الكشف الصادق فترا بحسن
النية وجميل الاعتقاد وحسن الظن بقايل ذلك حتى ان المشهد المنسوب
لكليم الله موسى عليه السلام بالارض المقدسة انما اظهره بعض اهل
الكشف بعد الستمائة او قريب من ذلك وهو الان من المزارات العظيمة

الشهيرة وقد اطال في ذلك ونقل اقوالا وجة منها انه نبي من العرب
بعث بين عيسى ونبينا محمد عليهم السلام وانه بارض الحجاز وياما ابعد
الحجاز من الزاب واطال في استبعاد ذلك كله واستغرابه وحاصل
ما انفصل عنه ما اجابه به عن هذا المشهد شيخه ابو بكر بن يوسف السجستاني
لما ساله عنه ان الاقرب الذي تركن اليه النفس بعض الركون انه
احد رسل عيسى الثلاثة المذكورين في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب
القرية الاية فقد ذكر بعض المفسرين ان احدهم اسمه خالد وانه نبي
اصحاب الرس وقد ذكر بعضهم ان بلاد الزاب هي بلاد اصحاب
الرس فان صح ان هذا قبر نبي اسمه خالد فهو هذا والله اعلم ويؤيد
ما نقله ابو سالم عن شيخه السجستاني ان صاحب الاستبصار ذكر
عن اسحق بن عبد الملك بن الماجشون انه لم يدخل افريقية نبي قط
واول من دخلها اثنان من حواري عيسى عليه السلام قلت ثم قال
ابو سالم وقد مدحت خالد بن سنان بابيات لما مررت بهذا المشهد سنة اربع
وستين وهي

يا نبي الاله يا ابن سنان	خالد احد لخائف بامان
مذنب يطلب السماح ويرجو	نفحة تطلق الاسير العاني
قد اناخ ببابكم مستجيرا	بجنابك من صروف الزمان
فاحم انت خير من يمنع الجار	ويطعن دونه بسنان
وحشاك يسام جارك يا خير	الورى بهانة وهوان
فاحم من ام بابك الرحب يرجو	غارة تكشف الهموم الدواني
ايخاف اذا اتى لحماكم	مستجيرا من المهالك جاني
كن كفيلا لمحو ذنبي فمالي	بالذي قد جنيت منه يدان
ما اضاعك اذ اضاعتك عبس	من اجلك في اجل مكان
لم حباك نبوة وارتفاعا	قد غدا دون قدرها الفرقدان
لو اطاعوك في وصيتك الغرا	رأوا ما تقول راي عيان
قد اتيتك طالبا وصلة الله	فان نلت هذه فكفاني
فبجاهك اسال الله فيها	لا فوز بها بغير توان
وقصدتك مادحا بنظام	مثل زهر الربا ونظم جمان

فتقبل

فتقبل بفضل جودك مني | حلة رمت نسجها بلساني
يا نبي الإله فاجعل جزائي | بالذي ابتغي وسكني الجنان
يا نبي الإله فاقبل علاها | سطرته من المديح بناني
فعليك من الإله سلام | وصلاة تترى بكل اوان

وتجاوزنا ذلك الوادي في حالة عدت عليها من العاصفات ايدي العوادي ونحن نتضرع الى الله تعالى ونبالغ ونبتهل اليه سبحانه بكل قول بالغ ونطلب منه ان يكشف عنا ما نزل بنا من شدة الاهوال التي غيرت الاحوال وان يسكن تلك العواصف التي شوهت الوجوه وبالغت في اذاها وطمست العيون فاسالت دموعها ولم تقتصر على قذاها واذكرتنا ما قاله الصلاح الصفدي في مثل هذه الحالة من الاداب التي فاح عرفها وعبق شذاها.

ايا شعثا قام في وجهنا | وزاد وعن ضربنا ما انتهى
سفيت الرمال على وجنتي | ومن ماء عيني حولتها
تخيلت ان جفوني على | عيوني سطورا فرملتها

وسرنا حتى تجاوزنا واديا وبتنا في غدوته آمنين لجفافه من عدوته فما غاب الشفق حتى كثر البرق والرعد وارسلت السماء من الامطار ما لم نره قبل ولا بعد واشتدت العواصف وهب من كل ناحية ريح قاصف فابتهل الناس الى الله تعالى بالدعاء المتوال واخذوا يسئلونه اللطف في جميع الاحوال حتى استجاب سبحانه السؤال وتداركنا بما املناه من اللطف في الحال والمآل وهدأت العاصفات وفترت السحائب الواكفات فسبحان من يستجيب دعاء العبيد ويكون معهم في ظلمات البحر وظلمات البيد ويعاملهم بخفي الالطاف ابد الابيد وارتحلنا فاصبحنا على ذلك الوادي الذي تجاوزناه عشية وهو يبس لا ماء به البتة فالفيناه قد تلاطم موجه وتعاظم لجه ولم نستطع قطعه ولا ثبته فبقينا على شاطئه ننتظر انكسار سورته رجاء السلامة من سطوته وسورته ولما آنت الظهيرة ظاهر كل واحد ظهيره واقتحمنا عبور ذلك النهر ونهرنا الرواحل على اقتحام

الحدة والارتفاع وشدة البرد

اي الشدائد

شدايد اى نهر ونجى الله سبحانه وفدى من افاته وامنهم ولله الحمد
من مخافاته وكانت الامواج عدت على بعض الثياب الفيناها
موقنة عند اعراب ذلك الموضع فى الاياب وبعدما خلفنا من
ذلك الوادى شدايد وامواجا تعرض لملاقاتنا الاقوام افواجا
افواجا يبالغون فى التهنية والسلام ويلاطفون وفقه الله تعالى
بالكلام واقام الحجاج معهم سوقا على ساق ريثما ادينا الظهرين
وحدا بهم الحادى وساق ومتنا بعد مجاوزة عين اومش والمدثر
الذى له بها التصاق واتساق وارتحلنا فوصلنا بسكرة ضحى
يوم الخميس الرابع من شعبان وقد لاح لنا وجه السرور وبان
فاقمنا بها الخميس والجمعه وقضينا منها ارب السفر اجمعه وتوجهنا
يوم الجمعة الى مسجدها الجامع المزهو على ما عداه من الجوامع المتقن
البناء المتسع الفنا وصعدت لمادنته العظيمة البنيان الشهيرة
الاتقان بين الاعيان الواسعة المدارج حتى ان الجمل ليصعد بحمله
من غير انحناء ولا اعوجاج فى تلك المعارج وبقينا بالمسجد حتى ان
وقت الصلاة فخرج من بيت الخطابة امام المسجد وخطيبه وفقيه
البلد الذى فاح عرف علمه بنواحيه وطيبه ابو محمد عبد الواحد بن محمد
الرمانى فخطب خطبة وعظ فيها الناس واستطرد تبشير الحجاج
فاذهب وحشتهم بالايناس وبعدما صلينا اجتمعنا فى ذلك المسجد
بجماعة من اصحاب شيخنا الامام الكبير العارف بالله تعالى ابى العباس
احمد بن محمد بن ناصر الدرعى رضى الله عنه ونفعنا به فيهم الاخ الصالح
الماذون له من الشيخ فى تلقين الناس بتلك النواحى كلها البركة
الخير المسن المرضى الاحوال ابو محمد عبد الحفيظ بن الطيب من اولاد
سيدى ناجى نفعنا الله به واخوه الفقيه المشارك ابو عبد الله محمد بن
الطيب واولادهما وغير هولاء من الاخوان وخرجنا من المسجد
وتوجهنا لزيارة من امكنت زيارته من صالحيها ومشاهدها نفعنا
الله تعالى بهم ورضى عنهم ونفعنا بسببهم وجلنا فيها فاذا هى مدينة
عظيمة واسعة الجوانب حوت من الاشجار والابار والنخيل ما لم يوجد

فى غيرها

في غيرها وقد اطال شيخ شيوخنا الامام العياشي في رحلته الكلام عليها
وبالغ في وصف مسجدها واسف على ما كان من العلوم ينسب اليها
وذكر ان ادراج ما ذنتها مائة واربع وعشرون درجة ووصفها
بالطول والسعة والاتقان كما اشرنا اليه انفا قال والمسجد في غاية
السعة واتقان البناء الا انه قل عامروه وضعف ساكنوه فلا ترى
فيه مدرسا ولا قارئا مع ان هذه المدينة من اعجب المدن واجمعها
لمنافع كثيرة مع توفر اسباب العمران فيها جمعت بين التل والصحرا
ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار
في نواحيها وارحاء متعددة تطحن بالماء ومزارع حناء وفيها انواع
من الفاكهة والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في اسواقها وبالجملة
فما رايت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا احسن منها ولا احصن
ولا اجمع لاسباب المعاش الا انها ابتليت بتخالف الترك عليها
وعساكر الاعراب فتستولي عليها هولاء تارة وهولاء تارة الى ان بنى
عليها الترك حصنا حصينا على راس الماء الذي ياتي اليها فتملكوا
البلاد واضروا باهلها واجحفوا بهم في الخراج ولم يقدر على الخروج
عليهم لتمكنهم من الماء الذي به حياة البلاد واهله فاجتمعت عليها
غارة العرب من خارج وظلم الاتراك من داخل قال وقد
اشفت على الخراب وقاربت يباب لولا ما تاثل من اسباب عمرانها
الموجبة لرغبة الناس في سكناها وسد الامر من قبل ومن بعد
وارتحلنا من بسكرة التي هي قاعدة بلاد الزاب يوم السبت
السادس من الشهر وسرنا حتى قابلنا قبر الامام الكبير الشهير الذي
اثبت له غير واحد من الائمة صحبة سيد الامة فاشتهر في تلك
الافاق بالصحبة وشهد له فيها بالكرامات وعلو الرتبة وصارت
الركبان تسير لمقامه في اقتناء المنافع سيدنا ومولانا عقبة بن
نافع زاده الله رفعة واعم سائر العباد نفعه ولما لم يمكنا
الوقوف على ضريحه توجهنا لاستنشاق ريحه واخذنا نسال بجاهه
خيرات الدنيا والاخرة ونبتهل الى الله تعالى ان يفيض علينا

بحار كرمه الزاخره وقد كنت خاطبته بابيات بديعه تنيف على خمسة
عشر بيتا ضاعت في الرحلة الضائعه وقد علق بالفكر منها
ليفاظ اعراف نشرها ضايعه واولها

اعقبة حبنا اجباد وعقابا   اضلت مواميها قطا وعقابا
اعقبة سل مولوك جل جلاله   يومننا كي لا نخاف عقابا
فها نحن وفد مد حجاج بيته   وطيبة اذ من طيبها الكون طابا
قصدناك في نيل المقاصد كلها   ومثلك من بالمكرمات اجابا

ولما تجاوزنا الوادي الذي قبالة سيدي عقبه طلب عربان تلك
الارض من الشيخ النزول ليتسوقوا الركب فساعفهم بذلك
ونزلنا بعد الزوال لاقامة السوق والمبيت هنالك وارتحلنا [illegible]
يوم الاحد فظللنا سائرين في ارض اخصاب معشبة الاخصاب
مياه غدرانها سائحه وطيور اغصانها صائحه ونسمات ازهارها
فائحه وجداول انهارها غادية ورائحه وجميع نباتاتها واشجارها
حازت اذكى رائحه فياما ازهى تلك العيون في الابصار والعيون
وياما اجمل تلك الازهار المحفوفة ببديع الازهار اذكرها حسن
حليتها الزهرية ما كنا نتناشده زمن الصبا من الاشعار الزهرية الى الغريب
كالقصيدة الحلية المحلية في حلبة هاتيك الحلية الجلية .

ورد الربيع فرحبا بوروده   وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه   وانيق ملبسه ووشي بروده
فصل اذا افتخر الزمان فانه   انسان مقلته وبيت قصيده
يغني المزاج عن العلاج نسيمه   باللطف عند هبوبه وركوده
ياحبذا ازهاره وثماره   ونبات ناجمه وحب حصيده
وتجاوب الاطيار في اشجاره   كبنات معبد في مواجب عوده
والغصن قد كسي الغلائل بعدما   اخذت يدا كانون في تجريده
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى   ماء الشبيبة في منابت عوده
والورد في اعلا الغصون كانه   ملك تحف به سراة جنوده
وكانما الاقاح سمط لئالئ   هو للقضيب قلادة في جيده

و

والياسمين كعاشق قد شفه … جور الحبيب بهجره وصدوده
وانظر لنرجسه الجني كأنه … طرف تنبه بعد طول هجوده
واعجب لناد ريونه وبهاره … كالتبر يزهى باختلاف نقوده
وانظر الى المنثور في منظومه … متنوعا بفصوله وعقوده
او ما ترى الغيم الرقيق وقد بدا … للعين من اشكاله وطروده
والسحب تعقد في السماء ماتما … والارض في عرس الزمان وعيده
ندبت فشق لها الشقيق جيوبه … وازرق سوسنها للطم خدوده

واني لي باستيفاء المعاني التي قيلت في مثل هذه المغاني وقد اعجزت كل قائل واغنت كل معاني ولاجل ما اشتملت عليه هذه الارض من الخصب والنماء لم يحتج احد فيها الى حمل ماء وذلك كله من فضل الله تعالى وبركة الرسول صلى الله عليه وسلم والامن يسلم في تلك الموامي لولا ان الله سلم ولما نثرت الشمس زعفرانها على الربا وفتت مسكها على الغيطان وقربنا من وادي كبير ينحدر من ناحية جبل الصامدة يسمى وادي كشطان فبتنا بين تلك الاكام نتجاذب اطراف الكلام ونزل من الصامدة وهم اعراب تلك الارض ناس متدينون لا باس باخلاقهم مع ابن الارض فمن توجهوا فيه لمل نتما للعلم انضافوا اليه وجالوا الى الغربية
معه في المسائل العلمية بقصد الرواية عنه والقراءة عليه وارتحلنا يوم الاثنين الثامن يسوقنا ما في حشو الاحشاء من الشوق الكامن فزرنا ضحى بوادي الحميدات ومنه ظللنا في وادي الاعراب المقابل لزاوية سيدي ناجي المشهورة في تلك الارض بين هولاء الاعراب ومن حفدة هذا السيد العظيم سيدي عبد الحفيظ وسيدي محمد ابنا الطيب المتقدم ذكرهما فيمن لقيناه ببسكرة وقد ذكرهما الشيخ ابن ناصر رضي الله عنه في رحلته واثنى على زاويتهما وجدهما وبالغ في مدحه وشكره وقد لقينا هنا ايضا جماعة من اولاده وجملة وافرة من اهل جواره وبلده وسرنا حتى اصفرت الشمس وبتنا في سبخة عارية من النبات والاشجار خالية حتى من الاحجار سماها لنا بعض الناس وزرا وما حوت ملحا ولا وزرا وهي في الناحية اليسرى بعد زريبة حامد الكثيرة المحامد

وكنا تركنا الزرايب يمينا وسرنا قريبا من سبخ ما حواليها من الوهاد
خشية اشتداد الوحل في تلك السبخات لقرب عهودها بسواكب
العهاد وارتحلنا يوم الثلاثا فظللنا في المغارة العظيمة
المعروفة بالنفيضه وبتنا بعد ان افاضت علينا من معينها
فيضة واي فيضه وارتحلنا يوم الاربعا فاصبحنا على غران
بكسر الغين المعجمة وزن عمران وهو جبل يخرج من ناحيته الى اسفله
واد سايل لا رتواء كل وارد وسايل فاسترحنا به ريثما نسوق
اعرابه مع الحاج واستقى من مائه الحاج من له فيه حاج
وسرنا حتى وصلنا ارضا سماها اعرابها سندس فبتنا باسطين
من بسيط ربيعها بساطا من سندس وارتحلنا يوم الخميس
الحادي عشر فظللنا قبالة قرية الشبيكة التي باعد الرحمن
عنها الظلم والعشر بل انبت في سفحها نخيلا باسقه وظللنا من
خيرها بتلك السباخ بسحابة باسقه وجميع هذه الارض رمال
ليس فيها من الماء وشل ولا سمال وعن يمين الذاهب شرقا السبخة
الملحة العظمى التي ما زالت تبيد في تلك البيد من المسافرين جسما
وتبيد منهم عظما وقد وصفها الامام ابو سالم وشيخنا ابن ناصر
وغيرهما ومررنا عصرا بالاخاديد العظام المسماة بام الاحوى
فالفيناها فائضة بالمياه المطرية التي روت مرعاها فلم يكن
غثاء ولا احوى فاخذنا في سقي البهايم وامتلاء القرب عند ذلك
وبتنا بعد مجاوزة طرف من السبخة التي هنالك وارتحلنا
فاصبحنا يوم الجمعة في الحامه التي منفعة مائها السخن في تلك
الارض عامه وهي قرية كثيرة النخيل والماء والخصب والنماء
سميت حامة لكون مائها حميما وهو مع ذلك يصلح تلك
الارض فتنبت به نبتا حميما وسرنا منها في مطر خفيف فوصلنا
قبل صلاة الجمعة لتوزر المدينة التي ما زالت تستدبر فاهتبلها
كل ثلمة من الركاب وتوزر قبادرت لدخولها والجولان فيها
فاذا هي من قواعد مدن الجريد واعظم امصاره التي يعيى لسان

واصفها

الى بيضاء

واصفيها اطال ارباب الرحل في وصفها وقالوا انها حسنة
البناء جدا كثيرة الجنات والاشجار غزيرة المياه ينساب فيها واد
كبير من غربيها واعرابها اهل بادية مخصبة فيرخص فيها غالب
سعر السمن واللحم واما التمر فانه يرخص جدا وليس في الجريد ما يماثلها
في كثرة النخيل والمياه بعد بسكرة ومساجدها حسنة متقنة
محكمة الابنية واسعة الافنية ولكن ماذنة بسكرة اتقن واعلا
واوسع والله اعلم وبعد ان نصبت الخيم ورفعت عنا الديم
ورد علينا الفقيه العالم المقدم للفتوى في تلك العوالم المشهور
بين هاتيك الديار والقصور ابو عبد الله محمد بن منصور وصاحبه
الفقيه النبيه الالمعي الذي ليس له في نجابته شبيه الشيخ
رمضان فاجتمع عندنا من العلوم روضان وورد علينا قاضي
توزر وخطيبها الفقيه الحسيب الحيي الناسك الدين النسيب
ابو الحسن علي بن عبد الملك والفقيه المتودع الجليل السيد المبروك
وورد علينا من نفطة وهي بلدة غربي توزر الرجل الصالح الفقيه
الشريف البركة السيد ضيف الله ومعهم جماعة من الفقهاء
والطلبة ضلت عني اسماؤهم وتناولنا معهم مسايل متنوعة
في الفنون العلمية واكثرها في الفقه وعلم الكلام وزرنا من امكنت
زيارته من صالحيها نفعنا الله بهم وبها خلوة للامام الاكبر ابي
الفضل ابن النحوي صاحب المنفرجة وقبر للامام ابي محمد عبد الله
ابن الشيخ ابي زكريا يحيى بن علي الشقراطسي التوزري المتوفى
لثمان خلون من ربيع الاول سنة ست وستين واربعمائة وشقراطس
قصر قديم من قصور نفطة وبجانبه قبر ولده وللشيخ ابي محمد
الشقراطسي شهرة عظيمة في تلك النواحي ولهم اهتبال كبير
بقصيدته اللامية المشهورة التي اولها

الحمد لله منا باعث الرسل هدى باحمد منا احمد السبل
خير البرية من بدو ومن حضر واكرم الخلق من حاف ومنتعل
توراة موسى اتت عنه فصدقها انجيل عيسى بحق غير مفتعل

٥ اخبار احبار اهل الكتب قد وردت   عما رأوا ورووا في العصر الاول
ضاءت لمولده الافاق واتصلت   بشرى الهواتف في الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده   وانقض منكسر الارجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت   مذ الف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت   ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل
ومنطق الذئب بالتصديق معجزة   مع الذراع ونطق العير والجمل
وفي دعائك بالاشجار حين اتت   تمشي باثرك في اغصانها الذلل
وقلت عودي فعادت في منابتها   تلك العروق باذن الله لم تمل
والسرح بالشام لما جئتها سجدت   شم الذوائب من افنانها الخضل
والجذع حن لدن فارقته اسفا   حنين ثكلى شجتها لوعة الثكل
ما صبر من صار من عين على اثر   وحال من حال من حال الى عطل
حتى فات سكونا ثم مات لدن   حيي حنينا فاضحى غاية المثل
والشاة لما مسحت الكف منك على   عهد الهزال باوصال لها نحل
سحت بدر شكر من الضرع حافلة   فروت الركب بعد النهل بالعلل
وآية الغار اذ وقيت في حجب   عن كل رجس لرجس الكفر منتحل
وقال صاحبك الصديق كيف بنا   ونحن منهم بمراى لناظر العجل
فقلت لا تحزن ان الله ثالثنا   وكنت في حجب ستر منه منسدل
حمت لديك حمام الوحش جاثمة   كيدا لكل غوي القلب مختبل
والعنكبوت اجادت نسج حلتها   فما تخال خلال النسج من خلل
قالوا وجاءت اليه سرحة سترت   وجه النبي باغصان لها هدل
وفي سراقة ايات مبينة   اذ ساخت الجرد في وحل بلا وحل
عرجت تخترق السبع الطباق الى   مقام زلفى كريم قمت فيه على
عن قاب قوسين او ادنى هبطت ولم   تستكمل الليل بين المر والقفل
دعوت للخلق عام المحل مبتهلا   افديك بالخلق من داع ومبتهل
صعدت كفك اذ كف الغمام فما   صوبت الا بصوب الواكف الهطل
اراض بالروض ثجا صوب ريقه   فحل بالروض نسجا رائق الحلل
زهر من النور حلت روض ارضهم   زهر من النور صافي النبت مكتمل

فی کل غصن نضیر مورق خضر ... وکل نور نضید مونق خضل
تحیة احیت الاحیاء من مضر ... بعد المضرة تروی السبل بالسبل
دامت علی الارض سبعا غیر مقلعة ... لولا دعاؤك بالاقلاع لم تزل
ویوم زورك بالزوراء اذ صدروا ... من یمن کفك عن اعجوبة مثل
والماء ینبع جودا من اناملها ... وسط الاناء بلا نهر ولا وشل
حتی توضأ منه القوم واغترفوا ... وهم ثلاث مئین جم محتفل
اشبعت بالصاع الفا من ملین کما ... رویت الفا ونصفا الالف من سمل
وعاد ما شبع الالف الجیاع به ... کما بدوا فیه لم ینقص ولم یحل
اعجزت بالوحی ارباب البلاغة فی ... عصر البیان فضلت اوجه الحیل
سألتهم سورة فی مثل حکمته ... فتلهم عنه حتی العجز حین تلی
فرام رجس کذوب ان یعارضه ... بسخف افك فلم یحسن ولم یطل
مثیم برکیك الافك ملتبس ... ملجلج بردی الزور والخطل
یمج اول حرف سمع سامعه ... ویعتریه کلال العجز والملل
کانه منطق الورهاء شد به ... لبس من الخبل او مس من الخبل
امرت البیر بل غارته مجته ... فیها واعمی بصیر العین بالسجل
وایبس الضرع منه شؤم راحته ... من بعد ارسال رسل منه منهمل
بریت من دین قوم لا قوام له ... عقولهم من وثاق الغی فی عقل
یستخبرون خفی الغیب من حجر ... صلد ویرجون غوث النصر من هبل
قالوا اذی منك لولا حلم خالقهم ... وحجة الله بالاعذار لم تنل
واستضعفوا اهل دین الله فاضطروا ... منه علی کل خطب فادح جلل
لاقی بلال بلاء من امیة قد ... احله الصبر فیه اکرم النزل
اذا اجهدوه بضنك الاسر وهو علی ... شدائد الازل ثبت الازر لم یزل
القوه بطحا برمضاء البطاح وقد ... عالوا علیه صخورا جمة الثقل
یوحد الله اخلاصا وقد ظهرت ... بظهره کندوب الطل فی الطلل
ان قد ظهر ولی الله من دبر ... قد قد قلب عدو الله من قبل
نفرت فی نفر لم ترض انفسهم ... اذ نفروا الرجس للاقداس من نفل
بانفس بذلت فی الخلد اذ بدلت ... عن صدق بذل بسیر اکرم البدل

من كل مهتصر لله منتصر ... بالبيض مختصر بالسمر معتقل
يمشي الى الموت عالي الكعب منتعلا ... ظمي الكعوب كمشي الكاعب الفضل
قد غاثلوا دونك الاقيال من جلد ... وجادلوا الجلاد بالبيض والجدل
وصلتهم وقطعت الاقربين معا ... في الله لولاه لم تقطع ولم تصل
وجاء جبريل في جند له عدد ... لم تنتعلها اكف الخلق بالنعل
بيض من العون لم تسئل من غمد ... خيل من الكون لم تستن في طيل
احيت بجل من التكوين قد جنبت ... لجانب عن جناب الحق معتزل
اعميت جيشا بكف من حصا حثوا ... وعلقوا عن عراك النقل بالنقل
ودعوة بفناء البيت صادقة ... عدا امية منها شر منخزل
غادرت جهل ابي جهل بجهلة ... وشاب شيبة قبل الموت من وجل
وعتبة الشر لم يعتب فتعطفه ... منك العواطف قبل الحين في مهل
وعقبة الغم عقباه لشقوته ... ان ظل من غمرات الخزي في ظلل
وكل اشوس عاتي القلب منقلب ... جعلته بقليب البئر كالجعل
وجاثم بمثار النقع مشتغل ... بجاحم من اوار الثكل مشتعل
عقدت بالخزي في عطفي مقلده ... طوق الحمامة باق غير منتقل
امسى خليل صغار بعد نخوته ... بالامس في خيلاء الخيل والخول
دام يديم زفيرا في جوانحه ... جنح من الثكل لم يجنح ولم يمل
يقاد في القد خنقا مشربا خنقا ... يمشي به الذعر مشي الشارب الثمل
اوصاله من صليل الغل في غلل ... وقلبه من غليل الغل في غلل
يظل يجل ساجي الطرف خافضه ... لمسكة الجحل لو من مسكة الجحل
اردت بالسيف ظهر الارض من نفر ... اردت بالصد قوما كاذب الخلل
تركت بالكفر صرعى غير ملتئم ... وان منك بحرم غير منفصل
وافلت السيف منهم كل ذي اسف ... على الحمام حماه آجل الاجل
قد اعتقته عتاق الخيل وهو يرى ... به الى برق موت رقة الغزل
فكم بكة من باك وباكية ... بفيض سجل من الاماق منسجل
وكاسف البال بالي الصبر جدت له ... بوابل من وبال الخزي متصل
فؤاده من سعير الغيظ في غلل ... وعينه من غزير الدمع في غلل

قد

قد اسرعت منه صدرا غير مصطبر … وحملت منه صبرا غير محتمل
ويوم مكة اذ شرفت في امم … تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها … في قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذي لجب … عرمرم كزهاء الليل منسحل
وانت صرت بحكم الله تقدمهم … في فخر هوا اشراف نوط منك مكتمل
تنير فوق اغر الوجه منتجب … متوج بعزيز النصر مقتبل
تسمو امام جنود الله مرتديا … ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت … بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر املاك بما ملكت … اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق … والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا في اعنتها … والعين تنثال زهوا في ثنا الجدل
لولا الذي خطب الاقدام من قدر … وسابق من قضاء غير ذي حول
اهل تهلان بالتهليل من طرب … وذاب يذبل تهليلا من الذبل
امدك الله هذا عز من عقدت … له النبوة فوق العرش في الازل
شعبت صاع قريش بعد ما شعبت … بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه … كالاسد تزار في انيابها العصل
فويل مكة من اثار وطأته … وويل ام قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا ممنّا بفضل العفو منك ولم … تلمم ولا بالمّم اللوم والعذل
اضربت بالصفح صفحا عن طوائفهم … طولا اطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج ارحام اتيح لها … تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف … مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
ازكى الخليقة اخلاقا واطهرها … واكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقارا منه في خفر … ارق من خفر العذراء في الكلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به … من كان عنه قبيل الفتح في شغل
والكفر في ظلمات الخزي مرتكس … ثاو بمنزلة البهموت من زحل
حجزت بالامن اقطار الحجاز معا … وحلت بالخوف عن حيف عن ملل
وحل امن ويمن منك في يمن … لما اجابت الى الايمان عن عجل

اللطف بفتح اللام والطاء لغة في اللطف بضم اللام وسكون الطاء بمعنى الرفق قاله ابن سيده في المحكم

واصبح الدين قد حفت جوانبه … بعزة النصر واستولى على الملل
قد عاد منحرف منهم لمنحرف … وانقاد منعدل منهم لمنعدل
احبب بخلة اهل الحق في الخلل … وعز دولته الغراء في الدول
ام القبيلة يوم منه مصطلم … وحل بالشام شوم غير مرتحل
تعرفت منه اعراف العراق ولم … يترك من الترك عظما غير منتثل
لم يبق للفرس ليث غير مفترس … ولا من الحبش جيش غير منخذل
ولا من الصين صون غير مبتذل … ولا من الروم مرمى غير منتضل
ولا من النوب جذم غير منجذم … ولا من الزنج جذل غير منجذل
وسل بالغرب غرب السيف اذ شرقت … بالشرق قبل صدور البيض والاسل
ونيل بالسيف سيل النيل واتصلت … دعوى الجنود فكل بالجلاد دخل
وعاد كل عدو عز جانبه … منه عاد منك ببذل منه مبتذل
بنعمة الله وللايمان متصل … او من شبا النصل بالاموال منتصل
يا صفوة الله قد اصفيت فيك صفا … صفو الوداد بلا شوب ولا دخل
الست اكرم من يمشي على قدم … من البرية فوق السهل والجبل
وازلف الخلق عند الله منزلة … اذ قيل في مشهد الاشهاد والرسل
قم يا محمد واشفع في العباد وقل … تسمع وسل تعط واشفع عايدا وسل
والكوثر الحوض يروي الناس من ظما … برح وينقع منه لاعج الغلل
اصفى من الثلج اشراقا مذاقته … احلى من اللبن المضروب بالعسل
تخللتك الود على اذ تخللكه … احبابك منه افضل النحل
يا خالق الخلق لا تخلق بما اجترمت … يداي جهدي من حوب ومن زلل
فما بجلدي لنضج النار من جلد … ولا لقلبي بهول الحشر من قبل
واصحب وصل وواصل كل صالحة … على صفيك في الاصباح والاصل

وقد ابدع فيها ناظمها غاية الابداع وانصدع فجرها عن صبح البلاغة اي انصداع وبالغ في الثناء على بلاغتها العبدري في الرحلة وملأ بمدحها وطابه ورحله واولع الناس بها في تلك الارض شرحا وتخميسا وتصديرا وتعجيزا واحضر والنا لها شرحا حافلا في اربعة اجزاء وهي جديرة بجميع ما ذكر لجمعها من

انواع البلاغة والفصاحة ما لا يكاد ينكره منكر واقمنا بتوزر الجمعة
والسبت وقد قال الرحالون ان توزر اكثر بلاد الله سرقة وخطفا
واهلها اعظم الناس لجنا الزوار في النهب والاختلاس فانهم
يسرقون ليلا ويخطفون بالنهار فلا ان يسلم من اذاهم احد من الحجاج
او الزوار جراءة على عباد الله وعدم مبالاة بعذاب الواحد القهار
وقد ارتحلنا منها صباح الاحد بعدما قضى الاوطار منها كل احد
وسرنا فظللنا في نخل كريز وهي قرية حازت بكثرة النخيل والماء ميزا
وابريز ومنه سرنا بقعة اشرقت بين تلك النخيل لها اشراق
الهلال معزوة لمولانا الشيخ ابي هلال فاخذنا في زيارته والتوجه
اليه وسالنا الله تعالى من خيرات الدنيوية والاخروية عند
الوقوف عليه وتجاوزناه وبتنا حواليه وارتحلنا متجنبين السبخة
العظيمة الهائلة المهولة الموصوفة في الرحل المصرح بانها
ساخت بركب عظيم فغرق فيما بوسطها من الوحل حتى صار
بعد العين اضعف من الاثر وشاع باستيلاء السبخة على الركاب
الاثر وتركناها يمينا لقرب عهدها بالامطار مخافة ان تحول
اوحالها بيننا وبين الاوطار وبقينا نتجنبها مسيرة يومين
لما صح من تغولها على داخليها زمن الشتاء بلا مين وكان الناس
على غير وثوق في وجود الماء في تلك المفازة اليهماء فامتن الله
سبحانه علينا بكثرة المياه والانوار بين تلك الانجاد والاغوار
انهار متدفقة وازهار متفتقة ومرعى خصيب ومسرح حاز من
الشكر اوفى نصيب فيا ما اوسع هذا الفضل العظيم ويا ما احق
المنعم منه بالاجلال والتعظيم وارتحلنا يوم الاربعاء فظللنا
قبالة حامة قابس وهي قرى متصلة عند انتهاء تلك البسابس
حازت من النخل اعلاها واطولها ومن المياه احلاها واطولها
وماؤها اشد حرارة وسخنة من الحامة التوزرية ومنافعها اعم من
تلك فلذلك كانت عليها مزية وسرنا بعدما زرنا من امكنت زيارته
من المشاهد وسالنا الله لنا ولكل غائب وشاهد ونزلنا بعد

اي فضلنا

اصفرار الشمس قرب ضريح الشيخ سيدي هريش فبتنا من معين عينه
الزلال في ارغد عيش وارتحلنا يوم الخميس فاصبحنا على قابس
ودخل بقبس انوار مقضيات منها كل قابس وخرج لملاقاتنا منها
ناس كثيرون وفيهم جماعة من التونسيين جاوا ليركبوا معنا ظهر
السبابس وظللنا تحت ظلال نخيل وارفات من عيون جارية
ونباتات ورفات ثم مررنا بمارث وكانت لاهل تقدمتنا وسارت
فزرنا من امكننا زيارته من صالحيها كسيدي سالم قبيله وسيدي
عبد الله المغربي ووقت العصر وصلنا عرام وهي قرية صدرت
رمية عمادتها عن رام فزرنا مقبرتها الحفيله المشتملة على قباب
لم تزل بكل خير لقاصدها كفيله وقد سمى لنا زوارها جماعة ممن شملته
قبابها فمنهم سيدي عبد الرحمن بن جابر وابنه سيدي علي وحفيده
سيدي يحي وسيدي عبد اللطيف وسيدي محمد بن يحيى وسيدي
الزيتوني وسيدي زين العابدين وسيدي بوعزة وسيدي
ابرهيم بن عمر وسيدي سالم الصيد وسيدي يحيى بومسيلين وسيدي
يحيى بن بوعزة وسيدي بلقاسم بن الطاهر وسيدي علي بومسيلين
وسيدي بلقاسم بن عبد العزيز وهولاء السادات كلهم حماونة
كما حدثنا بذلك جماعة من اهل البلد وسيدي صيدون المراكشي
افاض الله من بركاتهم علينا وعلى جميع المسلمين ونفعنا بالوقوف
على مقبرتهم الحفيلة امين وسرنا فبتنا بوادي السماره على غير
عماره وارتحلنا يوم الجمعة فتجاوزنا الشيخ اباغراره وما قبله
من الغدران المالحة الغزاره فنزلنا للاستراحة قبالة جربه
لننتظر من اهلها من له في السفارة بلدا ربه ونقفنا نتامل
على البعد في بحرها المواج وسفنها تتراءى لنا بين تلك الامواج
حتى صلينا الظهر والعصر وورد علينا منها جماعة بقصد السفر
للحرمين ومصر وسرنا حتى ارخى الليل سدول الظلماء وبتنا على
غير ماء وارتحلنا فوصلنا ضحى ماء نبش الذيب في ارض قفرا
لا ثعلب فيها ولا ذيب استولى على الابنية التي حواليها الخراب

وصاح

جمع ر...
كبدة بمعنى
ناضر

السراع
الوبل

وصاح في جوانب حافاتها البوم والغراب ومررنا بعد ذلك
بعقلة آبار تسمى البحيرة فالفينا ماءها الرداءة وملوحة يترك
شاربه في حيرة وحول هاتيك العقلة حلة من اعراب بني مريم
ما فيهم الا من تلقانا بالترحيب وقال مقيم ووصلنا الى بئر يقال
لها المويلحة فوجدنا بها ماء يا ما ابرده ويا ما اعزه ويا ما اعذبه
ويا ما املحه فجددنا من ذلك الماء النمير الطهر واديناصلاة
الظهر وتجاوزنا وادي فتي فارغا من الماء وبتنا بعده بكثير في كلا
ونعماء وارتحلنا يوم الاحد فبادر للاستقاء من ابن مرداني كل
احد على ما فيه من الملوحة والرداءة التي تهيج في الاعضاء داءه
وقد راينا في نواحيها من الاثار التي استولى عليها الاندثار في عظم
الابنية والمقابر والقباب الذي جاوز نصاب وغالى الجوامع وعلى
الصوامع ما ينبئ عن تقدم عمران عظيم كان بتلك الساحة الفسيحة
المساحة وسرنا حتى قربنا من برج الملح وبتنا على غدير ماء عذب
ولا ملح وارتحلنا في السحر مبادرين الى الماء لكثرة ما كان
في الركب من الظماء فوصلنا البرج مع طلوع الفجر ونزلنا على
شفير البحر فتوضانا واغتنمنا ما في اول الوقت من الاجر وسرنا
فوصلنا الزوارات الغربية عند ارتفاع النهار ونزلنا ريثما
سقينا من ابارها العذبة الباردة الصافية الفائضة ولا فيضان
الانهار واشترينا من اهلها الزبيب والتين وقضينا منهم بعض
المصالح وزرنا من امكننا زيارته من صالحيها مثل سيدي سعيد
ابن صالح وسرنا حتى اتينا الزوارات الشرقية ظهرا فصليناه بها
وركبنا من الجادة ظهرا وبتنا قرب مليتة وارتحلنا في كل واحد
بجد واما لبتة فاتينا مليتة مع الشروق وعجلنا لسيدي ابي عجيلة
لننال من بركته ما يروق ومنه وصلنا قرية زواغة فصلينا فيها
الظهر بعدما توضانا من مياهها الصواغة وعاينا فيها من اثار
العمران والبنيان الظاهرة للعيان ما يبهر العيون ويقف الاعيان
وفيها مسجد مشتمل على اساطين فائقة وهيئة في العيون رائقة

الاربعاء

غير ان في قبلته انحرافا للمغرب على ما كان فيه من الوصف المعرب ومنها
بتنا في الزاويه فتلقانا اهلها بالترحيب وكانوا لبيوتنا زاويه
وظعنا منها يوم الاربعاء فظللنا نسير في ظلال الزياتين والكروم
والتين حتى وصلنا قرقارش قبل الزوال واخذنا في النزول
فيه وتركنا الذهاب منه والزوال لنأخذ الراحة بالراحه ويكون
دخولنا لطرابلس صباحا بعد الاستراحه وورد لملاقاتنا جماعة
من الحجاج المغربين وغيرهم من اهل طرابلس المقربين ذكر
دخولنا لطرابلس المستطرفة الشاملة لانواع الفواكه والتحف المستطرفة
دخلنا طرابلس اللطيفه ذات الفواكه المنوعة والظلال الوريفه
صبيحة يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان فالفيناها ازهى
من دمشق وشعبان وحسنا خلال ديارها واشرفنا من شرفاتها
على تيارها فاذا هي مدينة صغيرة المساحه خصبة الساحه كثيرة
الفواكه ليس لها في نزهتها ولطافتها مشابه ولا مشاكه ولها بابان
باب الى البر وباب الى البحر لان البحر محيط بكثير من جهاتها
والحصار الذي فيه الامير متصل بالمدينة من ناحية باب البر بينه
وبين البحر وقد شاهد اهلها بركة عظيمة في امر معاشهم وقت الحجاج
فقد يجتمع فيها الركبان والثلاثة والاربعة ويكون عسكر البحر
خارجا في البحر بعض الاحيان ومع ذلك لا يزيد فيها السعر على
ما كان في كل مطعوم بل ربما نقص مع انه معروف بالغلاء بالنسبة
لارياف النيل والمغرب غير ان في الطحن بها غاية المشقة اذ ارحاؤهم
انما تدور بالابل فقط في الدوران وفيها من المساجد الانيقة
الحسنه المشتملة على الابنية الفائقة الوسيمه ما في رؤيته البديع نزهة
للناظر بين المناظر ولا سيما المسجد المعروف بجامع الترك فانه
ما ترك شيئا من المحاسن البديعه الا حاز عجيبه وبديعه وزرابيه
من المشاهد المزاره ما نسال مولانا ان يمن بالقبول على من قصده
او زاره ويحط ببركته ما ثمة واوزاره واصبحت الجمعة فتوجهنا للجامع
لصلاتها واغتنام صلاتها وخرجنا مع من خرج لايقاعها في جامع

الدرج فرقي المنبر امامه المسن الخير الاكبر الشيخ ابو محمد عبد القادر
الحنفي وابدى خطبة رائقة رقيقة جمعت لطيف الوعظ ورقيقه
وقد راينا فيها من الاعلام من تزوق بجلادهم الاقدام فمنهم
صدر الافاضل المتحلي باسنى الفضايل واسنى الفواضل المتجلي
بالكرامات لكل فاضل الفقيه البارع النبيه العالم المشارك الذي
ليس له في مشاركته شبيه الاديب الماهر الذي ازهرت لطافة ادابه
برقة ابن النبيه الحافظ الراوية الذي ما برح يدون ما يسنده
من العلوم ويروي اخونا ومحبنا الاعز علينا ابو عبد الله محمد بن علي
المعروف بابن الاصرم الفهري ادام الله بهجته وابقى مهجته
الفينة ورد على طرابلس لغرض لا يمكنه الاعراض عنه بعد ما عرض
ومع مساواته لنا في الاغتراب وحلول غير التراب مع غير الاتراب
كان يبالغ في اكرامنا بانواع الطعام والشراب واخذه الرغبة
في تانيس غربتنا وما نافى ولا استراب واظهر لنا من المحبة
الصافية والخلة الوافية ما نسال الله تعالى ان يكافئه عليه ويمتعنا
واياه يوم القيمة بالنظر اليه وكانت تقع بيننا في انواع العلوم
مباحث يستحسن الخوض في بحرها بفلك فكره كل باحث وقد حمله صادق
المحبة وحسن السيرة وصفاء المودة والسريرة على ان خاطبني بقوله

قسما بمن اولاك ارفع منصب ... وبما حويت من البيان المعرب
ما شنف الاذان مثل فصاحة ... اذنت بفضل محمد بن الطيب
شرفت به فاس وحق لها العلا ... فلذاك اضحت بيت فضل المغرب

وكنت خاطبته بابيات اظن صورتها والله اعلم

قسما بمكة والحطيم وزمزم ... والركن والبيت الشريف الاعظم
ما ان سمعت بمشرق او مغرب ... كلا ولا في الروم او في الديلم
مثل الفقيه البارع اللسن الاديب اللوذعي محمد بن الاصرم

وكان ينشدني من المقطعات البديعة الحائزة مستحسن الادب
وبديعه ما يدل على نورانية بدره واشراقية ذكائه وعلو همته وحسن
ذكائه وكنت اثبت منها ما عدت عليه يد الاضاعة وحسم ريب

الزمان فاتلفه واضاعه غير اني تذكرت من ذلك السماع بيتان
علقا بالاسماع وهما

ان لذي ادب يرضى بمنقصة ... ولم يكن مثل باز فوق قفاز
يوما بمصر ويوما بالشام وبا ... لعراق يوما واياما بشيراز

فنسئل مولانا سبحانه ان يجمعنا به مرة اخرى لنظفر بتلك الاداب
التي لم تزل لاولي الالباب غنيمة وذخرا وقد سالني عن لفظ اطرابلس
وكيف يضبط وعن لغاته الثلاث فاجبته بانه يقال اطرابلس
بالالف في اوله ويحذفها مع ضم الموحدة واللام معا وقد تسكن اللام
وبعضهم يفصل فيقول طرابلس هذه الغربية انما تقال بغير الف
فقط وذات الالف هي الشامية والله اعلم فاستحسن ذلك ومنهم
الفقيه الخير المسن الاتقى الانقى المستمسك من الديانة والمروة
بالعروة الاوثق الشيخ ابو عبد الله محمد المكنسي المشهور بالفتوى
في تلك الاقطار منذ اعوام بين الخواص والعوام ومنهم
الفقيه النبيه النبيل الذي سلكت فتاويه العلمية في كم من سبيل
واتخذت المروة والصيانة ربعه مربعا للمبيت والمقيل الشيخ
ابو عبد الله محمد بن عقيل ومنهم الفقيه المشارك في انواع
المعقولات الذي عجزت عن تحصيل مباحثه الاصلية والفرعية
العقول نادرة الاوان الشيخ ابو محمد عبد العزيز بن مروان
ومنهم الفقيه النبيه الفاضل الذي حاز افاضل الاخلاق
واخلاق الافاضل الشيخ ابو العباس احمد بن الصعيي وقد اكرمنا
في داره مرارا وامر علينا كراماته امرارا ومنهم الفقيه الخطيب
وغصن الفصاحة الرطيب الشيخ ابو العباس احمد كست الخطيب
بجامع الترك الاعظم وقد صلينا معه الجمعة الثانية فابدى خطبة
بالغ فيها في امر الحاج وعظم مع فصاحة المنطق وانطلاق اللسان
والاتقان في تحكيم الالفاظ والاحسان ورايناعير هولاء من مطلق
الطلبة زيادة على الاعيان لكن حال بيننا وبين اثبات ذكر اسمائهم
النسيان واقمنا نحو التسعة ايام وتاهبنا للتقوية على السفر والصيام

ذكر

ذكر خروجنا من طرابلس وتوجهنا لجبال البربرية المزرية بجنوب طرابلس

كان رحيلنا منها بعد صلاة الظهر من يوم السبت الرابع من شهر
رمضان الذي هو اكرم شهر فنزلنا بآبار قبل تاجورا وبات معنا
جماعة ممن خرج لتوديعنا من الاصحاب وغيرهم ميروراما جورا
وارتحلنا يوم الاحد فرجع من اهل التوديع كل احد ومررنا
بتاجورا عند الصباح ووقفنا لزيارة من امكنت زيارته من مشاهدها
الصباح ثم مررنا بوادي الرمل ثم بوادي المسيد بعد اعمال انواع
الزميل والمسيد وكلا الواديين وصفه ابو سالم بكثرة الخصب
والنعماء وجزالة الحطب وغزارة الماء وبتنا بقرب موضع يسمى
تغزغت وهو المعروف الان بوادي التوتة او التوت وسماه ابو سالم
وادي ينوت وارتحلنا فاصبحنا بذلك الواد ومررنا بماجوالي
النقازة من الاطواد وظللنا بروضة الشيخ سالم القلعي نستنظر بنظر
سرح الظليل ونسال الله كمال السلامة نحو ذلك السيد الجليل
والفينا بازاء الروضة جبا مملوا من الماء النمير فاخذ الناس في
الاستقاء منه حتى اكتفى المامور والامير وبقينا هنالك ننتظر
مرور الابال لتعذر تتابع السير بين تلك الجبال وصلينا الظهرين
وقربنا من وادي لبدة وبتنا في انعم عيش وانعام عين وارتحلنا
يوم الثلاثاء فمررنا بقصر البنات المزرية شرفاته برؤس البنات
قصر قصر عليه الحسن والاحسان وقصر دون وصفه اللسان
بوعت حجارته في الضخامة والعظم وتناسبها وتناسقها اعجب منها
واعظم وظللنا سائرين حتى غربت الشمس وبتنا بالبئر المعروفة
بسبلين لمبيتنا بالامس وفي اثناء هذه المراحل السابقة قطعنا
الجبل الذي هو منتهى الجبال في تلك البلاد وهو اخر الجبل الذي
لا نظير له في الدنيا طولا وعرضا وحطبا وماء وقرى متصلة
وعمران متراكب وقبائل وافرة غالبها بربر واوله من البحر المحيط
اطراف السوس الاقصى ثم يمتد كذلك الى ان يمر قبل مراكش وهو المسمى
جبل درنا ثم يمتد كذلك الى ان يقارب البحر قرب تلمسان ثم لم يزل سائر

البحر وان كان يبعد عنه في بعض المواضع ويسمى في كل بلد باسم وربما
تعددت اطرافه فيسمى كل طرف باسم الى ان انتهى هنا باطراف برقة
وقال صاحب تقويم البلدان انه يمتد من اطراف السوس الاقصى
من البحر المحيط الى ان يبقى بينه وبين الاسكندرية خمس مراحل قال
الشيخ ابو سالم وكانه جعل بلاد برقة كلها والجبل الاخضر منه
لان بلاد برقة مرتفعة على ما يحاورها من بلاد فزان ونواحيها
والبحر من الناحية الاخرى الى العقبة الصغيرة وبينها وبين
الاسكندرية خمس مراحل ثم استظهر ما ذكرناه اولا وقال انه الذى
اقتصر عليه غير صاحب التقويم واقول ان عبارته قريبة من
عبارة غيره اذ لا كبير فرق بينهما عند التامل قال ابو سالم وغرب
هذا الجبل فى كل البلاد بلاد مخصبة ذات انهار وعيون واشجار
وقبلته صحرا ذات نخيل ورمال من البحر المحيط من اطراف السوس الاقصى
الى اخر برقة وفى هذا المحل الذى قطعناه آثار ابنية كثيرة وفى سبخه
الذى يلى ساحل حامد مدينة عظيمة يقال لها مدينة لبدة قد خلت
في العصور الاوايل وبقيت اثارها ورسومها قد اكل البحر كثيرا
منها وفيها مبان عظيمه وهياكل جسيمه وابراج خارجها مبنية
بالحجر المنحوت فى غاية الاتقان قد هرم الدهر وما هرمت وتعاقبت عليها
الازمنة وما ثلمت فترى الابنية ماثلة متقابلة على رؤس الجبال مد
البصر بحيث يقضى الحدس ان كل ما كان داخلها كانه مدينة واحدة
الى البحر وترى اعمدة الرخام وغيره واقفة فى وسط البحر قد احاط
بها الماء بحيث لا يرتاب ان البحر قد اكل الكثير منها ومن هذه المدينة
ينقل كثير من اعمدة الرخام الى طرابلس والى مصر وغيرهما من البلدان
ويقال ان بانيها الملك دقيوس وبعد وفاته تملكها امراة اسمها
رومية وذكر بعضهم ان النمرود لما بنى دمشق بقى ثلاث سنين وبعث
ولده وامره ان يبنى مدينة بالمغرب فبنى هذه المدينة وجلب اليها الماء
من وادى كعام فى بناء متقن يحار الناظر فيه واثر البناء ومجرى الماء
باق الى اليوم متصل من طرف الوادى الى اطراف المدينة الا ان ماء

هذا

هذا الوادي الآن قليل آجن ويزعم اهل البلد ان ماء هذا الوادي
كان حلوا غزيرا ايام عمارة المدينة وكان مما يوثر عند اهلها انه اذا
بدت الملوحة في ماء الوادي فذلك علامة خرابها فلما بدت الملوحة
فيه اخذ اهلها في الانتقال منها والله اعلم اي ذلك كان وقد ذكر
العبدري هذه المدينة في رحلته وذكر انه وجدها خالية والذي يظهر
انها خلت قبل الاسلام اذ لم يذكرها احد ممن ذكر فتوح افريقيه والله
تعالى اعلم بغيبه وبعد ان ذكر الامام ابو سالم خبر هذه المعالم قال غفر الله
اخبرني بعض اهل تلك البلاد ان الملك الذي بنى هذه المدينة وقع موتان
في عسكره حتى تفانوا ولم يدر ما سببه فامر بشق بطن واحد منهم فشق
من قلبه فوجد فيه دودة فعلم ان ذلك سبب موتهم وامر بصب
جميع الادوية عليها واحدا فواحدا فلم تمت حتى اخرج زيتا كان عنده
في قارورة جاء به من ارض الشام فصب عليها قطرة من زيت فماتت فعلم
ان دواء ذلك المرض اكل الزيت فبعث الى الشام وجاءه غرس الزيتون
فامر بغرسه في تلك الارض كلها من مسراتة الى سوسة وتونس واعمالها
ومن تلك الساعة بقي الزيتون في هذه البلاد والله اعلم وبعد هذه
الاوعار نزلنا بساحل حامد وهي بلدة كبيرة ذات نخل كثير ومزارع وزيتون وسواقي صح
الا ان نخل هذا الساحل ردي لا يدخر تمره ولا ييبس الا بعد ازالة
النوى منه فيبقى كقطع الجلد لا قوة فيه ولا حلاوة ولا طعم لا يفرق
بينه وبين لحاء الشجر وفي هذا الساحل قبر الشيخ الشهير المآثر والكرامات
الكبير المفاخر والمقامات سيدي مفتاح وهو على تل مرتفع بساحل
البحر بينه وبين البلد الدعاء عند قبره مستجاب وبقرب الساحل وادي
تمارغلات وفيه اثار رسانية فيها قنوات تحمل الماء الى المدينة المذكورة
من عين يقال لها عين كعان وفيها صنعة عجيبة وابنية غريبة
بحجارة منحوتة عظيمة تحار فيها العقول كل حجر فيه اربع اذرع فاكثر
منقورة في وسطها نقرا متقنا ومن راى ذلك استغرب ان تكون
قدرة البشر واصلة الى ذلك المقدار وعلم ان دهرا افنى اولئك الاقوام
جدير بان يستاصل بقية الانام وينقلهم من حالة الى حالة ومن دار الى دار

وبعد ذلك بلد زليتن وهي مثل الساحل في النخيل والسواني وبه قبر
الشيخ المشهور بالقوة والتصريف المغني بكلامه عن التعريف ابي محمد
عبد السلام الاسمر قال فيه ابو سالم رجل من اهل المائة العاشرة كثير
الكرامات عالي المقامات من اجل تلامذة سيدي احمد بن عروس نزيل
تونس والغالب عليه الجذب في اول امره واخره وله تصرف قوي واخباره
في قهر الجبابرة وفك الاسارى من ايدي الفرنج في حياته وبعد مماته
شهيرة وهو من بلدة يقال لها الفواتير وامه مغربية دراوية ولم تزل
هذه البلدة التي هو منها ماوى الصالحين والعابدين من قديم الزمان
تواتر عند اهل البلد انها لا تخلو من سبعة من اكابر الصالحين قالوا
وهم ظاهرون بها حتى الان وليس عليهم سمت متفقرة الوقت بل هم على
هيئة العوام في ملابسهم ومساكنهم وحرفهم الا انهم قايمون على
منهج الشريعة وكل من رام اهل هذه البلدة بسوء يقصمه الله ولا يدخلها
احد فيتجبر ويتكبر الا اذله الله وبلدة الفواتير هذه بازاء زاوية سيدي
عبد السلام قريبا منها بنحو من فرسخ وفيها مزارات كثيرة للاحياء
والاموات وقد اظهر الشيخ سيدي عبد السلام من المزارات والقبور
شيا كثيرا منها قبر الشيخ مفتاح المتقدم الذكر وكانت له فرس اظهرت
قبورا كثيرة ايضا وذلك انه كان اذا ركب على فرسه ربما تمر بمكان
فتبحث برجلها في الارض فيقول لهم الشيخ احفروا فان هنا قبر ولي
فيجدونه فظهرت بذلك مزارات كثيرة وفقرا الساحل الى الان
يعرفونها فيقولون هذا من الذين اظهرهم فرس الشيخ ولا بدع في ذلك
فان السر في الراكب لا في الفرس والكرامة للشيخ لا لمركوبه وسر الولاية
موروث عن النبوة وقد بركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في مكان مسجده
وعندما دخلت الحرم يوم الحديبية فالله الله اخواني في خدمة الصالحين
ومحبتهم والحرص على ملاقاتهم وزيارتهم والانحياش الى ظلالهم وحمى
مزاراتهم فان لذلك اثرا عجيبا في تليين القلوب وتسخير النفوس وازالة
المطلوب واذا كان لها تاثير في الحيوانات والجمادات فما بالها لا تؤثر
فيكم معشر الاوسين وانتم السادات جعلنا الله من المحبين لاهل ولاية

و

وحشرنا مع حزبهم وفريقهم تحت ظلال علم الرسول ورايته وارتحلنا
يوم الاربعاء فدخلنا مسراتة وتوجهنا لزيارة الامام العلامة المحقق
في علوم الباطن والظاهر وسر الله المتجلي في جميع المظاهر العارف بالله
والدال عليه ابي العباس احمد بن احمد زروق البرنسي الفاسي حقق الله تعالى
نسبتنا اليه فوصلنا اليه قبل الظهر وتوضانا في السانية التي بجنبه واستفتحنا
بصلاة ركعتين في المسجد المتصل بروضته المباركة ودخلناها بما
اقتضاه الوقت من الاداب والوقار واخذنا في قراة ما تيسر من السور
القرانية كالكهف وطه ويس وسورة الملك وغير ذلك من قصايد
المديح كالبردة وغيرها وختمنا بوظيفته رضي الله عنه في جماعة حافلة
من الركب وغيرهم وحضرت في ذلك الوقت نفحة ربانية من الله تعالى
وابتهل الناس للدعاء والتوجه الى الله سبحانه واخذ كل يسال ما يشاء
ويودع الناس عند قبره انفسهم واموالهم واديانهم وقد فعلنا ذلك
فراينا بركته وشاع عند الحجاج ان من اودع الله عنده نفسه وماله
لا يصيبه مكروه حتى يرجع ويفعلون ذلك اذا امروا به او حاذوه
في البحر فيجدون بركته ولا بدع في ذلك ولا غرابة فان الله حفيظ
لا تضيع ودائعه والاولياء ابواب الله فمن اودع الله شيا عند باب
من ابوابه فكيف لا يحفظ فيه والله خير حفظا وهو ارحم الراحمين
فنساله تعالى ان يمن علينا بالقبول وبلوغ المامول بمنه وكرمه امين
وكنت خاطبت الشيخ بقصيدة فائقة مشتملة على انواع من البديع رائقة
اولها

احمد في مغناك قد ظلت احمد … وشلك من يهدي الندا حين يحمد
ولا سيما والقول منك مصرح … بذلك في بيت من الشعر ينشد
اذا كنت في ضيق وغم وكربة … فناد ايا زروق يا تيك احمد
فها نحن وفد الله زوار بيته … وطيبة اذ يدعو اليها محمد
عليه صلاة الله ثم سلامه … ورضوانه ما دام في الافق فرقد
فعجل قرانا بالسوال لربنا … ليبلغ من كل لدى الرب مقصد
ونظفر في ذاك المقام بحجة … لها حجة في البر ليست تفند
وفي روضة المختار نصبح كلما … خرجنا عشقنا العود والعود احمد

هذا ما علق منها بالبال وما زال في القلب لفقد الضايع منها
وجيب وبلبال ثم صلينا الظهر بالمسجد المذكور وزرنا خلوة الشيخ
التي توفي بها رضي الله عنه وهي امام المسجد قريبا منه ونزلنا حواليه
وقامت هنالك الاسواق العظيمة امتلات بالشعير والدقيق والسمن
والتمر والاغنام وغير ذلك من كل ما فيه مآرب الانام وورد علينا
جماعة من طلبة البلد وبالغوا في الاكرام جزاهم الله تعالى جزاء الكرام
وسالوا عن مسايل علمية تدل على ضعف العلم في تلك الارض وانقراضه
وفشو الجهل في ذلك العرض واعتراضه واستعد الناس لمفازة نحو اربعة
ايام وبالغوا في استقاء القرب مخافة الاوام وارتحلنا يوم الخميس
مستقبلين مفازة برقة لا ن مبداها عند الحجاج من زروق الى مصر واما
اعراب تلك البلاد العارفون بها فانما يطلقون اسم برقة على التيه
في هذه الازمان على نحو مسيرة ستة ايام من المنعم الى سلوك وفيها
اثار ابنية كثيرة قال ابو سالم واطلاق برقة على ما سواها مجاز علاقته
المجاورة ورايت له تقسيما اخر نصه ارض برقة منقسمة في عرف
اهلها الى اقسام اولها من حسان الى ما وراء الاحمر بيومين يسمى سرت
ومن هنالك الى قرب المنعم يسمى برقة البيضا ومن هنالك الى سلوك
يسمى برقة الحمراء ومنه الى التميمي يسمى الجبل الاخضر ومنه الى العقبة
الكبيرة يسمى البطنان ومن العقبة الكبرى الى الصغرى يسمى بين العقاب
ومن العقبة الصغرى الى الاسكندرية يسمى العقبة الصغرى قال
وتقسيم العبدري جار على اصطلاح وقته قلت وهذا التقسيم
هو الجاري على اصطلاح زماننا هذا في الغالب واما العبدري فقال
برقة مدينة قديمة من بناء الروم وكان اسمها عندهم الطابلس قال
البكري ومعناها بلغتهم خمس مدن ومعنى طرابلس ثلاث مدن وليس
الان هنا مدينة تسمى برقة ولا مدينة مذكورة الا طلميثة وهي قديمة
ولست ادري اهي برقة فغير اسمها الى طلميثة ام غيرها وبرقة الان
عند الناس اسم ارض لا اسم مدينة والمغاربة يسمون بها ما ورد علي
فيا من غرب جدابية الى الاسكندرية وذلك نحو من اربعين مرحلة

واما

واما عرب تلك الارض فانى رايتهم لا يسمون بها الا مارد الحصون شرقا
الى ارض برنيق غربا وهو حد الغابة وما والاها من الساحل ومن القبلة
ويسمون مارد الحصون الى العقبة الكبيرة البطنان ومنها الى الاسكندرية
لا يذكرون الا العقبتين قلت واوله فى غاية البعد عن اصطلاح
وقتنا واما اخره فقريب منه والله اعلم اعاننا الله على قطع فيافيها ورزقنا
القوة التامة فيها وسرنا من زاوية سيدى احمد زروق الى اخر تلك القرى
المتصلة به لانها اخر العمران هنالك ولا عمارة بعدها فى طريقة الحاج الى
الاسكندرية ومررنا فى اخر العمران بقبة الشيخ سيدى ابى شعيفة على تل
مرتفع بساحل البحر وزرناه ووقفنا حول المغارة التى هنالك بساحل
البحر يتعبد فيها الصالحون ولا يكاد يطلع عليها احد الا من عرفها
لانها صغيرة مستقبلة البحر وتركنا معطن العريعين بين السبخة والبحر
للاستغناء عنه بماء القرب وان وصفه ابو سالم بكونه طيبا حلوا
ووصلنا ظهر الموضع يسمى السميذه بالتصغير وكانه سمى بذلك لشبه
رمله بالسميذ مشابهة تامة كما يشهد بذلك كل من راى خروشة رمله
ودقته من الخاصة والعامة فتفرق الناس فيه واخذ كل واحد يحفر
مقدار ذراع ويطلع له من الماء ما يكفيه فسقينا من مائها المليح العذب
وتوضانا واغتنمنا ما فى اداء الفريضة من الثواب وسرنا حتى وصلنا
الموضع المعروف بالملف فى سباخ مديدة على شاطئ اليم وبتنا فى ارغد
عيش واتم وارتحلنا يوم الجمعة فوصلنا عند الزوال للهايشه التى
هى كاسمها هايشه اسقطت فى غدرانها كم من راكب وعثر فى حجارتها
الضخمة كثير من المراكب قال الامام ابو سالم والهايشة سبخة
مستطيلة وعلى جوانبها بناء قصور خالية وفيها نخيل متفرق كانه رؤوس
الشياطين لا ترى اوحش منه ولا اثقل طلعة على الحاج فى ذهابه سيما
المعاود لما يستشعر بعده من المفاوز والمهامه والمعاطش التى يحار فيها
الدليل كما لا آنس منه ولا ابهى منه فى منظر الآيب لدلالته على انقضاء
المفازة وقرب العمارة ونخيله آخر نخل يراه الذاهب واول نخل يراه الآيب
وماء الهايشة ملح اجاج لا يكاد يساغ يضرب به المثل فى القبح وليس فى مياه

برقة اقبح منه الا مواضع قليلة لا يعتمدها الحاج مع ان هذا ايضا
لا يستقي منه الا من اضطره العطش او كانت ايام الحر وهو مليء اكثر في مواضع
كثيرة يحيط به القصب وبعضه اشد قبحا من بعض وباخر الهايشة واد
من الملح يجري الماء على ارض من الملح فاذا الماء يجمد ملحا ولا الملح يذوب
ماء واظن ذلك لقوة ملوحة الماء وبداوة المحل وحيث وصلنا الهايشة
تفرق الحجاج يسقون دوابهم من مائها الاجاج وتوضانا فيها
وصلينا وسرنا لوادي الملح المتصل باخرها المعروف اليوم على السنة
الحجاج بالمخاضة فعبرناه بعد لاي ولاي وخضناه فمن خاضه وسرنا
حتى غربت الشمس واخذ اول الركب في النزول ولم ينزل اخرهم حتى
زال الشفق او كاد يزول وارتحلنا يوم السبت فحثثنا السير ومررنا
بين الظهر والعصر بقبر الشيخ المشهور بالصلاح في كل عصر سيدي
بومديونه من اولاد الوافي عن يسار الذاهب مشرفا فزرناه وسرنا حتى
وصلنا مطروح وبتنا حواليه لاحتياج الناس اليه ومطروح بئر كثير
المياه خصبة الساحة للانعام والشياه فقضى المحتاج من مائها
اربه وحلت بغزارتها للظمآن اربه ورويت البهايم ولم يبق
في الناس هايم والفينا بقربه محلة عظيمة من الاتراك يقول راءيها
لصاحبه تراك تراك قيل لنا انها جاءت لنهب بعض قبايل الاعراب
دون اعراب فعلمنا ان الجور عام في العالمين وسالنا الله تعالى
ان يقطع دابر الظالمين بجاه الرسول صلى الله وسلم عليه امين واعراب
تلك البلاد يعرفون بالفرجان وهم اصحاب سمت حسن واخلاق
ازهى من اللولو والمرجان وورد علينا منهم طلبة يقرؤن مطلق القراءة
فاخذوا يتبركون بكل احد ويسالون دعاءه وارتحلنا يوم
الاحد فدخلنا بلاد سرت وسار الناس جادين في السير وسرت وتركنا
الزعفراني يسار الجيش ودنه عن الطريق واستغناء الناس عنه بما في
القرب من الماء الرحيق قال ابو سالم ومعطن الزعفراني احساء في ساحل
البحر ماؤها طيب وعليه كثبان من رمل احمر تظهر من بعيد ومن وراء
الكثبان من ناحية البر قصور سرت وهي ثلاث قصور تخزن فيها العرب

ميرتها

ميرتها وكانت فيما قبل هذه السنة خالية وفي هذه السنين ربما يوجد
فيها بعض العمارة ممن تركته العرب على خزاينها حافظا لها وبلاد سرت
هذه من اخصب البلاد ذات مزارع كثيرة واعرابها اهل رفاهية الا
ان الجور اجلاهم من بلادهم وشتت شملهم وقال في موضع اخر لما ذكر
مزارع اولاد سيدي ناصر وهي بعد العويجة ما نصه واولاد سيدي
ناصر فقراء مرابطون من اهل سرت يطعمون من ورد عليهم ومعهم طرف
من الديانة الا انهم اضر بهم جور الاعراب لانهم بين عرب سرت وعرب
برقة فقلما يسلم لهم وقت من غارة اما من هولاء او من هولاء غير انهم
الان مستظلون بظلال اسمال من العافية لما ولي عبد الرحمن الجبالي الملقب
سيدروحه على البلاد وقهر الاعراب وقويت شكيمته على اهل البادية
فامنت السبل بعض الامان فرجع فقراء الاعراب الى بلادهم وعمرت
البلاد بعض العمران وتلك سنة الله في البلاد والعباد ان الولاة
وان جاروا خير من مرج الرعية بعدو بعضهم على بعض فيعم الخراب
الحواضر والبواد وبهذا السبب خلت ارض برقة كلها وهي مسافة
شهرين وكانت متصلة العمارة من الاسكندرية الى افريقية لا تكاد
تسير فيها بريدا ليس فيه اثر بناء ورسوم عمارة داثرة وقد جاء
الاسلام وغالبها عامر ثم لم تزل عمارتها تضعف الى ان خرج عرب
هلال من مصر اواخر الرابعة واوايل الخامسة فخربوا البلاد واستولوا
على القرى فافسدوها وخلت البلاد من يومئذ وما صرح به من كون
سرت ارضا لا مدينة هو المعروف المتداول واغرب البكري فنقل انها
مدينة ونقل ذلك العبدري فقال وسرت يطلق على عدة قصور
بينها مسافة اولها الشبكة وهو اعمرها في الوقت واخرها يسمى المرية
واكثر ما يطلق اسم سرت عليها وحكمها كلها حكم القفار وقال البكري
في المسالك ان سرت مدينة كبيرة على ساحل البحر لها نخل وبساتين
وذكر نحو ذلك في اجدابية وانشد البكري في سرت

يا سرت لا سرت بك الانفسُ   لسان مدحي فيكمُ اخرسُ
البستم القبح فلا منظر   يروق منكم لا ولا ملبس

بخستم فی کل اکرومة　　وفی فعال القبح لم تبخسوا

ومررنا فی وقت الظهر ببئر قرب القصر المعروف بقصر الذباب وهو قصر استولی علیه یباب وناداه الخراب من کل باب فتفرق الناس بالعون فی الحیلة والتدبیر فی کیفیة الاستقاء من تلك البیر فمنهم من تیسر له من مائها الملح سقی الدواب ومنهم من رای ان ترك ذلك هو الصواب لما فیها ولته من المشقة وبعد الشقة وعدم الوفاء بالاغراض وعمق البیر وملوحة الماء الداعی الی الصدود عنه والاعراض فقضینا منه ارب الظهر وادینا دین صلاة الظهر وحثثنا السیر وقد اشتد الحر ونزلنا بعد ان اسود جنح اللیل واحمر وارتحلنا یوم الاثنین قاصدین معطن النعیم الدال باسمه علی غایة التنعیم فوصلناه فی العصر بعد اعمال السیر التعیم والنعیم معطن علی ساحل البحر دل اسمه علی مسماه وفاق بمائه العذب غیره من المعاطن واسماه ولما وصلناه بات الناس فی سعة من الماء والمرعی والحطب واخذوا فی استقاء الدواب وامتلاء القرب واستعدوا للمفازة التی امامهم وهی خمسة ایام الی المنعم اذ لا ماء بینها یعتد به ویقضی منه الارب الا ما یعرض من الابار المالحة القلیلة الجدوی المحدثة فی الاجسام ادواء لا تتداوی منها ولکن تتدوی وقد وصف ارباب الرحل هذه المفازة بکثرة السموم والریاح التی هی احر من التموم اجارنا الله من جور سمومها وعصمنا من ذوات سمومها بمنه وفضله وارتحلنا یوم الثلاثا فمررنا ضحی بمعطن الاحمر ونزلنا بئر العویجة بقصد المبیت وقد نشفت الشمس علی الربا ذهب اصیلها الاحمر وارتحلنا یوم الاربعا فمررنا ضحی بالرحبة وقلنا فی فلاة رحبة وحولنا رجلة من البحر داخلة فی البر تسمی ابا ثواد عادة الحجاج فیها اصطیاد السمك بالقصب والاعواد ووصلنا الی بئر الکحیلة فتناخوا لیها تلك اللیلة ولم ینتفع احد من الحجاج بمائها القلیل الاجاج وارتحلنا یوم الخمیس فظللنا بالحدادیة وهی بئر کالکحیلة فی قلة الماء والجدوی وان تکلف البعض

وسقي منها الدواب وما اروى وبقي الناس يستريحون في واديها
وسارت الابل تهدي امامها هوادها وصلينا الظهر فيها واخذنا
في طي ما حولها من فيافيها وكانت تتراآى لنا عن يسار الذاهب شرقا
اثار قصور ضخام وابنية عظيمة مرصوفة بالحجارة المنحوتة
والرخام بالغ في اتقانها بانيها ودلت على امر عظيم مبانيها
وذلك كله خرب واندثر ولم يبق منه سوى الاثر ولله الامر من قبل
ومن بعد وبيده سبحانه تصاريف الامور وامور الحر والعبد
واتينا سبخة مقطع الكبريت بعد ذلك فبتنا هنالك وسمي هذا
الموضع مقطع الكبريت لان في اعلا السبخة معدن الكبريت في آبار
وعيون كالمرج يحمل منها كالطين ومن هناك يحمل الى طرابلس
وكذلك الى مصر والاسكندرية ويذهب منها مع الركب الى مصر
في كل سنة احمال كثيرة لان العرب الذين يحملون بالكرا من مصر الى
طرابلس للحجاج اذا رجعوا حملوا على ما فضل من ابلهم عن الكراء
كبريتا ويتقدمون امام الركب بيوم اذا اشارف هذا المحل ثم يلحقون
الركب في المنعم بالقرب والجلود مملوة بذلك ويتركونها الى ان تجد
لتتداوى بها الابل الجربة فقد ذكروا انه لا انفع منها لجرب الابل
قيل وكذلك جرب الادمي ايضا فانه ينفعه جدا واذا ارادوا المداواة
به حلوه في شي من الماء وطلوا به الجرب فيذهب باذن الله تعالى البار
الحكيم الواسع الرحمة وارتحلنا من مقطع الكبريت فنزلنا المنعم
كما تتفكه بمائه العذب وتتنعم والمنعم معطن عظيم مشتمل
على احساء كثيرة لا تكاد تعد في وسط كثبان من الرمل على ساحل
البحر وماؤها عذب طيب فرات ولاسيما الابار التي في حيز المشرق
فانها فاقت في العذوبة وكلما انحازت الى الغرب ضعفت حلاوتها
قدرة الملك القدير المنفرد بالتدبير ومن المنعم يمرنا بالمصانع
وهي غدران مصنوعة بين كثبان الرمل من غير صانع وارتحلنا
نعمل السير الحثيث المديد فوردنا في العصر آبار الحديد وهو معطن
آباره منقورة في صفاح الحجارة ومياهه جاوزت الحد في الحلاوة

والغزاره مع سهولة المأخذ وقرب التناول من تلك المواجد
فطفق الناس يسقون و يستقون من مياهها الفايضة الرابيه
خشية الازدحام في الاجدابيه و توضأنا منها وصلينا العصر
حواليها وقصدنا الاجدابية فوصلناها مع الاصفرار ايها قال
الامام ابو سالم وفي هذه الجابية اثار عمارة كثيرة وابار عظيمة
منقورة في الحجر وبنيان هايل بالحجر المنحوت وهنالك رسم مسجد قديم
تهدم ووجدنا في بعض حجارته تاريخ بنيانه منقوش سنة
ثلاثمائة قال واخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل عن بعض
المشايخ ان الامام سحنونا كان مدرسا بهذا المسجد ثلاث سنين
وهذه المدينة هي مدينة برقة المذكوره في كتب الفقه وقيل انها
مدينة بالجبل الاخضر في الجانب البحري واستغرب هذا القول
من جهات منها ما يذكر ان بها قبر احد الصحابيين الذين ذكر المورخون
انهما بها وهما رويفع بن ثابت بن السكن الانصاري النجاري
لانه دفن بها لما كان اميرا عليها من قبل مسلمة بن مخلد وزهير بن
قيس البلوي بعثه عبد العزيز بن مروان الى برقة فلقي الروم
فقاتل حتى قتل في برقة ومنها ما يذكر على لسنة الفقها ان بين برقة
وبين كل من مصر وافريقيه نحو الشهر وهذا تشاركها فيه الاجدابيه
ايضا لان بينها وبين المدينة التي بالجبل الاخضر نحو من خمسة ايام
ومنها ان التي في الجبل اقرب الى مسمى المدينة لما بازائها من المياه
والاماكن المخصبة والمزارع الكثيرة والغياض الملتفة من انواع
الاشجار بخلاف الاجدابية فانها في صحراء من الارض والله تعالى اعلم
بغيبه وقد سبق لنا ان مسمى برقة على التعيين عند عرب البلد اليوم
هي مسيرة ستة ايام من المنعم الى سلوك وفيها رسوم ابنية كثيرة
وان اطلاق برقة على ما سواها مجاز علاقته المجاورة وهذا يقوي
ان مدينة برقة هي الاجدابية وذلك المسجد الذي ذكره ابو سالم
هو باق الى الان من اشهر المعالم وبازائه قبر محوط عليه بالحجر يزار
يقال لصاحبه سيدي يونس وهو من عرب الفواخر وقد ذكره ابو سالم

ايضا

ايضا ومرت عبارته في تسمية هذا المكان بالجابية وهو سهو لانه لا يعرف
في برقة ارض ولا مدينة بهذا الاسم وانما اسمها الاجدابية كما في القاموس
وغيره والله اعلم وفيما بين الجديدة والاجدابية اثار ابنية عظيمة
وقواعد مدن هايلة جسيمة مبنية بالحجارة المنحوتة المحكمة الصنعة
والاتقان وذلك كله صار خرابا بعد عظيم العمران فسبحان المنفرد
بالبقاء بعد فناء المخلوق سبحان وارتحلنا من الاجدابية وظللنا
سايرين في ارض هشة كثيرة الغيران مملوءة بحجرة اليرابيع والفيران
لا يكاد يستقيم فيها سير البغال ولا البعران ووصلنا في العصر
الى ارض سماها لنا اهلها الشبان فتلقانا اهلها الكهول والشبان
وطلبوا منا المبيت لديهم بقصد التسويق واقاموا سوقا حافلة مملوءة
بالغنم والابل وغير ذلك من الالبان والسويق واعراب تلك الارض
يعرفون باهل الزاوية وهم ناس وجوههم طلقة غير زاوية واثار
الرفاهية بادية عليهم غير واهية غير انهم يشكون جور الغارات
من الاعراب والعمال ويزعمون انهم لا يحصل لهم لاجل ذلك تمام
الاعمال اخمد الله نيران الظالمين واذهب الجور من العالمين امين
وارتحلنا وقد نظمتنا الفيافي في سلوكها والا وصلنا فيما بين
الظهرين معطن سلوكها وسلوك معطن كالاجدابية في الماء ونقره
الابار في الحجارة غير ان ماء سلوك اشد عذوبة وغزارة فما راينا اعذب
منها ولا اغزر ولا اشد حلاوة واكثر بحيث تكفي الاركاب العديدة
ولا تتاثر مياهها الوافرة المديدة واخذ الناس يستقون من كل بير
حتى مضى من الليل جزء كبير وكان الناس ينتظرون اعراب تلك
الارض ليقضوا من اقامة السوق معهم نافلة السفر والفرض فلم
يظهر لهم اثر وكنا وجهنا اليهم من يخبرهم فما وقف احد عليه ولا عليهم
ولا عثر واخبرنا بانه مرض في الطريق فبقي لا الى هؤلاء الفريق ولا
الى هؤلاء الفريق وهذا المورد هو اخر برقة الحقيقية كما مر وتسمى
برقة الحمراء وهو بمراى من الجبل الاخضر وبازائه اثار ابنية عظيمة
وان كانت ابنية الاجدابية اكثر والعادة ان اهل ابن غازي يتلقون

الركب بانواع الفواكه والخضر وكانهم لم يصلهم ان الركب هناك قد
حضر مع كون الرسول المبعوث اليهم والى الاعراب عاقه المرض عن
استيفاء المقصود منهم والغرض وابن غازي مرسى حسنة بسفح الجبل الاخضر
بينها وبين سلوك مسافة يوم وفيها عامل وعسكر لصاحب طرابلس
وفي تلك المرسى تصب اودية السمن والعسل والشحم والودك من
الجبل الاخضر الذي لا اخصب منه ولا اكثر اداما بحيث يكتفي منها
اهل تلك النواحي وتحمل السفن منه اضعافا مضاعفة الى طرابلس
وجربة وما بازائهما من البلدان ومن هذا الجبل غالب ادامهم ولحامهم
مع رخص الاسعار الرخص الخارج الحد بحيث تشترى القناطير
من ذلك بالثمن التافه من بز او عروض او غير ذلك وغرائب هذا
الجبل وغفلة اهله وجهلهم ورخص الادام فيه مما هو مشهور معلوم ومع
ذلك لا يكاد احد يستوفيه وقد ذكر بعض هاتيك الغرايب ابو سالم
رحمه الله وارتحلنا متوجهين لدخول مفازة السروال الموصوفة
بشدة الاهوال فكان لطف الله حاضرا في جميع الاحوال وكنت قلت
ابياتا ضلت عني مبانيها وان كان لطف الله وتعويد الخير لعباده
في جميع المواطن وسؤاله تعالى ان يكمل علينا فهذا المحل هو المقصود
من معانيها فظللنا في فم السروال ثم دخلناه في قرب الزوال
والناس في وجل عظيم مما يعنّا دون من شدة الحر وكثرة الاوام
اذ لا ماء في مفازته الطويلة مسيرة سبعة ايام فلم نر باسا والحمد لله
بل سرنا في برودة تامة ونسيم طيب من فضل الله تعالى وبركة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانجى ببركته هذا الوفد من جميع الافات وسلم
وبتنا بابن فردان والليل قد الم وارتحلنا مجدين السير للمزرب
لعلنا نجد به من الماء ما فيه بعض الارب وهو واد توجد في جوانبه
غدران اذا قرب العهد بالمطر فوصلناه في العصر وما فرغ عهده
بالعهاد فضلا عن كونه قطر وبتنا في فلاة بهماء وارتحلنا
قاصدين وادي سمالوس لعلنا نجد به شيئا من الماء فوصلناه بعد
ارتفاع النهار فالفيناه جافا وجوانبه تنهال رماله اليه وتنهار

ووردنا

وقلنا بموضع يسمى الشبيكة حتى طبنا بصلاة الظهر فيها انفسا وبتنا
بموضع تسمى الغفسا وارتحلنا فمرنا بالمخيلى او مخيل او مخيليف كما
سمعنا كلا منها ولم نجد من نقلده فى تلك المعارف وسرنا فبتنا بسار
العلب الشارف وهو اسم رابية على تلك الطرقات رابيه وارتحلنا
يوم الاحد فمرنا فى معطن غزير يروى من عند انه كل احد فبلغنا معطن
التميمى قبل الزوال وهو معطن عظيم تزان بسوقه للقافلة الاحوال
فاجتمع اهل تلك النواحى من كل فج وجاء اهل درنة وغيرهم
لتسويق الحج وقامت هنالك الاسواق لا يرى الحجاج مثلها فى جميع
الفواكه والخضر وانواع الادم وضروب النعم ولا يجتمع فى غيرها
ما يجتمع فيها من السمن والادام والتمر والشعير والدقيق والغنم
والنعم ودرنة مدينة على ساحل البحر بها مرسى بينها وبين التميمى
مسافة يوم ونصف من غربيه وكانت خالية منذ ازمان الى ان عمرها
الاندلس قرب الاربعين والالف ولم يزالوا بها الى ان بطروا
فانشبوا الحرب بينهم وبين امير طرابلس فاخرجهم منها صاغرين بعد
وقعة قتل فيها مئون من اشرافهم وهى الان فى طاعته وفيها عامله
ومرسى هذه المدينة عجيبة تنزل بها السفن الواردة من الاسكندرية
ومن طرابلس ومن بر الروم ولاسيما جزيرة كندية فان بينها وبين
درنة مسافة يوم فى البحر لانها فى مقابلتها والمعاش فى هذه المدينة
متيسر كثير لجمعها بين البادية والحاضرة واقمنا فى معطن التميمى
يومين لينال الناس من مطالبهم ويقضوا من مآربهم ما فيه قرة العين
ويتوسعون فى استقاء اسقيتهم من كل عين وارتحلنا منه يوم الثلاثا
فى الفجر فظللنا سائرين على ساحل البحر حتى نزلت الغزالة ووصلنا
الى عين الغزالة وهى عيون من الماء العذب على ملوحة فيه تصب فى بحيرة
منقطعة عن البحر يدور بها القصب اكثر جهاتها وليس فى برقة
كلها ماء يجرى الا هذا فاستقى الناس دوابهم من تلك العين وظلوا تحت
ظلال الاشجار فى جوانبها حتى اقروا بصلاة الظهر بالعين وسرنا فى
سبخة مستطيلة بين جبلين ثم خرجنا لارض طيبة ذات محارث مخصبة

ومزارع متصلة بسواقي صبّية ومررنا في العشية عن يسار الطريق
ببيت منحوت في الحجر الصلد طولها عشرون ذراعا في مثلها وبداخله
بيت آخر نحو نصفه وفيه غرف صغار كأنها مخازن وكل ذلك منقور
في الحجر الصلد نقرا عجيبا مربعا كهيئة احسن ما انت راء من البيوت
وله باب مربع كاحسن الابواب وعند الباب حجرة واسعة منقورة
في الحجر ايضا فتعجبنا من بديع صنعتها واتقانها ورايع حسنها
واحسانها وتذكرنا قوله سبحانه وتنحتون الجبال بيوتا وجرى على
السنة الحجاج تسميته بقصر فرعون ولم ندر ما اصل ذلك ولا موجب
احداثه هنالك وقد اطال في وصفه العبدري واجاد واوما اليه
الشيخ ابو سالم ومررنا قبله ببيت آخر متصل بالارض قريب من الجبل
يسميه الحجاج بالحمام ولم يذكره احد من ارباب الرحل غير ان العبدري
ذكر انه مر في ايابه ببيت آخر مماثل للاول وابدع في وصفه ايضا
وذكر ان له مساطيب ومراحيض ومطابخ وغير ذلك فلعله هو
الذي مررنا به اولا والله سبحانه اعلم ولله الامر من قبل ومن بعد وظعنا
يوم الاربعاء التاسع والعشرين من رمضان فظللنا بالمدوّر وهو
ماجل مصنوع للماء يتالف فيها ماء المطر ولا يتغور وسرنا فوصلنا
في العصر للشجرات السبع وهي انواع مختلطة من الشجر كالرمان
والخروب وغير ذلك في وسط حفير منقور في الحجر وتجاوزناها
حتى اقبلت الظلماء وبتنا على غير ماء وارتحلنا يوم الخميس منعطفين
لناحية البحر لنرد منهل الدفنة ونقلد من جواهر مائه كل نحر فوصلناه
قبل الغروب وانزاحت عنا مشقة الكروب وهو منهل قرب البحر
مشتمل على احساء كثيرة سهلة التناول قريبة الماخذ نحو القامة وكل
من اراد احداث بئر حفرها فينبع معه الماء لسريانه في ذلك الساحل
كله وماؤه من اطيب المياه واجلاها واعذبها واحسنها واعلاها
وقد ملأ الحجاج منه اسقيتهم ومتعوا فيه دوابهم واوعيتهم وورد
علينا لهذا المورد طوائف من الاعراب بالسمن والغنم والابل وجاؤنا
بتمر سوى واخذ الناس منه كفايتهم بارخص سعر وذلك فضل الله

ونعم

ونعمة والله ذو الفضل العظيم وتمر سوى من احسن الثمار لم نر تمرا
يشبه تمر سجلماسة فرعة من يوم خروجنا الا هذا لونا وطعما وهذا الطف
منه وانقى لان عادتهم انهم لا يحملونه الا في قفاف من الغزق كل واحدة
قريبا من نصف قنطار ويجعلون لها معاليق تعلق بها على اقتاب
الابل فيحمل الجمل منها عشرا او اكثر او اقل على حسب صغرها وكبرها وقوة
الابل وضعفها وتلك صنعة عجيبة يبقى التمر لاجلها على حالة نظيفا ولا
يحتاج مشتريه لغرارة وليت اهل مغربنا يفعلون مثل ذلك وقد ورد
علينا لهذا المنهل قوافل من الابل بهذا التمر حتى تنتم بشرابه المامود
وذو الامر واصبحنا في الدار يوم الجمعة مهل شوال ريثما اصلحنا
الهيآت والاحوال وارتحلنا متاهبين لاقامة سنة العيد فخرنا غير
بعيد وكان شيخ الركب طلب مني ان انوي الصلاة والخطابة
فرايت ان املاها بالموعظة لاحتياجه اليها وطابه بل راينا غالب هولاء
القوم محتاجين للموعظة واللوم والايقاظ من الغفلة التي
استولت على قلوبهم والنوم ولا يمكن التوصل لذلك في غير هذا اليوم
مع ان الظاهر من فحوى كلام الفقهاء انه لا محذور في ايقاعها للمسافر
بل ربما يستشعر من افعال السلف واقوالهم استحبابها والقول بكراهة
عندي وان اختاره جماعة من الفقهاء ومال اليه شيخنا ابن ناصر في
رحلته من الامور البعيدة والله اعلم وبسط القول في هذا يراجع نظميه
الفروع الى الاصول في الابواب والفصول وبعدما فرغنا من
الصلاة خطبت لهم خطبة حافلة جامعة لما يتعلق بالقواعد محذرة
مما الفه الناس من الغيبة والنميمة وغير ذلك من العوائد مشتملة على
الانتداب للحج وذكر فضائله والاحاديث التي وردت عن النبي عليه
السلام في فروضه ونوافله مع قلة الالفاظ وجزالة المعاني السهلة
للحفاظ وكنت اثبتها في الرحلة الضائعة لما حوت من المعاني
الرائعة والفصول الجامعة تقبلها الله على الاضاعة وجعلها لنا في
الاخرة انفع بضاعة امين ولما انصرفنا من الصلاة انحاز كل فريق
لفريقه واظهر في طريقه حسن طريقه واحضروا من انواع الاطعمة

اي حالة

المختلفة الالوان ما لا يجمعه ايوان فى مثل ذلك الالوان مما لا يتفق
فى الامصار والحواضر واوسعوا من ذلك كل حاضر تقبل الله الاعمال
وبلغ الامال بمنه وكرمه وبعدما استرحنا فى ذلك المكان اعملنا
السير فبتنا فى فضاء من ارض بطنان وكان بقربنا قبر مزار يقال
لصاحبه سيدى عزيز وهو من عرب سمالوس تاتيه الاعراب بابلهم
وغنمهم فيمرون بها بين كومين هناك ويزعمون ان من مشوا بها
هناك لا تصيبها افة فى تلك السنة وربما اقتدى بهم بعض الحجاج
فيفعلون مثل فعلهم وظعنا يوم السبت فاتينا العقبة الكبيره
فى وقت الظهيره وهى عقبة مشرفة على البحر وعرة ذات حجارة
عظيمه ترجل فيها الناس كلهم ولحقهم فيها تعبهم وكلهم وبقينا
تحت العقبة على ساحل البحر ريثما استرحنا وصلينا الظهر والعصر
وسرنا فوصلنا فى المغرب منهل المقرب ولم يصل اخر الركب حتى غاب
الشفق وغرب فتفرق الناس بين هاتيك التلول يستقون من مائه
العذب الطيب الزلال وعنه بتنا عن يمين الخشومى فى موضع يقال
له حوز البقر وربما سماه بالقش بعض من بحث عن اسمه ونقر وارتحلنا
يوم الاثنين فظللنا سائرين فى بلاد مشتملة على مواجل كثيره واثار
عمران عظيم وابنية داثرة اثيره وبتنا فى فلاة يهماء على غير ماء
وارتحلنا فاصبحنا فى وقت الضحى ببور جرجوف وهو معطن على
شاطى البحر معروف مياهه كثيره واباره كبيره وغالبها عذب طيب
المذاق والقليل ردى لا يكاد يذاق مع شدة مقاربتها ومحاذاتها
واتحاد تربتها فى ذاتها صنع الفاعل المختار الذى يخلق ما يشا ويختار
فتفرق الناس على الابار يسقون الهايم والابال واقبلوا على امتلاء
القرب كل الاقبال وجددنا فى احسائها الطهر وصلينا به الظهر
وسرنا حتى وصلنا فى المغرب لجلازين وهو واد لا ماء برمله اليابس وبتنا
فيما حواليه من البسابس وارتحلنا يوم الاربعا فمررنا بابى خلادق
وهو اسم ولى قديم الوفاة مشهور من اولياء الملك الخالق والفينا
بقربه ماجلا عظيما مملوا بماء المطر فبادر اليه من احتاجه وقضى منه الوطر

ثم

ثم مررنا بوادي الرمل بعد ذلك وهو واد عظيم تكتنفه جافات مرتفعة
هنالك وهو وان كان جافا من الماء ففيما يتصل منه بالبحر عن يسار
الذاهب مشرقا آبار تسمى المطروح فيها من المياه العذبة ما فيه غنية النفس
وشفاء الروح ولكنا استغنينا عنه بماء جرجوف الذي في القرب وما
يعرف له احد من الركب الا شرذمة قليلة من العرب ثم مررنا بواد آخر
اعظم من واد الرمل مساحة يسمى وادي نصر الله بين اعراب تلك الساحة
وهو وان كان جافا من الماء ايضا فعند اتصاله بالبحر بئر تسمى
العبدية تفيض مياهها لكثرتها فيضا وهي مطوية بحجر في سفح
جبل مفرطة الكبر بحيث تقوم للاركاب مقام السبل وقابلنا
عروضها بالاعراض استغناء عنها بما في القرب اذ لم تتعلق بها
لاحد اغراض ثم مررنا بوادي الى كدية الكبش المغني بعيونه الملحة
بهائم الركب وان كان جافا من الماء عن كلفة البير فشربت منه جملة
من البهايم وتجاوزا اول الركب مع العلام والخبر وجعلوا يرتادون
المنزل واخذ كل يحوز موضعه وينزل فاذا بصاحب شيخ الركب
ينادي بين اهل ذلك النادي لا تنزلوا بل جدوا في المسير فقام
الناس واخذ كل من الرجالة يوقد في يده نارا كالمشعل ليهتدي
اليه من خلفه ويسير فما نزل الشيخ المركبي حتى مضى من الليل جزء
معتبر وعبرنا الدار قرب معطن المدار وظعنا يوم الخميس مع
الفجر فمررنا ضحى بقصبات المدار وهي آثار ابنية قديمة منخوبة في الحجارة
متفرقة تتراءى في الطريق وعن يمينها احاط بها البناء وواد ثم
وصلنا منهل المدار وهو احد المناهل التي عليها في ارض برقة المدار
كثرت احساؤه وطاب صباحه ومساؤه وقرب تعاطيه وسهل
تناوله وكثر ماؤه العذب الطيب واشتهر فضله وتطاوله فتفرق
الناس فيه وسقوا دوابهم وابلهم ثم استقى كل في قربة ما يكفيه وبعد
ما صلينا الظهر وفات الزوال اعملنا السير المتوال وتبنا بعد
غروب الشمس في ليلة غراء بعد الانحدار من العقبة الصغرى وظعنا
يوم الجمعة آخذين الحذر من الاعراب وهم السلالمة وخويلد الذين اعرو

فى التلصص والغدر غاية الاغراب وعند ارتفاع النهار ظهرت خيول
كثيرة يعلو غبارها امام الركب كالدخان وما فيهم الا من غدر وخان
فتشوش الناس واستعدوا العدد والاهب وما منهم الا من اسلم
نفسه لمقاتلة السلاملة وخويلد ووهب فلما راوا تاهب الحجاج اليهم
اظهروا انهم سلم جاوا لتسويق الركب واقبلوا بعلم السلامة عليهم
ثم ظهرت خيول اخرى فى اخريات الركب فانتظرهم الحجاج فلم يظهر
لهم خبر بل رجعوا وقد علاهم الالم والكرب وسلم الله وفد بيته
وزوار رسوله من الظالمين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين وحثثنا السير وتركنا راس الحصان يمينا ونزلنا
عن يسار زرزورة وهى ربوة صغيرة تقابل حميمة من ناحية الغرب
وحميمة مورود مشتمل على احساء كثيرة فى رملة بيضا ذات ماء طيب
عذب ولم نمر به استغناء عنه وان بتنا قريبا منه وارتحلنا يوم
السبت اخذين الحذر ايضا من هولاء العربان الذين ظهر شرهم وبان
وبعدما ارتضينا فى غوط منخفض بين الكثبان قام على ربوة من
الحجاج حاج لقضاء بعض الحاج فاشرف على خيول كثيرة فى اخريات
الركب يلتمسون الغرة للانتهاب فركب الناس واستعدوا الملاقاتهم
والتفتوا اليهم واقبلوا بكثرة العَدد والعُدد عليهم ورموهم
بالبنادق ليرتهبوا اى ارتهاب فلما علموا تاهب الناس لقتالهم
وتحققوا ان الحجاج لا ينالون بقوة الله وفضله بالاضعاف
المضاعفة من امثالهم رفعوا امامهم راية وجعلوها علامة على
انهم سلم لا ارب لهم فى الشر والاذية وان كانت المخايل تكذب حالهم
وتظهر مكرهم ومحالهم وغادرناهم فى غدران غدرهم هائمين
وسرنا فى يم الامن والامان عائمين وما زال الناس يبصرون
اثارهم الى ان ولى النهار وانقطع خبرهم الذى لم يزل على شفا جرف
هار وحال الله بيننا وبين القوم الظالمين وخلص وفده من
خويلد والسلاملة سالمين وبتنا فى قصبات الشامه وهى ابنية كثيرة
تتراءى فى جوانب الطريق وامامه وارتحلنا يوم الاحد قاصدين

منهل

منهل الثمامه لنرد من مائه العذب ولا عذوبة مياه الغمامه فعرضت
لنا خيول كثيرة في هيئة عظيمة وابهة كبيرة ورئيسهم محمد باي عامل
البحيرة خرجوا بقصد التعرض للاركاب والبحث فيما بين الرجالة
والركاب عن رجل يعرف ببركس وهو احد سناجقهم وكبرائهم
وقوادهم العظام ووزرائهم كان عتا عتوا كبيرا في تلك الارض وعمت
شوكته الطول منها والعرض فعزموا على تغيير احواله وسفك دمه
وانتهاب امواله فخرج من مصر خائفا يترقب ونشط للفرار بنفسه
نشاط غير على مرقب فكان استقراره بالجزاير ليس بمزوره الخفية
ولا زاير فتحير اكابر العسكر المصري من سكونه وخفيته وكمونه
وبقوا يتجسسون عن اخباره ويبحثون عن اثاره وينقرون عن
استخباره مخافة ان يعود الى مصر على ما فارقها عليه من العتو الذي
لا حد له ولا حصر فكان من راي باشا مصر وشدة عزمه وقوة همه
واحتراسه وحزمه ان وجه هذا العامل بجيشه العرمرم لفحص الاركاب
وتفتيشها عن ذلك النكس اللئيم فتعرضوا اولا لركب الجزاير وفتشوا
حتى الدوابك والمحاير فلم يقفوا له على خبر في حاضر ولا دابر ثم تعرضوا
لنا في خيل مسومه وعدد كثير وعدد مقومه واظهروا من الاطبال
ما حير الالباب ومن الغوايط ما عم صوته كل اكمة وغايط ومن
المعازف ما تنكرت منه المعارف واستعد الحجاج لملاقاتهم كل الاستعداد
واستمدوا من معونة الله فوق ذلك الاستمداد فسرنا نخب ونضع
ونرفع ما اتضع حتى دنونا منهم اذ لم يسعنا الاعراض عنهم فاقبل
كبيرهم على الشيخ وسلم عليه واكثر من الفرح بلقائه وشدة الاشتياق
اليه واخذوا في مسابقة الخيول واكثروا من اللعب بالمعازف والابواق
والطبول والركب سايروهم يلعبون امامه حتى وصلنا منهل
الثمامه وهو احساء كثيرة على ساحل البحر الاجاج كالمعاطن المتقدمة
في طريقة الحجاج فاخذ الناس في السقي والاستقاء بنية الانصراف
من ذلك المورد وعدم البقاء فبعث رئيس العسكر للشيخ ان اقيموا
اليوم فساعفه بالاقامة خشية المعتبة واللوم وقام اكابر العسكر

بالتفتيش والتنقير كل الخيام وعموا بالبحث ما امكنهم جميع الخيام
فما وجدوا لسركسهم من خبر بعدما اختبر كل منهم جميع الاركاب
وخبر وارتحلنا يوم الاثنين من الثمامه فركب جيش الاتراك وتقدم
الركب وسار امامه فظننا انهم ركبوا الخيول بقصد التوديع ليخرجوا
من تشنيع عدم التشييع فاذا هم ارادوا انهب من كان معنا من
عمالتهم من الاعراب فتعرضوا اوائل الركبة اخذوا من عرفوه من
قبيلهم دون استحياء ولا استغراب وحازوا ابلهم دون تبيين
ولا اعراب ولله الامر من قبل ومن بعد وفيه الكفاية اذا انقطع
الرجاء من العبد وانفصلنا عنهم والقلوب متقلبة بين جمار
غضى الجور في ذلك القضاء سائلة من الله تعالى اللطف في القضاء
فهو سبحانه ينتصر على من انتهك حرمة وفده ويجازي الصابرين
على ضير الضائرين من واسع احسانه ورفده وبتنا عز في القرعه
في ربوة تسمى لعرجف في فلاة قرعه وارتحلنا يوم الثلاثا فبتنا
بمنهل عقوته وهي ربوة ذات آبار عذبة ليست بمتروكة ولا معفونة
وماؤها من اعذب المياه واطيبها واحلاها واسهلها واصفاها
واجلاها وارتحلنا يوم الاربعا فتياسرنا عن وادي الرهبان
وهو واد ممتد بين عظام الكثبان سمي بذلك لان فيه رهبان
النصارى يتعبدون في ديور اربعة كل طائفة في دير ولا يدخل
اليهم احد من غير جنسهم وليس لهم زرع ولا ضرع واهل الذمة
من نصارى مصر يعاملونهم ويوجهون اليهم بالصدقات والنذور
في طعام وكسوة وغير ذلك وقد مال اليهم بعض الحجاج وشاهدهم
هنالك وبتنا في اثناء هاتيك الرمال في ارض لا نبات فيها ولا
مرعى للبهايم والجمال وارتحلنا يوم الخميس فظللنا قبالة الاهرام
التي رمت الدهر بالمشيب واشرفت على الاهرام وقد جمع السيوطي
في وصفها ما قصد ورام كقول ابن الساعاتي في ذلك المرام
ومن العجايب والعجايب جمة   دقت عن الاكثار والاسهاب
هرمان قد هرم الزمان وادبرت   ايامه وتزيد حسن شباب

لله اى بقية ازلية تبقى الزمان باطول الاسباب

وكقول سيف الدين بن جبارة

لله اى غريبة وعجيبة فى صنعة الاهرام للالباب

اخفت عن الاسماع قصة اهلها ونضت عن الابداع كل نقاب

فكانما هى كالخيام مقامة من غير ما عمد ولا اطناب

واطال فى انشاد الاشعار فيها ونبه على اصل وضعها وبانيها وغير ذلك من الامور التى لا يقوم بها التاليف ولا يستوفيها وسرنا متيامنين عن الاهرام حتى آن العصر وبتنا بعد مجاورة كوداسة بين ارياف مصر وورد علينا ناس كثيرون من مصر بانواع القثاء والبطيخ وغير ذلك من الخضر وجاؤنا بجميع انواع اطعمة الحضر واستقينا من ماء النيل العذب الزلال وبتنا متنعمين فى انواع الخيرات التى لا جزاء لها الا ادامة شكر ذى الاكرام والجلال ولم يزل الناس ليلتهم فى ارغد عيش شبعا وريا وكيف لا ونحن على ساحل النيل الذى اشرف الانهار الاربعة الخارجة من الجنة الى الدنيا واثر بركته ظاهرة للعيان فى نباته وترابه وقراه ومداينه بحيث لا يوجد بلد اوسع مزارع واكثر خصبا مع اتصال العمارة بحوالى الشهر من هذه بيد انها الان بها اختصاص بمضاعفة الوظايف الجورية على الزراعة بحيث تملك رقابهم فضلا عن اموالهم ولا يجدون عن ذلك محيصا بمنعة او فرار حتى ان احدهم لو اراد ان يتخلى ويترك الزراعة والفلاحة لم يتركوه ولو فر لاتبعوه حتى استفاض عند العمال الفسقة ان عادته لا تقبل فيهم شفاعة ويعدون منهم من يريد ان يتخلى عن الفلاحة والزراعة فانهم اسدا لا يوفكون لا هم ينصفونهم ويخففون عنهم من المظالم ولا هم يتركونهم يذهبون حيث شاؤا من هذه العوالم اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا وقد ذكر المورخون ان مصر لا بد ان تشتمل على طائفتين احداهما فى غاية العتو والاستكبار والاخرى فى غاية الذل والاحتقار وقد صدقوا فقد كان فيها فرعون وملؤه فلم يمنه دون ان قال انا ربكم الاعلى وبنوا اسرائيل اذ ذاك مستضعفون

فی الارض یذبح ابناءهم ویستحیی نساءهم ثم لم تزل كذلك وانها
فی زماننا بل قبله بازمان لعلی مثل ذلك الوصف فنشواتها وصناجقها
وولاتها وحكامها بل وسایر جندها وعسكرها فیما ظهر لنا لیس
فیهم الا من اعماه الباطل وحب الدنیا واسكره شراب الریاسة والظلم
وختم علی سمعه وقلبه فهم لا یرحمون ضعیفا ولا یوقرون كبیرا ولا
یعظمون مشروفا ولا شریفا فلا یامن الناس معهم علی نفس ولا مال
لانهم عدل بهم هواهم عن طریقة العدل والحق ومال واما رعیتها
وفلاحتها فلا تسل عما یلاقون من الظلم والجور من الجند وما هم فیه
من الاهانة والاحتقار تضرب ظهورهم وتوخذ اموالهم ولا مشتكی
لهم الا الله ومن تجاسر منهم واشتكی ضوعف علیه العذاب الالیم واخبار
مصر وظلم الولاة بها وغش الباعة وحیل المتسببین ومكر العاملین
اعظم من ان تحصی ولا غرض فی تتبع ذلك ومن وردها یعلم غالب
ما هنالك واصبحنا علی انبابه وتوجهنا لزیارة سیدی اسمعیل الانبابی
وفرغنا بابه وانبابة مدینة علی ساحل النیل لها اسواق حسنة ووكایل
ومساجد علی هیئة القاهرة وهی بالجانب الغربی فی مقابلة مدینة بولاق
ولما انتهت مدینة انبابه اشرفنا علی النیل یرفع علی سواحله عبابه
فتذكرت حین ابصرت تلك المحاسن التی لا استوفیها قول ابن ناهض فیها
شاطی مصر جنة ما مثلها فی بلد لاسیما مذ زخرفت بنیلها المطرد
وللریاح فوقه سوابغ من زرد مسرودة ما مسها داود ها بمبرد
سابلة وهولها یرهب غاری الجسد والفلك كالافلاك بین حادر ومصعد
وقول الاخر انظر الی النیل الذی ظهرت به آیات ربی
فكانه فی فیضه دمعی وفی الخفقان قلبی
واجتمع الناس علی شاطی النیل مواكب مواكب واخذوا یعبرونه
فی المراكب وحیث عبرناه ونزلنا ببولاق الفینا عم رفیقنا سیدی
محمد وهو السید الحاج مسعود جاءنا بقصد التلاقی والفینا هنالك
من الابل المعدة لحمل الحاج ما فیه غنیة للحاج ویحمل علی الواحد منها
اربابها من عظیم الاحمال ما یكل عن حمله فی موضع اخر الجمالان والاجمال

نقضیا

فقضينا من ذلك العجب وذكرنا حكاية تحتم ذكرها هنا ووجب ذكر الشعراني في طبقاته عن بعض الصالحين ممن يسكن في بعض قرى مصر انه كثرت اذاية اهل القرية التي هو بها له فعزم على الخروج منها فاكترى جملا لا يحمل امتعته فاتى بحمل لجمل يلقي عليه كل ما كان من الامتعة فلما اكثر عليه قال له الشيخ انك قد ثقلت على هذا الجمل فقال له صبي هناك يا عم ان الجمل يحمل اكثر من هذا فتفكر في نفسه وقال هذا خطاب من الحق لي فاذا كان الجمل وهو من الحيوانات البهم لا يعقل ولا يرجو ثوابا يحمل اكثر من هذا فكيف لا احمل انا اكثر من هذا من اذاية الخلق فحط امتعته ورجع فسمع منشدا ينشد

ان الجمال التي بالحمل قد عرفت   تأبى العياء ولو متت من التعب

فاكد ذلك عنده فافهمه وقد رايناهم حملوا على جمل واحد ما كانت تحمله الخمسة والستة من الابل في الطريق وقد نزع الله لهم الابل ونزع الرحمة من قلوبهم عليها يحملون عليها القناطير المقنطرة من الامتعة واحمال التبن والحطب وغير ذلك حتى لا يظهر من الجمل الا راسه ثم يدخلونها السفينة كذلك وينيخونها فيها باحمالها على ظهورها ثم يخرجونها منها كذلك وقد الفت ابلهم ذلك واما ابلنا فلا يدخل منها جمل الى المركب الا بعد عناء شديد ووثاق ونيق وضرب عنيف وادارة الرجال بها بعضهم يحملها وبعضهم يضربها وبعدما حملنا الحوايج وانفصلنا عن ذلك الموقف الرايج تقدم عم رفيقنا الحاج مسعود يرتاد لنا منزلا قريبا من الازهر لانه لدينا سعدا تسعود

ذكر دخولنا لمصر القاهرة حفظها الله وامنها من كل سو قاهرة

ثم دخلنا ضحوة الجمعة الى القاهرة ذات المحاسن الظاهرة والمزايا الباهرة فالفينا الحاج مسعودا اكترى لنا محلا في الغورية قريبا من الناحية الازهرية فانزلنا امتعتنا فيه وانطلق بنا الى منزله الكريم الاهل المحفوف بالفرحب وسهل واهل واحضر لنا من انواع الاطعمة ما لا نكاد نقوم بحقه ولا نستوفيه وختم لنا بما فيه من الاشربة غاية الشهوه وجرى على اصطلاح اهلها تيك الارض في تاكيد

حضور شراب البن المعروف عندهم بالقهوه بعدما نوع لنا الاطعمة
المغربية والمصرية وجمع لنا منها بدوية وحضرية وان كان اهل مصر
بل وكذلك غيرهم من اهل الحرمين والحجاز والافاق المشرقية كلها انما
يتكارمون بالقهوة التي لا يعرفها المغاربة ولا يعدونها في الاطعمة
ولا في الاشربة ولا في الادوية ولا في المشتهيات والكلام فيها من
حيث الحكم بالاباحة وعدمها طويل عريض واسع معلوم مشهور نظما
ونثرا واكثر العلماء مائلون فيها الى الاباحة وترشح قولهم بفعل اكثر
الصوفية مع تورعهم في المطاعم والمشارب لما اشتملت عليه من الفوايد
التي منها اعانة على السهر في العبادة والمطالعات الليلية ومنها
انها تزيل ما يحصل في الراس من التدويخ بسبب السهر وخلو المعدة
صباحا فاذا شربها الانسان وجد في اعضائه نشاطا عظيما واحس
بخفة في راسه زائدة كما شاهدنا ذلك منها ولا سيما في السير ليلا
بالحجاز ومنها انها تهضم الطعام وتذهب بثقله على المعدة ومنها
انها تنفع في الحر وتبرد حرارة العطش فلا يحس شاربها بعطش ولا
حر ولا غير ذلك وكونها باردة هو المتداول بين الناس ولكن قال
الشيخ داود الانطاكي في التذكرة ان البن حار في الاولى يابس في الثانية
قال وقد شاع برده ويبسه وليس كذلك لانه مر وكل مر حار ويمكن
ان يكون القشر حارا ونفس البن اما معتدلا او بارد في الاولى والذي
يعضد برده عفوصته وذكر له منافع منها انه مجرب لتجفيف الرطوبات
والسعال البلغمي والنزلات وفتح السدد وادرار البول قال وقد شاع
الان اسمه بالقهوة اذا حمص وطبخ بالغا بالماء وهو يسكن غليان
الدم وينفع من الجدري والحصبة وذكر غير ذلك مما محله غير هذا المختصر
وقد كان ورد علي ونحن في الحرم الشريف سؤال يتضمن ابحاث
نفيسة تتعلق بالقهوة واحكامها فجمعت في ذلك تاليفا مستقلا حافلا
سميته الاستمساك باوثق عروة في الاحكام المتعلقة بالقهوه ورتبته
على مقدمة واربعة فصول وخاتمة وابديت فيه من نفيس الابحاث
ودقيق الانظار ما يشهد بتحريره عند مشاهدته جميع النظار فعدا عليه

ذلك

ذلك السارق واخذ فيما اخذ من القراطيس والمهارق تقبله الله على
التلف وعوضنا فيه وفي غيره خير خلف وقد صحح بعض العلماء انها تحرم
على من طبعه السوداء وتكره لمن طبعه الصفراء وهي نافعة لصاحب
البلغم قلت وكذلك غيرها من انواع المطعومات والمشروبات
يحرم تناول ما يضر منه على من علم انه يضره ولا يكون ذلك موجبا لتحريمه
مطلقا كما لا يخفى والحاصل ان الشاربين لها كما قال الشيخ ابو سالم
فريقان فريق يشربونها في اماكن معدة لذلك من حرفة قلما تخلو من
لهو وحضور من لا يحل حضوره من الجواري ومن في معناهم من المرد
مع الات الطرب والغناء فهولاء الحامل لهم على شربها اتباع الاهواء
والتلذذ بما قارنها من الامور المذمومة فينبغي ان يقال انها محرمة
في حق هولاء لا لذاتها بل لما قارنها من الامور المحرمة وهذا لا خصوصية
له بالقهوة بل وكذلك الحليب المجمع على حليته اذا قارنته هذه الامور
المحرمة الممنوعة شرعا فانه ينبغي ان يمنع الاجتماع عليه بمثل هذه
الهيئة الفاسدة اذ ليس شربه هو المقصود منها بل ما حف به من
المناكر العظيمة المبنية على غير قاعدة والفريق الثاني يشربونها
في مساكنهم وحوانيتهم وفي مطلق السوق من غير قصية ولا احتفال
ولا جلوس مع الفريق الاول فهولاء الحامل لهم عليها الفهم لها حتى
انهم يتضررون بتركها ويحدث لهم تركها ضررا في ابدانهم وقد يحملهم
على شربها تحصيل ما اشرنا اليه من المنافع وغالب ما يستعملونها مع
طعام خفيف من كعك او كسر خبزا ونحو ذلك هذا مع خفة مؤنتها
اذ بفلس واحد يشرب من ذلك ما يكفيه مع تيسرها في جميع الاوقات
من غير احتياج لكبير مؤنة ولا مقارنة ادام او ملح او ارز او خضر
او غير ذلك مما يحتاج اليه غالب الاطعمة ويزاد على ما ذكر من منافعها
وهو اكبرها عندهم انها تقوم مقام القرى للضيف بحيث لا يستحيي
احد في تقديمها للباشا فمن دونه ويقوم ذلك عندهم مقام ما يتكلفه
المرء عندنا من الاطعمة الكثيرة الفاخرة المنوعة التي تبلغ قيمتها
الدنانير الكثيرة ودرهم واحد يقوم مقام الدنانير لا يكرهه احد

على انه لو قدم لاحد هنالك اى طعام لم تكن معه فكانه لم يقدم له شئ
وان قدمت هى وحدها كفت قال الامام ابو سالم بعد ان ذكر مثل ما تقدم
لطيفة اخبرنى شيخنا الملا ابرهيم بن حسن الكورانى ان شيخنا
الامام صفى الدين القشاشى كان يقول مما انعم الله به على اهل الحجاز
هذا البن لانهم ضعفاء فقراء فى الغالب والناس يقدمون عليهم من
الافاق والانسان لابد له من طعام يقدمه لمن دخل عليه ولا قدرة
لهم على تكلف ذلك لكل احد يدخل عليهم وهذه القهوة خفيفة المؤنة
والناس راضون بها غنيهم وفقيرهم ورئيسهم ومرؤوسهم فكانت
صيانة لوجوه الفقراء عند ورود الاحد عليهم فلا يبعد ان تكون مستحبة
عند اهل الحجاز لان اتخاذ الانسان ما يصون به عرضه مطلوب شرعا قال
ذلك فى معرض المزاح وقد سئل عن حكمها قال ابو سالم وكلام هذا الشيخ
مع جلالة قدره وجمعه بين العلم الظاهر والباطن وكلام غيره من ائمة
الطريق مما يتقوى به قول من قال باباحتها لان المسئلة اذا كانت ذات
قولين وكانت الصوفية مع احدى الطائفتين ترجح قولهم لا محالة
لما رزقوا من صدق الالهام ونفوذ البصيرة مع تاييد الله لهم عند اشتباه
الامور فيميلون مع الحق اينما مال لرفضهم دواعى الهوى نص على
ذلك غيره احد من الائمة وقد شاع وذاع عند كثير من الناس بل
ذكره غير واحد ممن تكلم عليها ان اول من احدثها واخرجها من ارض
اليمن الشيخ المتفق على ولايته سيدى على بن عمر الشاذلى اليمنى وامر
اصحابه بشربها ليستعينوا بذلك على السهر فى العبادة ثم لم يزل امرها
يفشو شيئا فشيئا ومن بلد الى بلد الى ان آل الى ما آل بحيث عمت البلاد
المشرقية وكثيرا من المغربية فيحمل منها فى كل سنة من بلاد اليمن الى كل
افق من الافاق شرقا وغربا آلوف من الاحمال فتدفع فيها اموال قلما
تدفع فى غيرها من التجارة فيبلغ الحمل منها فى مكة اذا رخص فوق
العشرين ريالة وبمصر الى الخمسين وفى البلاد الشاسعة كافريقية
وبلاد الروم من القسطنطينية وغيرها فوق المئين قال ابو سالم
ومن احسن ما رايته من الاسئلة والاجوبة فى شان القهوة نظما

ما

ما اشتملت عليه هذه الوجادة فاقول وجدت بخط شيخنا الامام
ابي مهدي عيسى بن محمد الثعالبي بمكة المشرفة ما نصه كتب العلامة رضي
الدين محمد بن ابرهيم الحلبي الحنفي المعروف بابن الحنبلي للشيخ علي بن محمد
ابن عراق يسأل عن القهوة

ايها السامي لكلتا الذروتين   بجوار المصطفى والمروتين
العلي القدر علما وكذا   عملا فوق علو النيرين
من له في الزهد باع ويد   وهو في بذل الندا رحب اليدين
افتنا في قهوة قد ظلمت   حيثما شيب تعاطيها بشين
من تلاه هالنا مهيعه   وافتراق لرقا وتل ومين
ومراعاة امور شهدت   فعلها في الحان كلتا المقلتين
وحكى شرابها اهل الطلا   فالتنافي بين تين الفرقتين
اودعوا ذا الطرس مارج الفتى   اودعوا فالياس احدى الراحتين

فاجابه الامام ابن عراق بقوله

ايها السامي سمو الفرقدين   وامام العلم مفتي الفرقتين
يا رضي الدين يا بحر الندا   من رجاكم راح مملوء اليدين
جاني منكم نظام قد حكى   في نصوع اللفظ مسبوك اللجين
قلت فيها ان ذي القهوة قد   خلطوها بتلاة وبمين
وبطعوم حرام وغنا   وبرقص وبصفق الراحتين
وطلبت الحكم فيها بعدما   قد رايت ما ذكرتم راي عين
وجوابي انها حل ولا   يقتضي ما قلتم تحريم عين
وعلى ذي الامر انكار الذي   شانها حتى تصفى دون رين
والتنافي عن حماها وهي في   وصفها المذكور شين اي شين
والصفا في شربها مع فئة   اخلصوا التقوى وشدوا المئزرين
ثم ناجوا ربهم جنح الدجا   بخشوع ودموع المقلتين
فابتداء الامر فيها هكذا   قد حكاه عن ولي دون مين
ذا جوابي واعتقادي انه   في اعتدال كاعتدال الكفتين

قال ابو سالم وللامام ابن عراق مشهور فضله وعلمه وورعه وهو

صدر فى علماء الحرمين علما وعملا وجوابه فى المسئلة هو الحق ان شاء الله
والى مثله يميل اجوبة كثير من الايمة من انها اذا خلت مما يضاف اليها من
المحذورات فهى فى نفسها مباحة وعلى ذلك عمل كثير من الايمة المتعمقين
فى الورع تركا لما لا باس به حذرا مما به الباس كما هو شانهم فى غيرها
من المباحات التى هى من الفضول قلت وهذا الذى اختاره
ابن عراف وجنح له ابو سالم هو المصرح به فى فروع المالكية كما فى الحطاب
وغيره وهو مختار الشافعية والحنفية ايضا كما وقفت عليه فى كثير
من اجوبتهم وتآليفهم فيها وكنت لا اعلم الحنابلة ما يقولون فيها
ولا ما يحكمون به عليها وكان ذلك يخدش فى الصدر وان كان يغلب
على الظن ان اقوالهم لا تخرج عن هذه القواعد حتى وقفت على
الكتاب الموسوم بالدرر الفرائد المنظمة فى اخبار الحاج ومكة المعظمة
تاليف الامام الكبير زين الدين ابى محمد عبد القادر بن الشيخ بدر الدين
محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابرهيم الانصارى الجزيرى الحنبلى وهو
كتاب حافل ابدى فيه واعاد وافاد واجاد واطال واطاب
وملأ الوطاب فرايته استطرد الكلام على القهوة فقال بعد كلام
واذا شربت مخالطة لوصف خبيث كما فشى الاجتماع عليها فى البيوت
والخانات فى هذا الزمن وعمت به البلوى وتواترت به المحن من الانهماك
فى حانات لهوهم على ما يوثر من فسادهم وزهوهم متصفين بقبائح
افعالهم الشنيعة واحوالهم المخالفة لامور الشريعة كخلط القهوة
بالمحرمات وادارتها كالمسكرات والتوسع فى الغيبة والنميمات
وقذف اعراض المحصنات المومنات وانبعاثهم فى اختلاق الاكاذيب
التى لا حقيقة لها وباطل الاشاعات وما لا خير فيه من الاعمال
والمقاصد القبيحات فلا خلاف فى حرمة ذلك فاولئك الذين حبطت
اعمالهم ونمت منهم الاوزار والسيئات ويجب على ولاة الامور ردعهم
وزجرهم ومنعهم من خبائث هذه الاجتماعات واما المنفرد والمجتمع
على شربها السالم من شوائب افعال المخلطين فى دابها فلا يمنع من
استعمالها سواء كانت مستعملة للاعانة على العبادة او على امر مباح

كبير

كسهر في صناعة او نشاط في عمل مباح لا نها حينئذ من احل الحلال بالنص ولاجماع ومن زعم ان شربها منفردة يسكر او يغير فقد افترى بهتانا واثما عظيما قال وقد الفت في حلها مولفا بديعا في بابه وسميته بعمدة الصفوة في حل القهوه وبينت فيه الحل بالنص الصريح وبطلان قول المخالف لذلك ممن هو لشربها غير مبيح ولا يحتمل هذا المولف الاطالة وقلت في حلها واطرابها

اضوا انس بدا يهدى لذى كرم … ام نار قهوة تسرى في دجا الظلم
موضوع صفوة اقوام قد اجتهدوا … في حفظ اوقاتهم ليلا على قدم
فانهض الى حانها واشهد منصتها … والمم بكاساتها المدام منسجم
فيها منافع لا اثم بها نجهها … ولا تصد عن الطاعات او تصم
ولا تخدر كالافيون ان شربت … او كالحشيش وما فيه من النقم
ولا كبرش يودى مسح مدمنه … في الذات والعقل والاحوال والشيم
سمراء لا تنزل الاكدار ساحتها … تشفي من النوم او عرف بدا بفم
وللحصاة مع الادرار ثق بشفا … وللصداع ففيها اى معتصم
ينشف البلة الرطباء في معد … وللبلادة قل ما شئت ان تدم
وفعلها في بواسير تناوله … اهل التجار حتى صار كالعلم
وفي الجماع لمرطوب المزاج يزد … حتى يرى ذاك في فعل وفي عدم
تفيد اللون اشراقا حرارتها … وتذهب الهم في بدء ومختتم
لا عيب فيها سوى تنشيط شاربها … وفي العبادة مفتاح لذى الهمم
ففعلها في نشاط لا يعادلها … فيه سواها ومشفاة من السقم
اكرم بها من شراب طاب مورده … الهام آ الطريق الله ان تدم
حلو فكاهتها من مذاقتها … حل مساغتها في الحكم فاحتكم
بها من البسط ما يعنون مرتحة … وهو ارتياح لنفس الشارب النهم
وخفة عند اسباب يعالجها … مع اقتدار على الاعمال بالهمم
ان قلت فيها حرام وهو مجتنب … قلنا المضرة فيها ليس للقسم
فتور اعضاء مدمنها اذا فقدت … فان وفت آت ما قد كان من عدم
وان تصفها بيبس للمزاج فقل … كل الكثير عدو الطبع بالسقم

فدع مقالة من قد ظل يمنعها ... بحرمة ولشرع عن هداه عمي
ولا تكن عن اصول الشرع في دهش ... فالحق يظهر من معنى ومن كلم
ولها اصل في مطعم حل بلا شبه ... فما عدا النص كالميتات او كدم
وزعمه انها كالخمر مسكرة ... عناد وه ظاهر فيها بلا وهم
اهل ترى شاربا منها يعربدا و ... يميل سكرا بقول غير منتظم
نعم اذا اقترنت بالوصف وجمعت ... فواحشا فاجتناب غير منفصم
وحيث ثبت بمحظور تعاطيها ... محرم لا لذات فاصغ واستقم
وادخل لحاناتها واشرب وكن لهجا ... بالذكر فهي طريق الصادق الفهم
واستجل فنجانها واغنم مسرتها ... في مجلس صادق عهد ذي النعم
مع البخور او الريحان في ملاء ... تدفع بدعوتهم ما خفته من نقم
ولا تكن بالحديث اللهو مشتغلا ... ففي البطالة انواع من الوصم
وقل بها في عبارات وفي سهر ... وفي نشاط وفي علم وفي حكم
فانها الحل ما دامت منزهة ... عن الخبائث في حل وفي حرم
وكل من رام اعداما لمشربها ... فقد تعرض للبلوى وللعدم
لونها تحفة السادات في سهر ... كشاذلي المحاوي الدين والقدم
وكالمساوي وكالشيخين في يمن ... هما المرجد والريحان في امم
وقل من عابها لها وقد وصفت ... لدائه فغدت تشفيه من الم
قد قيل ان بها سرا لولي فدع ... ذكر النقيصة بالتسليم واستلم
وكن بها هذلا وانح بها عملا ... ولا تكن كسلا في ساحة الندم
فقد جلوت عروس الشرع وانقشعت ... غياهب الشك عن نور من الرقم
ثم الصلاة على المختار من مضر ... خير البرية من عرب ومن عجم
لابن الجزيري يا مولاي جد برضى ... واغفر له يا عظيم العفو والكرم

قلت اوردت هذه القصيدة وما قبلها ليعلم منها ما يقوله الحنابلة وانهم موافقون لغيرهم من المذاهب مع ما اشتملت عليه من الفوايد المتعلقة بالقهوة والمنافع الناشئة منها غير ان ما وما اليه من انها تنفع من الصداع ومن البواسير مخالف لما قاله الشيخ داود الانطاكي في التذكرة فقد صرح بان شراب القهوة على الكيفية

المذكوره

المذكورة يجلب الصداع ويهزل جدا ويولد البواسير ويقطع الباءة وربما
افضى الى الماليخونيا قال فمن اراد شربه للنشاط او غيره من المنافع
فليكثر معه من اكل الحلو ودهن الفستق والسمن قال وقوم يشربونه
باللبن وهو خطا يخشى منه البرص وكنت نبهت على جميع ما يتعلق
بهذا وغيره في كتابنا الاستمساك باوثق عروه الذي اشرنا اليه قبل
وقد الف فيها جماعة من اهل مصر والقاهرة والحرمين والشام وغيرهم
مولفات عديدة ووقفت على جلها واثبت خلاصتها في ذلك الكتاب
وحليتها صريحة من عموم قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
الاية فقد قرر اهل الاصول انها دليل على ان اصل كل مطعوم من
نبات وغيره الحلية الا ما استثناه الله تعالى او ادى الى عذر في عقل
او بدن والله اعلم والكلام فيها كما قلناه طويل عريض ما بين مثبت
ومعارض وهذه النقطة غاية ما يحمله هذا الجدول من ذلك السحاب
العارض والبحر الاطول ولما قضينا الغرض من جميع ما عن من الاطعمة
والاشربة وعرض توجهنا للجامع الازهر الانور الازهر فصلينا
به صلاة الجمعة ونلنا بالحضور في حضرة الفضل جمعه ثم شرعنا
نجوب بعض مشارعها ونختار ديم جادتها وشارعها فاذا هي ام
العجايب ومعجزة كل جايل وجايب حازت كل اعجوبه واتسعت
حتى حازت من الارض ما لا يقدر احد ان يجوبه وجمعت اصناف
الخلايق وتعدد فيها اللايق وغير اللايق فهي ام البلاد شرقا
وغربا وقاعدة الامصار بعدا وقربا فلا يستغرب شي مما يحكى عنها
ولا يستوفي احد الغرض منها ومصداق ذلك ما حدث به بعض
التجار قال لما دخلت مصر في حدود الخمسين سكنت في بعض الوكايل
وكان من قدر الله ان اجتمعنا في محل واحد جماعة منا فلان تاجر وفلان
طالب وفلان صوفي وسماهم قال فاذا اصبحنا تفرقنا كل واحد يبغي
لحاجته فاذا اجن الليل جمعنا المنزل فنتحدث بما راينا فيقول التاجر
ما رايت مثل هذه البلدة في التجارة فاهلها كلهم تجار ويقول كل مثل ذلك
وما ذلك الا لكثرة اجناس الناس فيها فمن طلب جنسا وجده وبالجملة

فاهلها لهم عقول راجحة و ذكاء زايد فمن استعملها فى الخير فاق فيه غيره
ومن استعملها فى الغير فكذلك و ذكر ابن خلدون فى كتابه مشهد
العبران بعض ملوك الغرب سال بعض العلماء ممن حج عن مصر فقال
لا اقول لك فيها قولا واختصر من المعلوم ان دائرة الخيال اوسع
من دائرة الحس فغالب ما يتخيله الانسان قبل رؤيته اذا راه وجده
دون ما تخيل ومصر بخلاف كل ما تخيلت فيها فاذا دخلتها وجدتها
اكثر من ذلك وسئل اخر عنها فقال كان الناس فيها قد حشروا الى
المحشر لا ترى احدا يسال عن احد كل واحد ساع فيما يرى فيه خلاص نفسه
وجميع ما يحتاج اليه من احوالها مستوفى فى تواريخها واحسنها حسن
المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة تاليف الامام السيوطى رضى الله عنه فمن
اجاد مطالعته لم يفته من اخبارها الا المعاينة واصبح السبب فتوجهنا
لزيارة الامام الذى لا ينبغى لاحد دخل مصر ان يهمل زيارته اذ هو صاحب
التصرف التام بمصر رئيس الايمة وشيخ مشايخ الامة ابى عبد الله محمد بن
ادريس الشافعى رضى الله عنه وعليه بناء عظيم ومسجد حافل وقيم
المشهد لا يفارقه ليلا ولا نهارا وهو من المشاهد الكريمة والماثر العظيمة
له اوقاف عظيمة ويتخذ عند قبره فى كل ليلة سبت مولد يجتمع فيه ناس
كثيرون ويضيق بهم المسجد وافنيته يبيتون طول الليل بين ذكر وقراءة
وصلاة مفترقين مجتمعين فى ذلك كله لا يفترون الى طلوع الفجر وذلك
دابهم ابدا فى ليلة كل سبت وتتم عمارة الروضة من ذكر يوم السبت الى
الزوال وقد لقيناها مملوءة باصناف الناس ما بين شريف ومشروف
ومامور وامير ونساء ورجال والناس كلهم ينادون فى طريقهم يا الله
يا امام وذلك المجمع لا يخلو من جماعة من الصالحين فقد ذكر الامام الشعراوى
رضى الله عنه ان جماعة من الاولياء يحضرون كل يوم لزيارة الامام
الشافعى رضى الله عنه وهو حقيق بذلك وجدير بما هنالك فانه بالمحل
الذى لا يدرك علما وعملا وحالا وصلا وسعة اخلاق وحسن طبيعة
وذكاء اعراق ونصرة للدين وحماية له باذلا فى ذلك نفسه وماله وجاهه
فقد اتفق العلماء على انه ليس فى اصحاب الامام مالك رضى الله عنه اثبت

ولا اعلم ولا افقه ولا اعرف بالحديث من الامام الشافعي كما اتفقوا على ان
ليس في مشايخ الامام الشافعي اجمع للخصال المذكورة من امام الائمة مالك
ابن انس رضي الله عن جميعهم وزرنا المشهد العظيم المحتوي على جماعة من
اهل البيت رجالا ونساء اشرفهم السيدة نفيسة الطاهرة والتي اليها ينسب
المشهد وبها يعرف وعليه بناء عظيم وبازائه مسجد وبيوت تسكن فقلما
يخلو من زائر وراغب الى الله في كشف كربه وقبرها معروف باجابة الدعا
فهو ترياق لنيل كل مراد كقبر ابن عمها موسى الكاظم رضي الله عن جميعهم
ببغداد وهي السيدة نفيسة بنت الامير حسن بن زيد بن علي بن الحسين
دخلت مصر مع زوجها اسحق بن جعفر الصادق وكان الامام الشافعي
يصلي بها التراويح في رمضان وزرنا مشهد السادات المالكية ابن القاسم
واشهب وغيرهما ومشهد السادات الوفائية وتوجهنا لزيارة جميع من
بالقرافة بلا تعيين لاشتهار فضلها وفضل ما اشتملت عليه من المزارات
وقد ورد في الاثار انها بقعة من الجنة ولذلك امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بجعلها مقبرة للمسلمين قائلا لا اعلم تربة الجنة الا مقابر المسلمين رضي الله عنه
ما اصدق فراسته ولم نزل مدة اقامتنا بمصر هذه الايام القليلة نتردد
لمشاهدها الجليلة ونزور من امكننا زيارته من مزاراتها الحفيلة مثل
المقام المشهور بالحسنين وروضة الامام الحلواجي وغير ذلك ودار المحمل
المرة الثانية يوم الاثنين الموفي عشرين من شوال واما المرة الاولى فلم نحضر
لها لان العادة عندهم ادارته مرتين فالمرة الاولى تكون في نحو النصف
من شوال وصفة ذلك انه يوتى في ذلك اليوم بكسوة الكعبة المشرفة
من دار الصنعة فتضرب سحابة على باب القلعة فيحضر الصناجق كلهم
والولاة والامراء والحكام والقاضي كل واحد مع اتباعه ولكل واحد
مجلس معلوم في السحابة المضروبة ومجلس الباشا في الوسط وعن يمينه مجلس
القاضي وكلما اتى واحد من الامراء وارباب الدولة جلس في مجلسه المعهود له
وقربهم من الباشا بحسب قربهم في مناصبهم فاذا تكاملوا كلهم واخذوا
مجالسهم وصفت الخيل عن يمينهم صفا كل طائفة مع جنسها الى ان تحيط
بالميدان الذي هو امام مجلس الباشا وهو ميدان كبير يسع الالاف من الخيل

وآخر من يخرج الباشا فيخرج امامه طائفة من عسكره بعضهم اثر بعض
على ترتيب معلوم وقانون مضبوط وآخر من يخرج معه طائفة الشاوشية
على ارجلهم عليهم جلود النمر وعلى رؤسهم طراطير طويلة من اللبط لها
ذيول معكوفة بين اكتافهم وعلى جباههم صفائح من الفضة مستطيلة
مع الطراطير الى فوق مموهة بالذهب تلمع لمعانا فاذا خرج هولاء خرج
الباشا باثرهم راكبا فاذا وصل الى السحابة قام الكل له واضعين ايديهم
على صدورهم حتى يجلس وكذلك يفعل من تقدم للجلوس من الامراء
مع من يأتي بعده فاذا جلس الباشا جئ بالجمل الذي يحمل المحمل وعليه المحمل
وهو قبة من خشب رائقة الصنعة بديعة الاتقان لها شبابيك ملونة
بانواع الاصباغ وعليها كسوة من رفيع الديباج المخوص بالذهب ورقبة
الجمل وراسه وسائر اعضائه محلاة بجواهر منظمة نظاما رائقا بديعا وفي
راسه رسن محلا بمثل ذلك والجمل في غاية ما يكون من السمن والضخامة
وعظم الجثة وحسن الخلقة وجلده كله مخضب بالحناء يقوده سائس
لطيف وعن يمينه آخر وعن شماله آخر يحفظونه ويتبعه جمل آخر على مثل صفته
ثم يؤتى بالكسوة المشرفة ملفوفة قطعا قطعا كل قطعة منها على اعواد
شبه السلاليم معدة لذلك يحملها رجال على رؤسهم والناس يتمسحون بها
ويتبركون ويؤتى بكسوة باب الكعبة منشورة على الاعواد وتسمى البرقع
كلها مخوصة بالذهب حتى لا يكاد يظهر فيها خيط واحد بصنعة فائقة
وكتابة رائقة ثم يمر بكل ذلك بين يدي الباشا والامراء ويقومون لها
اذا مرت بهم تعظيما ثم يخلع على الذين صنعوها بحضرة ذلك الجمع ثم يذهب
بها كذلك حاملوها ويمرون بها في وسط السوق والناس يتمسحون بها
حتى يبلغوها الى المشهد الحسيني فتنشر في صحن المسجد وتخاط هناك فاذا
كان اليوم التاسع عشر او العشرون او الحادي والعشرون خرج المحمل
الشريف من القاهرة وهذا اليوم هو المشهور المعلوم المتداول بدوران
المحمل لانه من ايام الزينة التي يجتمع لها الناس من اطراف البلاد المصرية
واقصاها ويؤتى بكسوة البيت من موضع خياطتها ويحمل في المحال التي
تحمل فيها ويجتمع الامراء والصناجق والجند جميعا على الهيئة المتقدمة

في الخروج الاول الا ان هذا اتم احتفالا واكثر جمعا فاذا تكامل جمع
الامراء على الوجه المتقدم وصفت الخيل والرماة وخرج الباشا بجميع
ما يحتاج اليه امير الحج من ابل وقرب واواني النحاس وخيل ورماة وغير
ذلك من الاسباب التي تخرج من بيت المال فيحضر جميع ذلك في ذلك الميدان
كل طائفة لها امير مقدم عليها حتى الطباخين والفراشين والسقائين
ثم يوتى بالمحمل الشريف على جمله المذكور اولا يقوده سائسه حتى يناول
رسن الجمل للباشا فياخذه بيده ويناوله لامير الحج بمحضر القاضي والامراء
ومعاينتهم ثم يناوله امير الحاج لسائسه فيذهب به وذلك كله كالشهادة
على الباشا بانه مكن لامير الحج المحمل وكل ما يحتاج اليه امير الحج من ذهابه الى
ايابه وعلى امير الحج بانه تسلم ذلك ويشهد على ذلك القاضي والامراء
ويكتب بذلك الى السلطان فاذا مر المحمل بين يدي الباشا وذهب جيئ
بالابل يمر بها بين يديه بما عليها من القرب والاواني والادوات كل
طائفة بمقدمها فاذا مرت الابل كلها جيئ بالمدافع وهي ثلاث او خمس يجرها
البغال او الجمال ثم جاء الرماة الرجالة من ورائها فيمرون ثم تاتي الخيل
فتمر فاذا مر جميع ذلك بين يدي الباشا جاء ارباب الطوائف كل طائفة
من مشايخ الصوفية بشيخهم ولوائهم رافعين اصواتهم بالذكر كالقادرية
والرفاعية والبدوية والدسوقية حتى السعاة ياتون بشيخهم فيمرون
بين يدي الباشا ويعطيهم ما تيسر فاذا لم يبق احد ممن يمر بين يديه
خلع الباشا على امير الحاج خلعة وعلى امرائه الذاهبين معه كلهم الكيخيا
والدويدار وغيرهما فاذا خلع عليهم باجمعهم ودعهم وانصرف ثم يمر
بالمحمل وسائر الابل والعسكر وسط المدينة والناس مشرفون من الديار
والمساجد التي تلي الشوارع ويتعطل جل الاسواق او كلها في ذلك اليوم
وقد تقرر لدينا عن الموثوق بهم ان بعض تلك الديار المشرفة على الشارع
قد تكرى من اول السنة ولا يسكنها مكتريها ولا ينزلها الا في ذلك اليوم
قصد التفرج وفيما سواه من الايام تبقى معطلة او يسكنها غيره وبالجملة
فهذا اليوم عندهم من اعظم ايام السنة ولا ثاني له الا يوم كسر النيل عند وفائه
ويقرب منه ايضا يوم قدوم الحاج ويوم تبديل الباشا وتجديد فهذه الايام

الاربعة هي التي يحتفل لها عندهم غاية الاحتفال ويهتبل اتم الاهتبال حتى
لقد اخبرت ان نساء مصر يشترطن على ازواجهن التفرج في هذا اليوم
دون معتبة ولا لوم فاذا اخرج المحمل من الميدان الذي على باب القلعة الى
فضاء الرملة بقي الكثير من الخيل هنالك للمسابقة واللعب ولا يذهب مع
امير الحاج الا المعينون للسفر معه فيتقدمون في ابهة عظيمة على خيل مسومة
وعدد مقومة ولا يبالون بلبس الذهب والفضة واستعمال السلاح
المحلاة بانواع الحلي المطرز بالجواهر النفيسة لانفسهم وخيولهم واما
انواع الحرير والديباج فهو مما يكمل به رفعهم هنا انتصابهم وجر ذيولهم
فيا له من يوم عظيم يجب له الاجلال والتعظيم لولا ما اشتمل عليه من
المناكر البادية التي تمنع من له اعتناء بالسنة ان يحضر ناديه فنسأل
مولانا سبحانه ان يتجاوز عن هذه الامة المحمدية في مثل هذا اليوم من
انواع البدع والمناكر الموجبة للانتقام واللوم كرامة لمولانا محمد صلى
الله عليه وسلم المعين الذي تكرم لاجلها الف عين بل لاجله يكرم جميع
القوم ولما دار المحمل اخذ الناس في التهيئة للسفر والاستعداد والاستعانة
عليه والاستمداد فطفقنا نقضي معهم الاوطار لجوبان ما في الحجاز
من الاقطار فما لبثنا ان تغيرت الحال وتبدلت الاخصاب بالامحال
ان اصبح رفيقنا ابو عبد الله نفس المصاب قد وخزه سهم الطاعون في
اصل فخذه وصاب فضاقت علينا لاجل ذلك الارض بما رحبت وتحيرت
افكارنا وتعبت وكلما رجونا قيامه اشتد به المرض ومهما اردناه
على السفر لم يكن له فيه من غرض فبقيت اقدم رجلا واوخر اخرى واستخير
الله تعالى واسأله ان يقدر لي ما يراه لي خيرا وكلما اشتد به الالم لم
تزل بي اشد منه والم اذ هو الذي كان ياخذ بيدي في الامور كلها
ويريحني من كد المشقات وكلها وما زلت سائرا مع الاقدار صابرا
على تحمل ما طبعت عليه هذه الدار من الاقذار والاكدار لا احير جوابا
ولا اميز من خطأ صوابا ولا احس بشيء عن صدر ولا اعرف من ورد مني
صدر فكان من حسن شيمة رفيقي ابي عبد الله الذي اولاه الله من كرم الاخلاق
ما اولاه ان الح علي في السفر دون الاقامة وذكر ان لا فائدة في التخلف

63

بيت شعر عن وفد الكرامه فتاهبت للسفر ونفرت مع من نفر وفارقت اباعبد الله
الذى هو لدى شقيق الروح وقد كادت النفس ان تروح

وسرت وقلبى محرق بلظى النوا … لبين الذى بين الجوانح قد ثوى
وقد ما نوى ان لا يفارقنى كما … نويت فحيل بين مرء وما نوى

ذكر خروجنا من مصر الى الحجاز وتحقيق القول فى حقيقة ذلك المجاز

وافق خروجنا من مصر وقت الزوال من يوم الاثنين السادس والعشرين
من شوال وكان خروجنا على باب النصر وسرنا والطريق كلها سوق
واحد من كثرة الباعة والذاهب والجائى من البركة الى مصر ونزلنا
بالبركة التى هى محل نزول الركاب مع العصر والبركة اسم لفسيح من
الارض على شط بركة واسعة مد البصر يتموج فيها ماء النيل العذب
الفرات على الاطراف تنصب الاسواق الحافلة بشط البركة والقهاوى
المزخرفة المونقه والفساطيط الموشاة المرونقه فلا تسل عما يوجد
فى تلك الاسواق من مهيجات الاشواق طعام وشراب وقرب وقراب
وحوافر واخفاف وجوارب وخفاف ومحارة على جمل وانواع
الحذى والحلل وسمن وعسل وسيف واسل وتمر وزبيب وتين وحليب
وغير ذلك من انواع السلع والبضايع التى لست احصيها واجناس
الاثاث والحيوانات التى لا اكاد استقصيها فقضى الناس من الاغراض
ماكان لهم عنه فى المدينة اعراض وبتنا هنالك فى عيش ارغد تنال
البغية من ماء النيل وتتفكه بفواكهه الى الغد ولما غاب الشفق وغرب
وسكن الناس ولم يبق لهم فى الحركة ارب اخذ اهل الركب المصرى فى ايقاد
الثريا ومصابيح الاشارات واخرجوا من المدافع والمحاريق ما يدل
على تمام الاقتدار وعظم الشارات حتى طاولت هاتيك الارض سماءها
وطربت لقيام نارها وانارة منارها مقام شموسها واقمارها جميع
جماداتها وعجماواتها وقضينا من عجيب مخترعاتهم وغريب مبتدعاتهم
اعجب العجاب ورأينا من صور الحيوانات البديعة فى تلك الاشارات
ما لم يره من جال غير تلك الارض ولا من جاب وتلك عادتهم فى كل بندر
من البنادر يخرجون من المدافع والمحاريق ما يعد من غريب النوادر ولما

اشرق الصباح وبدا اشراق الوجوه الصباح اخذ المشيعون في الارتجاع وانشاد مارق وراق من الاشعار والاسجاع فمن منشد عند مفارقة احبابه ومباعدته عن نيل مآرب النيل وحبابه قول البدر الذهبي

وبمهجتي المتحملون عشية　　والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم غنت حجازا بعدما　　غنت وراء الركب في عشاق

ومن امرؤ استولى عليه عظيم الحب والجلد فانشد قول الشهاب احمد بن ابي حجلة

ولما اعتنقنا للوداع عشية　　على بركة الحجاج والدمع يسكب
فرحنا وقد جزنا البويب لانه　　الى الوصل من نهواه باب مجرب

ومن امرؤ غلب عليه الهيام فانشد قول الزين بن الحسام

ولما اعتنقنا للوداع عشية　　وفي القلب نيران لفرط غليله
بكيت وهل يغني البكا عند هايم　　وقد غاب عن عينيه وجه خليله

ومن امرؤ ابدى وداع حليلته فانشد قول من قال عند فراق خليلته

ولما اعتنقنا للوداع ودمعها　　على خدها يفشي الصبابة والوجدا
بكت لولوا رطبا ففاضت مدامعي　　عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

وقال الصلاح الصفدي في مثل هذا اليوم عند مفارقة من ودعه من القوم

لما اعتنقنا لوداع النوى　　وكدت من حر الجوى احرقه
رايت قلبي سار قدامه　　وادمعي تجري ولو تلحقه

وله ايضا　　وقد فاضت دموعه لما بانت جموعه فيضا

ولم انس اذ ودعوني ضحى　　وقد مطرتنا غيوث البكاء
وبت بحال يسر العدا　　امامي وفاي وعيني ورائي

وقال اخر　　لو تحسبوا اني بخلت بدمع　　يجري دما يوم الفراق حقيقا
ما ان بخلت وكان در اقبل ذا　　ايجوز بخلي حين صار عقيقا

وقال اخر　　فواعجبا من يد يمينه　　الى الفم عند الوداع فيسرع
ضعفت عن التوديع حين اردته　　فودعته بالقلب والعين تدمع

وطفق الباعة ايضا في الرجوع عن الحاج اذ لم يبق لهم في البركة حاج وآب بعدهم من خرج بقصد التنزه والتفرج وخفضوا رفع فساطيطهم المنصوبة ولم يبق لها تبرج وبقي الحجاج يتمتعون بماء

النيل

النيل العذب الفرات المزري بدجلة والفرات ويتضلعون من شربه
ويتشاقون للري منه على قربه ويتقون الروايا والقرب ويعدون
ادخاره لمجهود من اعظم القرب فيا سعادة من ساعده الجمال واكثر
له الاجمال وساعفه على حمل الماء زيادة على الاحمال اذ بسهولة الجمال
يسهل ما في الحجاز من الاثقال ولله در الصلاح الصفدي اذ قال

درب الحجاز مشقة لكن اذا ... الجمال هان تساهلت اهواله
اصبحت في تصريف جمالي على ... ما يشتهي فكانني جماله
قد كان خف على فؤادي لو غدا ... من فوق ظهري في الثرا احماله
ويكون طوعي في الذي اختاره ... لكن قسى وتضاعفت اثقاله

وله في معناه

درب الحجاز مبارك لكنه ... يحتاج صبرا ان تدال احمال
وعنونه شتى ولا مثل الذي ... اصبحت القاه من الجمال

وقد مر في المقدمة الرابعة بعض ما للجمالين من الافات الرابعة
وانه ينبغي معهم سعة الاخلاق واعطاؤهم من المجاملة وافر الحظ
واحسن الاخلاق الى مساعفة ومساعدة وعدم مجافاة ومباعدة
لان مدار السفر كله عليهم ومآل حمل الاثقال اليهم فلا يخفى عن كل امرئ
عاقل انه لا تنقطع الا بالجمال والجمال هاتيك المعاقل فيكثر له من
الاحسان وحلاوة اللسان وكان ابن المبارك رضي الله عنه يكثر
المشي راجلا فسأله رجل لم تمشي فلم يرد ان يخبره فقبض على كمه وقال
لا ادعك حتى تخبرني قال فدعني حتى اخبرك اليس يقال في حسن
الصحبة قلت بلى قال فهذا من حسن الصحبة مع الجمال اليس يقال قد
اغبرت قدماه في سبيل الله ونحن نمشي فيه اليس يقال ادخال السرور على
المسلم صدقة قلت بلى قال فهذا الجمال كلما مشينا سر قال السائل هذا
احب الي من الف درهم غير انه لا ينبغي للانسان ان يستمر معهم على لين
الجانب وادامة الاحسان بل يغلظ عليهم غلظة ما ويجفوهم بالفعل
واللسان فان الجمالين ولا سيما جمالة الحجاز موصوفون بالظلم والبغي
ومجاوزة الحد في الفساد والغي لا يلحق لهم غرض وهم الذين يغضبون

اذا عن الذباب او عرض فاذا راى الانسان منهم ذلك الضرب فيهم
الى السفينة بالشتم والضرب فقد مرعن الاعمش وهو ماهو فى العلم والكمال
ان من تمام الاحرام شيخ الجمال وقال ابن ابى حجلة التلمسانى
لجمالنا فى الليل مشي لاجله اري ضربه فى الحج ضربة لازب
عديم ضياء الحس يمشي بحمله كحاطب ليل فى طريق المحاطب
وقال الصلاح الصفدى
غدا سفر الحجاز كما تراه لاخلاق لجمال بدا محككا
فكم من صاحب امسى عدوا به وصحيح ود قد تشكى
وحمال جميل لا تراه وعكام اتى من ارض عكا
كان المقوم فى اعوجاج وحين تقيمه يندك دكا وله
كم جمل تنتصب للشما ماجره الجمال الا انكسر
وكان فى الركب يرى مبتدا فماله من بعد هذا خبر
وغالب خدمة الحجاز موصوفون بهذه الاوصاف وقلما تجد احدا
منهم تجمل بالاسعاف او الانصاف فلا ترى من مشاعلى او عكام
او سقاء او طباخ او فراش الا وقد سدد سهام اخلاقه الصعبة
الشرسة لمن اخدمه وراش واما حسن الصورة فغريب فى هاتيك
الاجناس وقبح السيرة تابع لقبح الصورة كما هو مقرر بين الناس
غير انى رايت بعض من استعبده الغرام واستخدمه ابدى غزلا لطيفا
فى انواع هولاء الخدمة فمن ذلك قول الشهاب بن حجر فى جمال موصوف بالجمال
وسيروان قاد قلبى وقد قطر دمعى هجره كالجمان
وكلما واصل قالت له حواسدى قاطعه يا سيروان
وله فيه وسيروان قد نفر قطر دمعى اذ قطر
فلا تثق بوعده فذهنه على وبر
ولاخر فيه وسيروان كالشمس وجنته قطر دمعى وليس ذا عجب
مازلت اهوى مناخه زمنا فضاع رحلى وحنى القتب
وللشهاب بن ابى حجلة التلمسانى
كم قلت للجمال يا سعاده ان كنت تبغى للكرى زياده

قد

قد في المضيق جملي ولا تخف   وفي الفلا أمسي بلا قياده

وقال الصلاح يورّي بهجان عد من الملاح

ياحسن هجان رأيت قوامه   منه تغار معاطف الاغصان

ابصرت خط عذاره في خده   فقرأته ياليته هجاني

وقال ابن ابي حجلة فيه

كم قلت للهجان انت الذي   قطرت دمع العين الوانا

بالله هل هجاك يهوى امرؤ   فقال مذ احببت هجانا

ولآخر في مليح سقاء

لله سقاء له طلعة   لنيل حسن قد غدت حاويه

اروم ان يسكب لي قربة   وعبرتي عن صبوتي راويه

وفي مليح فراش

فتنت بحسن فراش بديع   به قد همت من فرط المحبه

كأن الردف والساقين منه   اذا ما ماس اعمدة وقبه

وفيه لآخر

رب فراش له وجنة   تفوق لون الورد بالحمره

منبسط النفس يحيّ اذا   حيّا محبا قدّم السفره

وفي مليح طباخ

فضح الوجد بطباخ به   اضرمت نار غرامي يا اخي

وغدت نفسي به محمومة   مذ قلا في الهوى من غير شي

وفي مليح خباز

رغيف ذا الخباز لطفا حكى   من وجهه التدوير والحمره

اذا راى ميزانه المشتري   قال هنا الميزان والزهره

وللمجد عبد الوهاب في مشاعلي

باهي قدّا لاجل مشعلا   يكسو الدما بملاء ثوب اصفر

فكأنه غصن عليه باقة   من نرجس او زهرة من نوفر

وفي مليح طشت دارى وهو الذي يحمل الطاسة والابريق ويترك مبصره يغض بالريق اضنى فؤادي طشت دار له وجه كبدر او كشمس النهار

وكلما اساله دورة   يوما الى نحوى بالوصل دار
وفى ساع بين يدى الامير   ملازم لركابه كالشمير
بالروح افدى ساعيا   جماله يضنى الورى
لابد لى من وصله   ولو جرى لى ما جرى
وفى قواس   ابدى من حاجبيه موترا او قواس
رايت قواسا كبدر الدجا   يرمى بقوس حسن المنظر
فقلت ذا القوس لمن يا فتى   فقال ان القوس للمشترى
وفى سائس الخيل   وقد ابدى وجها ازهى من القمر فى جنح الليل
وسائس هام قلبى بحسنه والكياسه بالشرع ما نلت منه شيا ولو بالسياسه
وفى بيطار   سار صيت حسنه فى الاقطار   واشتهر وطار
يا حسن بيطار اقول له وقد   اصبحت فى بحر الدموع غريقا
لو ان قلبى من حديد لم يكن   فى مثل حبك يحمل التطريقا
وفى نجار   بروحى نجار حكى الغصن قده   رشيق التثنى احور الطرف وسنان
يميل على الاعواد قطعا ياحبت   وما سرقت عن قده وهى اغصان

ارتفاع النهار بابار نبط المزرية بفائض لانهار وهو منهل من المناهل المشهورة والمياه المذكوره وفيه آبار اربعة محكمة البنا بالحجر المنحوت والفينا ماءها في غاية الغزارة لقرب عهدها بالامطار دون غزارة مياه اودية الدرب انما تكون بحسب كثرة المطر وقلته فاذا حمل الوادي ولو مرة بالسنة غزر الماء سائر السنة وماؤه من اعذب المياه واحلاها واجلها واصفاها واجلاها فيكون للحجاج رفق عظيم ولا سيما اذا لم يكن بالوجه كثير ماء فان الماء لا يرد على ماء حلو طيب من مغارة شعيب الى نبط وانشد الزين للشهاب ابن ابي حجله

مغارة نبط اخصب الله ارضها ولا زال يهمي بالمياه بها الجو
يقال لها بحر الحجاز لانها بها الماء مثل البحر لكنه حلو
وله حبنا مغارة نبط والمياه بها للواردين بها في الحج ما شاؤا
فلم نزد بعدها في مائها ثمدا في الدرب حتى بدا في ينبع الماء

ولا جهد الله الفيومي كلام ولغيره في معناه وهو الغا رضى استني من ماء نبط لا يكن في العمرة ودع الحوراء فاني صرت اشناها واكره وتسمية هذا المنهل بنبط كما في غالب الرحل هو المتداول المشهور الجاري على السنة والاقدمون يسمونه مغيرة وهو الذي في فهلة العيبة قال ابن رشيد ووافينا من ينبع المغيرة ماء يحتفر في احساء قال وضبط هذا الاسم مفعلة بفتح الغين من التغيير قال ابو سالم والماء المذكور يسمى في هذه الازمان نبط وما ذكر في ضبطه ان كان من التغيير كما قال فيكون مفعله بفتح الغين المعجمة وتشديد الياء اسم مفعول والذي ينطق به الكافة في امثالها وهي كثيرة مغيرة بفتح الغين المعجمة وياء ساكنة خفيفة تصغير مغارة من الغور وهو الانسب بالامكنة المسماة بهذا الاسم والله اعلم وارتحلنا من نبط وسرنا على طراطر الراعي بين جبال ليس فيها مراعي وبعضهم يسمي المنزلة طرطور الراعي وبعضهم بالاباطح جمع ابطح وهو المنبطح من الارض ثم مررنا بوادي النار الذي وافق اسمه مسماه اذ هواؤه اشد حرارة من النار وهو واد معبر طبق بين جبلين لا سعة فيه من نبط الى الخضيراء فاذا امتد النهار واشتد الحر حجبته

الجبال

ان لا يزال في الحج ... ضا في ... تبغي ... (marginal note, partly illegible)

الجبال عنه الهواء البحرى فيعكس غربيا او شرقيا صاعدا مع الوادى او منحدرا فيصير سموما محرقا مع قلة الماء بهذه المفازة فربما هلك المار فيه وربما احدث سمية فى الابدان بقبح الهواء وحرارته فيموت المئون والالوف فى سرعة فى ساعة واحدة ويكون فى الدواب اكثر وقد لحق الناس فى هذه السنة طرف من ذلك فاصبح كثير من الناس فى الهوالك واشتد على الناس حره فى الليل غاية الشده فتوجهوا الى الله تعالى يسالونه الفرج قارعين بابه الذى هو اعظم سده فنظر بعين رحمته اليهم وادرك نسماتهم بهبوب النسمات عليهم وما احسن قول الشهاب لمن تقلبه فى المحنة النهاب

مررت بوادى النار والليل مقبل وقد مال جفن الليل والغمض للصبح
فلما اختفى طرطور راعيه فى الدجا توليت ورعى النجم عنه الى الصبح
ولم اسير بوادى النار والقلب فى الحشا يكاد لريح هبت فيه يذوب
ولولا نسيم هب من نحو طيبة لما كان عيشى فى هواه يطيب

واصبحنا مع ارتفاع النهار فى الخضيراء مصغرا ويقال الخضراء وهو اخبث مكان على وجه الخضراء وربما سماه بعضهم الخضيره فابدى ضرره واظهر ضيره وهبت فيه على الحجاج سموم انقع من السموم فلا تمر بعده بشجرة الا لقيت تحتها ميتا قد اتخذها قبرا وبيتا وارتحلنا من الخضيراء بعد الظهر فى تعب عظيم ومشقة فادحه وهرشديد وقيلولة فاضحه وخلفنا فيها من الاموات ما ملأ ما فى جوانبها من الاشجار والفلوات وتذكرت قول الصلاح لاموات ظهر شخصهم تحت اشجار غيلان ودوح

اقول لمن بدا فى الركب ملقى بقارعة الطريق من المنايا
خرجت بغير مركوب وزاد فنفسك لم ولا تلم المطايا

افاض الله تعالى سجال رحمته على وفده واباح لهم بحبوحة جنانه بفضله ورفده ومررنا نقطع الرحلة المعروفة بالسبع وعرات فى مضايق وحجارة وحدرات وعرات وثلاث منها اعظم من اربعه وهى رحلة متعبة تحتاج الى اعمال الديداء والربعه وبعدما قطعناها نلك طلوق عار

خرجنا لارض رملها من النبات عار ووصلنا لبندر الينبع مع طلوع
الشمس اغتناما لراحة النفس لاني تقدمت قبل الركب خشية ما يجده
الحر في تلك الارض من الكرب وبقيت امام البندر مستظلا بفنائه
متمتعا بما اسدى الي بعض من تحج اليه الحي من رطب وماء وما زال
الركب يمتد دخوله على التوال حتى فات وقت الزوال ودخل امير
الركب المصري في هيئة عظيمة الضخامة دالة على علو القدر وسعة الفخامة
ونشر من الرايات والاعلام ما لا تحيط بوصفه السنة الاقلام وقدم
امامه من العسكر جملة وافرة جازوا مدى الحزم ووافروا واظهروا من
السلاح الفائق والملابس الفاخرة ما ابدى ما تركيبهم ومفاخرهم
وكسوا المحمل الشريف بما علم من لباسه المعظم وحلوا جملة بما اشرنا اليه من
جوهر الجمال المنظم وجعل الامير حوله من الاطبال ما حرك تلك الجبال
ومن الغيطات والابواق ما هيج كامن الاشواق وخرج للاقاته
اشراف تلك الارض في ابهة عظيمة واظهروا تبجيله وتعظيمه ومعهم
من الاعراب ما لا يعتبر عنهم اعراب عد الحصا دون احصائهم
واستقصاء الشهب اسهل من استقصائهم وامامهم اطبال ليس لها
بالنسبة لهيئته بال وقامت سوق جامعة لكل ما يحتاج اليه ومشتملة
على كل ما يتوقف الانسان عليه من انواع الاطعمة والفواكه التي
ليس لها مشاكلة وخصوصا الرطب واللبن ففي الينبع منهما ما لا يوجد
في اقليم وتحرك هنالك شوم عظيم سكنت لحركته الارواح وراحت
دون تعويل على الرواح فمات من الخلايق ما لا يعد ولا يحصر
ولا يجد عهدك بالرجل يتكلم فاذا باجله قد الم وما توجع ولا تالم
وبالاخر يتناول الحوايج من الخيمة للبيت فاذا هو منذ زمان ميت
وبالاخر يطوف من خلف وامام فاذا نشره قد طواه الحمام فلله الامر من
قبل ومن بعد في القرب والبعد واما البهائم والخيل والجمال فلا تسل
عما بقي منها ملقى بين تلك الرمال تقبل الله ذلك وسلك بنا اوضح
المسالك قال الزين الحنبلي الينبع منقول من مضارع نبع الماء كنصر
اذا ظهر وهي على اربعة ايام من نواحي المدينة سميت ينبعا لكثرة ينابيعها

قال بعضهم بها مائة وسبعون عينا قال السيد السمهودي وسكانها
جهينة وبنو ليث والانصار وهي في زمننا لبني حسن العلويين قال ومسجد
العشيرة معروف ببطن ينبع وهو مسجد القرية التي ينزلها الحاج المصري
في وروده وصدوره والعين اليوم جارية عنده لكن لا يعرف بهذا
الاسم قال المجد وهذا المسجد اليوم من المساجد المشهورة والمعابد المشهودة
المذكورة تحمل اليه النذور ويتقرب الى الله تعالى بالزيارة له والحضور
ولا يخفى على النفس المومنة روح ظاهر على ذلك المكان وانس يشهد
له بانه حضره سيد الانس والجان وبها مياه عديدة اشهرها الان
عين البركة وعين علي رضي الله عنه وقال صاحب تقويم البلدان
والينبع مدينة بالقرب من المدينة وورد ذكرها في الحديث قال ابن
سعيد والينبع بها عيون وحفير وحصن وهي منازل بني الحسن رضي الله عنه
وقال ابن حوقل وينبع حصن به نخيل وماء وزرع وبه وقف لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه يتولاه اولاده وبقرب ينبع جبل رضوى مطل عليها
من شرقيها ومن رضوى يحمل حجر المسن الى سائر الاقطار وبينه وبين
المدينة سبع مراحل ورضوى جبل منيف ذو شعاب واودية وبينبع
مياه جارية ونخل ومزروع وبها جامعان معطلان من الخطبة
وغالب اهله على مذهب الزيدية يستبيحون دماء الشافعية واذانهم
حي على خير العمل وبها الحدائق والخانات والافران والبيوت وقد خربت
ودثرت منها اماكن كثيرة جدا وتنصب به سوق عظيمة لبيع القماش
وغيره من الماكولات والدقيق والفول والغنم وعلى مرحلة منه البندر
الذي بساحل البحر الملح عرفا وبه خان وحصار وبنو باجيه وجماعة الشريف
ياخذون المكس من اهل المراكب المارة بهذا البندر وهي عادة لامير
الينبع يستعين بها على مصروف امرته وعلى امير الينبع عوايد ومصاريف
لجماعة امير الحاج بطريق المكارمة وحسن القيام بخدمة السلطنة والينبع
من المناهل الكبار ويوجد فيه من الماكولات والاغنام والسمن والعسل
والتمر والرطب الذي لا نظير له والدجاج والاوز والملوخية والباذ بحان
والليمون والفجل والكراث وانواع المخللات وغير ذلك ما لا يوجد

فى قواعدا له مصادر و به عدة حيوف يقال انها نحو الستين حيفا ذكرها
صاحب الدرر الفرائد المنظمة والمجد والسيد وغيرهم وما قدمناه عن
الزين من ان الينبع منقول من المضارع هو المصرح به فى الدواوين
التى رايناها فى جمعها وعليه جماعة المحققين ولذلك قال العلامة
ابو عبد الله السوسى فاجاد ما شاء فى التورياب وغيرها

ان كان مذ قضى الفراق وصدنى   عنكم مجاز من نوى لا يرفع
فانا الذى دمعى العقيق وناظرى   يا بدر بعدا لبعد عنكم ينبع

وعلى ذلك جرى الراجز فى قوله

وادخل الى جزيرة منبسطا   يا تيك اهل ينبع لمن سطا

وقال ابن جماعه وفى ينبع كان المقام فحبذا ديار لعمرى لا احب سواها
وجماعة من العلماء يعبرون بالينبوع بزيادة الواو وظننا انه منقول
من ينبوع الماء الذى هو عنصره واصل خروجه وعليه درج الشيخ
البكرى فى رحلته والشرف البوصيرى فى الهمزية حيث قال

حاورتها الحوراء شوقا فينبوع فرق الينبوع والحوراء

واقره جميع شروحها وهو مخالف لما فى امهات المقدمين فليتامل وفى
قرية الينبع تنشرح الصدور وتقر العيون وتظهر اثار الرسول عليه
السلام الذى هو صدر الصدور وعين العيون وتنبسط النفس
لما فى نواحيها من الينابيع والعيون ويستبشروا ردها بلقاء الاحباب
ودنوا شرف المنازل وارفع القباب ويانسون عند تلك العيون
والحدايق بكل مرتويق ويا ما احسن قول الشهاب ابن ابى حجلة

وفتيان صدق ما البدور سواهم   قطعت بهم كالبدر افق المناهل
وواخيتهم فى الزاد وفى اخوة   وراضعتهم فى الماء ثدى المناهل

وقد تذكرت عند ورودنا منهل الينبع وتلقانا اهله بنغمات يطرب
لها وعر ذلك القطر وسهله ما قاله الشيخ المحدث ابو عبد الله محمد بن رشيد
السبتى الفهرى فى رحلته الجامعه قال ولما وافينا ينبع خرج مغنون
باصوات طيبة عذبة يرددون نغم الهربيات ويحيون بها القادمين
ويحيون نفسهم المبتة بطيب تلك النغمات ه

ايها

ايها القادمون اهلا وسهلا   كيف نجد وكيف بان المصلى
كيف خلفتم العقيق وسلعا   وقبا والنقا ومن ثم حلا
فاجابوا والله ما كان اهنا   زمن الملتقى وما كان احلى

قال ابن رشيد لله درهم حادوا عن الجواب لما راوا انهم لا عذر لهم في الاياب قال وينبع عن يمين رضوى لمن كان منحدرا من المدينة الى البحر روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد ينبع وهو من حديث محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب انتهى قال ابو سالم يفهم من قول ابن رشيد لله درهم الى اخره ان كيف في كلام السائل للانكار والتوبيخ عن الرجوع من تلك الاماكن وكيف طابت نفوسهم حتى خلفوها وليس في الكلام ما يدل على ذلك بل يمكن ان تكون للسوال حقيقة عن تلك الاماكن على وجه التحسر والتحزن والاشتياق اليها كالتي قبلها واذا كان كذلك فالجواب مطابق لانه اخبار بما يزيد في شوق السايل وحنينه الى تلك المعاهد قلت هو كلام صحيح في غاية الحسن والتوضيح واما مسجد ينبع فقد مر عن السمهودي انه من المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وانه مسجد القرية التي ينزلها الحاج وقد ذكر اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم وصل اليه في احدى غزواته وهي الغزوة المشهورة بغزوة العشيرة وكذلك المسجد يعرف بمسجد العشيرة كما في السمهودي واما الابيات فقد اشتهرت بين ادباء المغرب في قرب ذلك العصر واكثروا من معارضتها وتذييلها وممن ذيل عليها الاديب البارع ابو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن حبيش اللخمي الزاهد نزيل تونس المتوفى بها سنة سبع وثمانين وستمائة قال العزفي بعد التعريف به وذكر جملة مستكثرة من نظمه ما نصه وانشده بعض حجاج المغاربة هذه الابيات فذكرها وذكر له انه سمعها بالينبع وساله ان يزيد عليها فقال رحمه الله تعالى

حيث روض النعيم بالانس يجنى   وعروس السرور بالسعد تجلى
حيث دار الحبيب تدعى سماء   والذي حجبت من الشمس اعلى
وعلاه حده من البدر ابهى   وعلا مجده من الصبح اجلى
من راى ذلك المحل المحلى   كيف بالصبر بعده يتحلى

كيف يدنو الى دنيّة دنيا ... من له ذلك الجلال بجلّة
اجميل ينسى بثينة او يرضى ... بذاك الجمال دعدًا وجمله
اوانيس لبانة غير لبنى ... او يرى عروة لعفراء مثله
اومريد سوى حبابة يهوى ... او كثير عن عزة يتسلى
ويح صادا بيح وردا بصدى ... ان حلا فهو بالفراق يحلّا
اصعب الهجر في المحبة هجر ... ذاقه الصب بعدما ذاق وصله
يا احبنّا وللعذر يعزى ... من تعزى على النوى او تسلى
طيبة الطيبين قدّس منها ... منزل هيئت به اغاز نزله
ضاع ريّا وضاء رؤيا فقلنا ... زهر طلّ او صباح اطلّه
بعد وادي العقيق لا شهد يحلو ... لا ولا مشهد بعينى يحلو
نهلا كان رشفه او ورى ... وظمائى يزيد لو كان علّه
ليس لى غير حب احمد ذخر ... ليس يبلى اذا السراير تبلى
هو لى في قبرى وحشرى كما قد ... همت فيه هما وكهلا وطفلا
ليس لا محمد قيل فيه ... سيد الخلق وحده ليس الّا
مصطفاه احبّه وحباه ... بخصال حازت من السبق خصله
ما عسى ينتهى له كل مثن ... والمثانى بوصف علياه تتلى
ما تنسمت بعد ذكراه مسكا ... ما تعرضت بعد جدواه وبلا
قلبوا القلب تبصروا فيه ... للروضة والمرقد الثلاثة شكلا
واقرؤا للهوى بخدى طرسا ... كتب الدمع فيه ما الشوق املى
يا محب الرسول هذا ثراه ... عفر الخد حيث اوطأ نعله
وقبول الصلاة والصوم ان ... رمت فحاول له حيث صام وصلى
هاك يا اربع الاحبة منى ... اربعا امنت عنك محله
مقلتى مزنة وحبى روضا ... وقريضى ورقا وصدرى ظله

وهى طويلة جدا وكلها سلسلة غريبة المبانى رائقة الالفاظ عذبة المعانى لا يعانيها معانى وقد لقيناه عامرا بالاعراب القاطنين بما حواليه من المداشر وهم اقوام لا يحصرهم حشر حاشر فقد قيل انه متصل العمارة نحو ثلاثة ايام كلها قرى كثيرة ومزارع ونخيل وعيون جارية

وفيها

وفيها عامل لامير مكة وهي اول بلاد الحجاز العامرة والقرية التي ينزل
بها الركب هي آخر القرى التي من ناحية البحر وليس بعدها الا ينبع البحر الذي
هو المرسى وغالب اهل القرى يأتون الى هذه القرية التي ينزل بها
الحاج للتسوق وتنصب فيها سوق كبيرة عظيمة يوجد فيها غالب
المحتاج اليه من البضايع والسلع واما الثمار والفواكه والحبوب والفول
فقد مرّ انه لا يعادلها في ذلك اقليم ووجدنا بالينبع اخبار الحرمين
الشريفين وسائر بلاد الحجاز وتعرفنا خبر رخصها وغلائها وخصبها
وجدبها ومنه تجلب الميرة الى المدينة فان السفن الجالبة للطعام من
مصر ما كان منها الى المدينة يرسي بينبع البحر وما كان منها لمكة يتجاوز
الجدة فاذا وصل الطعام الى الينبع حمل منه الى المدينة تحمله اعراب تلك
الناحية من بني سالم وجهينة ويتدركون بالطريق من هنالك الى المدينة
وقد اقمنا فيه يومين ريثما قضينا الغرض من كل امر عرض وخزن الناس
شيا من ازوادهم في حواصل البندر ليجدوا جدواه في الرجعة اذا
قل الزاد او تعذر وفي الليلة الثانية اخرج المصريون على عادتهم
المحاريق والمدافع وبالغوا في ذلك كعادتهم في غيره لما لهم فيه من الراحة
وكثير المنافع وارتحلنا من ينبع وسرنا في رمال واشجار قليلة فاصبحنا
بالسقايف واهل الركب لا وله قايف قال ابو سالم ويقال للسقايف
دار الوقدة لانهم يقدون فيه الشمع الكثير يستصحبه الناس معهم
من مصر لذلك ويبيعونه في الركب ويجعلونه على اقتاب الجمال
بالليل فترى الركب كله كانه من اعظم المساجد المسرجة مصابيحها في احد
المواسم وشاع عندهم ان الصحابة في غزوة بدر اوقدوا هنا نيرانا كثيرة
فنحن نتشبه بهم وتلك غفلة منهم وخطأ من وجهين احدهما ان وقوع
الوهم بايقاد النيران الكثيرة انما هو في غزوة الفتح بمر الظهران كما هو
معروف في كتب السير واما بدر فلم ينقل فيها احد ذلك وثانيهما لو سلم
ذلك وقع فيها فقد كان لارهاب العدو واظهار قوة المسلمين وكثرة
عددهم بحيث لا عدو فلا معنى له ولا شك ان الفرح بنصر الله اولياءه
على اعدائه والاستبشار بالاماكن التي اعز الله فيها الاسلام امر مطلوب

مستحسن ما لم يؤد ذلك الى محظور كاعتقاد ان الوقود سنة متبعة بل ربما
ظن بعضهم انها من افعال الحج فتعظم بغير ذلك من الفرح والسرور
والصدقة والعبادة والاعلان بالشكر قال وقد جاءني كثير ممن
لا شمع عنده يستفتون ويقولون لا شمع عندنا فهل يلزمنا شراؤه ظانين
ان ذلك من مناسك حجهم وشعائرهم وكم مثلها من بدعة محدثة يرى
الناس انها من اعظم القربات نسأل الله ان يثبتنا على سنة النبي المستقيمة
لا نرى فيها عوجا ولا امتا قلت هو كلام لا باس به وذلك
الامر الثاني الذي بعده لم يفاد لا يخفى ما فيه من التامل فكم من سنة ذهب
سببها وبقي السلف يرتكبونها اغتناما لبركتها وكون دار الوقدة
هي السقايف كما قال الظاهر انه كان على وقته عند المغاربة واما اليوم
فان دار الوقدة هي بدر نفسها وفيها اسرجوا كل شيء كما سيأتي واعتقاد
البعض ان ذلك من المناسك هو صحيح كما قال فقد ورد علينا جماعة
يستفتون في شراء الشمع وهل يكفيهم منه القليل وغير ذلك مما تقتضيه
محبة العامة وتعمقهم في الجهل واما تخلينا من السقائف ولم نمر
بالدهناء لان مكانها انحرف عن صوب الطريق ونأى مع كون بنيانها
اندرس ولم يبق منها الا قليل لا يذكر قال الزين الحنبلي الدهناء بلد سيدي
احمد البدوي وكانت قرية عامرة يسكنها بنو ابرهيم قديما وكان بها
بيوت ومساجد وحدائق واشجار وعيون جارية حلوة فلما سعوا في الارض
الفساد وبالغوا في البغي والعناد جهز السلطان الغوري من يقطع
دابرهم وقطعت رؤسهم وتوالى عليها المحل فخربت وغارت عيونها
وجفت اشجارها وصارت مثلا وكانت احق بقوله تعالى وضرب الله
مثلا قرية كانت امنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم
الله الاية وبها الان اشجار ومحاطب وسرنا في فضاء ومضيق رمل ثم
وعر بين جبلين الشرقي رمل والغربي مختلط حجر ورمل يسميان بالابرقين
وهما مشرفان ثم انحدرنا في جسر طويل كان حدا بين المسلمين والكفار
في غزاة بدر ووصلنا الى بدر الذي هو احد المناهل الحجازية ضحى ويقال
لها بدر وحنين وهو الجاري على السنة الحجاج في هذه الازمان قال الزين

الحنبلي

الحنبلي وحنين امامها وليست المرادة في الاية وكذلك اوردها
الشيخ البكري في رحلته وقد لقينا الركب الشامي نازلا هنالك
وقد نصبوا من الفساطيط المرفوعة في خفض العيش وسعة النعمة
وغير ذلك ما لا يعبر عنه بلسان ولا يكيفه انسان وهم ناس البسوا
جلابيب الزانه وتحلى كل منهم بما البسته حسنا وزانه فوسع علينا
بعد العصر بالارتحال واتسعت علينا الحال وبتنا نقد الشموع في
جميع المحال ونعم بها اعناق الابل وجميع اعضائها فضلا عن الاقتاب
والرحال وهنا في بدر جرت عادة الحجاج بايقاد الشموع الزاهية
على الشمس والبدر ويأمر بتسمية السقايف بدار لا وقت للايقاد فيها عن
ابي سالم ليس بخال عن التامل ولا سالم ولا سيما وهم يزعمون ان سبب
ذلك كون الصحابة اوقدوا النيران في غزاة بدر فهم يتشبهون بهم في
هذا القدر ولم يذكر احد للسقايف وقت قال ابي سالم هذا الرقدة
ولما بالغوا في الايقاد ومنعهم السرور والفرح من الرقاد اخذوا ايديهم
الرؤس السكرية في الماء ويطوفون بها على جميع البهاء حتى شرب من
ذلك جميع الناس وحصل لهم بنزول تلك الدار ما لا يكيف من السرور
والايناس وبقيت الاشارات تدل على عظم البشارات وصوروا صور
الحيوانات في المصابيح وابدوا من هيآت الطيور وغيرها كل شكل غريب
وشخص صبيح وببدر مسجد الغمامة وهو موضع الاريكة التي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا عليها يشرف على القتال والغمامة مظللة عليه
وقال السيد السمهودي انه كان العريش الذي بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر عنده بقرب بطن الوادي بين النخيل والعين قريبة منه وبقربه
في جهة القبلة مسجد ايضا يسميه اهل بدر مسجد النصر واما محطة الركب ففيها
نخل وبيوت وعين ماء تجري والفسقية التي بها عظيمة تروى منها الركاب
كلها ويفضل فيها الماء وبالجملة فبدر من البقاع المشرفة بالآثار النبوية
ومنها التزود والمرور الى المدينة المصطفوية وبها كانت نصرة النبي صلى
الله عليه وسلم على الكفار وامداده بالملائكة على الخيول البلق مسومين بالعمايم وبها
البقعة التي ضمت الشهداء الذين شهد لهم النبي بالجنة قال السيد السمهودي وببدر

بئر حفرها رجل من غفار واسمه بدر بن قريش بن مخلد بن النضر بن كنانة
وقيل بدر رجل من بني ضمرة سكن ذلك الموضع فنسب اليه ثم غلب اسمه عليه ويقال
بدر اسم البئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها او لصفاء مائها وحكى
الواقدي انكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غفار قالوا انما
هي ماؤنا ومنازلنا وما ملكها احد قط يقال له بدر وانما هو علم عليها
كغيرها من البلاد واخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير
وابن ابي حاتم عن الشعبي قال كانت بدر بئرا لرجل من جهينة يقال له
بدر فسميت به واخرج ابن جرير عن الضحاك قال بدر ماء عن يمين
طريق مكة بين مكة والمدينة ويا ما احسن قول الصلاح الصفدي

اتينا الى البدر المنير محمد بجد السرى حتى نزلنا على بدر
فهذا بديع ليس في اللفظ مثله وهذا جناس ليس في النظم والنثر

قال الزين الحنبلي وببدر امران مستمران لا يعلم سببهما الاول
لا يزال يسمع عند مرور الركب بين الابرقين ونزوله من الخدرة في الغالب
وخصوصا ليلة الجمعة صوتا غريبا كالطبل قال وسمعته مرارا عديدة
وفي بعضها اشد من بعض ولم ار في الآثار ما يدل على ذلك الا ما نقله
السيد السمهودي عن المرجاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد بدرا
بسيفه الذي يدعى العضب وضربت فيها طبلخانة النصر فهي تضرب الى
قيام الساعة قلت ما ذكره من سماع الطبل صرح به ابن مرزوق
ايضا في شرح البردة فقال ومن الآيات الباقية ببدر ما كنت اسمعه من
غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة
طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر اهل الايمان قال وربما انكرت
ذلك وربما تاولته بان الموضع لعله صلب فيستجيب فيه حوافر الدواب
وكان يقال لي انه دهس رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الابل
واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمال قال ثم لما من الله
تعالى بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة امشي وبيدي
عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي
كنت اسمع فاراعني وانا اسير في الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب

الجالبة

الجمالين يقولون تسمعون الطبل فاخذتني لما سمعت كلامهم قشعريرة بينة
وتذكرت ما كنت اخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل
وانا دهش مما اصابني من الفرح او الهيبة او ما الله اعلم به فشككت وقلت
لعل الريح سكنت في هذا الذي في يدي وحدث قبل هذا الصوت وانا
حريص على طلب التحقيق بهذه الاية العظيمة فالقيت العود من يدي
وجلست الى الارض ووثبت قائما وفعلت جميع ذلك فسمعت صوت
الطبل سماعا محققا وصوتا لا اشك انه صوت طبل ثم نزلنا ببدر فظللت
اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة قال ولقد اخبرت ان
ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى قلت وهذه المسئلة
مما كثر فيه كلام الناس وطال واذا صرح الموثوق بهم كابن مرزوق
والزين وغيرهما انهم سمعوه فالصحيح ان بعض الناس يسمعه دون بعض
وقد حرصت على سماع ذلك والقيت له البال وانتقلت اترقب موضعه
في تلك الرمال فما سمعت شيا والله اعلم بحقيقة ذلك الامر الثاني من
الامرين اللذين ذكرهما الزين انه كان في كل سنة في الغالب يفقد الله
تعالى يغرق نفر من الحاج اما من المصري او من الشامي في الذهاب او في
الاياب وقد يتفق الغرق بعد الايذان بالرحيل فيقال ان البركة بها
سكان من الجن يحصل منهم ذلك ويكون سببا للغرق ويقال غير ذلك
والله اعلم بحقيقة ذلك قلت وهذا الامر لا شعور به للمغاربة
فلعله مختص بركبان المشارقة والله اعلم وبتنا ببدر واصبحنا نسير في
ازقتها وبين بساتينها المشرفة ونخيلها الشديد الخضرة والنعومة المشرقة
العراجين وكثيرا ما نردد فافي ارضها المباركة عسى ان نمر بموطى قدم احد
من اصحاب الرسول ولو علمنا قدم واحد منهم لكان تعفير الوجه فيه
غاية المنا والسول وعلى هذه القرية انوار النبوة تلوح ونشر النصر يغدو
ويروح ينشرح في نواحيها الصدر وتنبسط الروح وتطمئن النفس عند
تجلي الله بصفة الجمال لكل صدر مشروح وقد ظهرت على اهل هذا البلد
بركة الرسول مطلقا بذلك واسعارها في الغالب ارخص من غيرها
مع صغرها وانقطاعها عن البلاد واهلها محفوظون امنون مطمئنون

مع سوء اخلاق عرب صبح المجاورين لهم وقد زرنا فيها محل الشهداء وعليهم
جدار قصير محيط بقبورهم وبالقرب منهم قبور السادات الاشراف
الودينية من اهل اليمن نزل اسلافهم بهذا البلد ولهم اتباع في طريق القوم
ومجلس ذكر وتوجهنا لزيارة المسجد النبوي الذي هنالك الموسوم بمسجد
العريش ومسجد الغمامة وسقي الناس ما احتاجوا اليه من ذلك الماء العذب
الزلول الذي لا نظير له في تلك البلاد وارتحلنا من بدر بعد الظهر
وتركنا تجاهه وادي الصفراء وسرنا بمضيق وعر ورمل بعده فضاء واسع
لا يكاد يعالج سورة حياته معالج ويتصل بذلك الفضاء رملة عالج التي
قال الصلاح في حياتها التي توحش النفس من حياتها

في وسط رمل عالج	عجيبة ابينها
حياتها السمر غدا	بياضها يشينها
رايت فيها حية	اشبه لي تكوينها
مفتاح عاج ابيض	اسنانه قرونها

واصبحنا ضحى بقاع البزوه والابل من النشاط تنزو انزوة اي نزوه
واغذذنا في سيلها المهول لما رايت الركب عزم على النزول به وعول
قال الزين والقاع اسم لكل مكان واسع مستو من الارض قال في القاموس
القاع ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ويسمى طرف
الجنحا والجبت وانشد للصلاح

قد سلكنا القاع المديد الذي	اضحى مضافا دون البقاع لبزوه
فهو قاع لا نبت فيه نراه	عين سار وكم لنا فيه سروه

وله ايضا

مررنا بقاع البزوة الافيح الذي	عليه صريح الذم راح حبيسا
وكان به للماء قدر وعزة	وكان به قدر الحشيش خسيسا
فسرنا به يومين والثالث انقضى	وقد ذهبت فيه النفوس نفيسا
وكم ذيلع واف وموسى بكفه	يسيح في وسط المفازة عيسا

وما ذكرناه من تسمية هذا المكان بقاع البزوة مونثا بالهاء هو الذي
في جل الرحلات او كلها ولكنه لا وجود له في امهات اللغويين ولا في الكتب

المصنف

المصنفة في ضبط اسماء المواضع بل الموجود فيها البزواء ممدود كالحمراء قال
السيد السمهودي البزواء بالزاي كالحلواء بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل
بين الجار وودان وانشد قول كثير

ولا باس بالبزواء ارضا لو انها   تطهر من آثارهم فتطيب

وعلى ذلك اقتصر المجد في القاموس كغيره والله اعلم وقد جاءنا اعراب فيها
بالحشيش والماء وارتحلنا وسرنا على صدرة ثم مررنا ببئر الشريف ثم
بستان القاضي ولم يبق من ذلك الا الاثر فقط وقد ذكر جميعه الزين
الحنبلي ثم مررنا بالحدرة المعروفة بعقبة ودان قال السيد السمهودي
ودان بالفتح ودال مهملة مشددة آخره نون قرية على مرحلة من الجحفة
بينها وبين الابواء ستة اميال او ثمانية وقد اكثر نصيب من ذكرها
في اشعاره كقوله

اقول لركب قافلين عشية   قفا ذات اوشال ومولاك قارب
قفوا اخبروني عن سليمان انني   لمعروفه من اهل ودان راغب
فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله   ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب

وفي اثناء هذه الليلة مررنا بمستورة ويقال مسيترة بالتصغير بعد
العشاء فرأينا فيها عمارة وقهاوي وسرجا موقودة وروضة يتبرك
بها وتزار قيل ان بها قبر رجل من شرفاء اليمن يقال له الشيخ يحيى فزرناه
بحسن النية واصبحنا بعد ارتفاع النهار برابغ في عيش رابغ مستبشرين
بالاحرام ومسرورين بالقرب للبيت الحرام ورابغ قرية عظيمة جامعة
لانواع المحتاج اليه وماؤها عذب في الغالب قال الزين الحنبلي رابغ
لجانب البحر به حايف تعذب بتوالي الامطار وتعتريها ملوحة ما اذا
قلت وبها قرية حسنة جامعة لها مزارع وفواكه ياتي اهلها بالحشيش
والاغنام والحطب والبطيخ وغير ذلك قال ومحل الاحرام الجحفة
وهي تقابلها يسارا صوب الجبل وهي ميقات اهل مصر والشام اذا
جاوا من تبوك وقال صاحب المطالع الجحفة قرية جامعة بمنبر على طريق
المدينة من مكة وهي مهيعة وانما سميت الجحفة لان السيل اجحفها وهي
على ستة اميال عن البحر وثماني مراحل من المدينة وقيل سبع مراحل من المدينة

وثلاث من مكة وقال السيد السمهودي الجحفة بالضم وسكون الحاء المهملة
احد المواقيت قرية كبيرة ذات منبر على نحو خمس مراحل وثلثي مرحل من المدينة
وعلى نحو اربع مراحل ونصف من مكة وكانت تسمى ولو مهيعة كمعيشة
ويقال لها مهيعة كمرحلة اسم للجحفة وقال عياض سميت الجحفة لان
السيول اجحفتها وحملت اهلها وقيل انما سميت بذلك من سنة سيل
الجحاف سنة ثمانين لذهاب السيل بالحاج وامتعتهم وقال الحافظ
المنذري لما اخرج العماليق بني عبيل اخوة عاد من يثرب نزلوها فجاءهم
سيل الجحاف فجحفهم وذهب بهم فسميت حينئذ الجحاف واستبعد ذلك
كله العبدري فقال كانت تسمى الجحفة قبل الاسلام والى الان وجاء
ذكرها في الاحاديث الصحيحة والاخبار الثابتة وكان سيل الجحاف
في امارة عبد الملك بن مروان فكيف سميت به قبل وجوده واغرب من
ذلك ان سيل الجحاف كان بمكة واجتحف الحجاج والمحصب وذهب بهم
وبامتعتهم وهدم بمكة دورا كثيرة ودخل المسجد الحرام واحاط
بالكعبة وكان ذلك سحر يوم التروية من عام ثمانين فما شانه والجحفة
حتى سميت به هذا مما لا يكون وانشد الزين لابي عبد الله الفيومي

لم انس بالجحفة يوما غدا عقلي من اهواله زائغ
يوم لحوم الخلق فيه استوت من حره وانقلبت رابغ

وكون رابغ بالغين المعجمة هو المصرح به في جميع الرحل وكتب الفقه ودواوين
اللغة واغرب العبدري فقال انه رابخ بالخاء المعجمة بدل الغين مقتصرا
عليه مع كونه لم يقله احد وانما في القاموس رابخ موضع بنجد من غير
تعيين واما رابغ فعرفه بانه ميقات كما في كتب الفقه والوفا وخلاصته
وغير ذلك فليحرر وقامت لنا فيها سوق واية سوق قام الناس لها
على سوق جمعت من انواع الاطعمة والاشربة والبضايع والعلف والحبال
والشقادف وغير ذلك من كل ما يحتاج اليه ما لا يصل التعبير عليه
وكانت هنالك حوانيت تخصف فيها النعال المعدة للاحرام يشتريها كل
من طلبها وارام وسقي الناس من حفائرها الغزيرة الماء ماء رواه
شافيا من الظما وبالغوا في غسل الثياب والابدان وتوجه كل منهم الى الله

تعالى ودان واغتسلنا للاحرام وبالغنا فى الثناء على الله تعالى اذ
بلغنا المرام وتجردنا من ثيابنا وصلينا ركعتى الاحرام بعد صلاة الظهر
ونوينا الاحرام بحجة الاسلام المفترضة على امة الرسول عليه الصلاة
والسلام ورفعنا الاصوات بالتلبية ملازمين لما يناسب المقام من
الاحوال الادبية خاضعين لله تعالى حامدين له على ما اولانا من
الانعام ووالى اذ هو الميقات المعروف عند الفقهاء المقابلة للجحفة
وارتحلنا منه وسرنا مطمئنين مسرورين فرحين مبرورين مديمين
على التلبية من غير تفريط ولا افراط مستقبلين ما يرجى لمد يردنا نيل
هاتيك الاجور من انواع القيراط ومررنا ببطن هرشى وهى كما قال
السيد السمهودى هضبة ململمة بارض مستوية اسفلها ودان على
ميلين مما يلى مغيب الشمس ويتصل بها عن يمينها بينها وبين البحر
خب ينسب اليها ثنية هرشى ويقال عقبة هرشى ودونها بميل منتصف
طريق مكة ولها طريقان وكل من سلك واحدا منها افضى به الى موضع
واحد ولذا قيل خذا بطن هرشا او قفاها فانما كلا جانبى هرشى لهن طريق
ونزلنا قديد بالتصغير ذات الفواكه الكثيرة والماء الذى لا يغيض
ولا يغير وبالقرب منها طارق قديد وهو اسم جبل بالقرب من قديد
وقديد كزبير قرية جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه قاله البكرى
وغيره لكنا لم نجد فى المحل المعد لنزول الحاج ماء بل الماء عنها بعيد وكذلك
خبر عنها ابو سالم فقال وهى قرية غالب ابنيتها حيشان وفيها قهاوى
وفواكه تباع ولا ماء بها الا ما يستقى من بعيد وكان البكرى نبه على
كثرة المياه التى فى نواحيها وقد ورد علينا جماعة من نواحيها بالحشيش
والدوع الجيد وهم يسمونه حبحب بلغتهم واشترينا ذلك منهم بارخص
ثمن وارتحلنا من قديد ظهرا فمررنا مع غروب الشمس بعقبة السكر
والاقدمون يعبرون عنها بعقبة السويق قال فى الدرر الفرائد
المنظمة ومن العوائد المتقدمة ان امراء الحاج يبادرون بتجهيز
السقائين لنصب الاحواض اسفل الحدرة الكبرى ويملؤنها من السكر
المذاب لسقاية الحاج فيعمون بذلك الكبير والصغير والغنى والفقير

ويعدون ذلك من مكارم الاخلاق وسعة الانفاق ويعدونه فرحا
بالقرب لام القرى والاستبشار بمعاهدها فكانوا يفرقون المئين
من رؤس السكر المذاب والالوف اذا املاوها بالماء عدوا ذلك امرا
عظيما قال وهذه العقبة معترضة في الجبل كثيرة الرمال والاوعار
سموها بذلك لما يقع فيها من سقي السويق وغيره وذكر ابو سالم انهم
يذكرون في ذلك اثرا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعبارته واكثر الناس
خصوصا المصارية يجلبون السكر من مصر بالقصد ليشربوه بعقبة
السكر ويأثرون في ذلك اثرا لا اصل له يزعمون ان رمل ذلك المحل
قد انقلب للصحابة سكرا فشربوه قال وهي عقبة في جبل صغير فيها رمل
يتعب الابل وقد سوى البناء في جانبها والتقطت الحجارة وبني مسجد
صغير في احد جانبيها قلت واثر ذلك المسجد باق الى الان وقد رايت
مكتوبا على بعض جدرانه

نزلنا هاهنا ثم ارتحلنا ... كذا الدنيا نزول وارتحال
يظن العبد في الدنيا خلودا ... خلود المرء في الدنيا محال

وانحدرنا من عقبة السكر قرب العشاء وقد تقدمنا في اولها العشاء
ومررنا بخليص ليلا وقد قاسينا في وصلته ما لا يقاس بعضه بمقاساة
قيس ليلى فالفينا مياهه سائله وفواكهه مبذولة لكل سائل وسائله
وحوله من المزارع ما يستغني ولو برؤيته الزارع فاستقى الناس من
فساقيه وتنعم بفواكهه وارده وساقيه واشترى الناس من لاعم
الشديد الحلاوه اكثر مما سقوا من مائه الذي لا نظير له في العذوبة
واللذة والطلاوه وقد اكثر الرحالون من وصفه وما بلغوا معشار
ما اشتمل عليه فضلا عن نصفه قال الزين الحنبلي خليص فضاء واسع
كثير الانس وبه حصن على جبل ومزدرعات وخضر وبطيخ وكروم
وسمون واغنام وقال الاسدي خليص عين غزيرة كثيرة الماء وعليها
نخل كثير وبركة ومشارع ومسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعند الحرة
مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون لرسول الله في تلك المسافة مسجدان
عند حرة عقبة خليص مسجد وعند العين المسماة بخليص مسجد وقد ذكرهما

اليه

السيد السمهودي رضي الله عنه وقال ابو سالم وفي خليص عين تجري وابنية
وقهاوي وسور وقد سيق الماء في قنوات محكمة من العين يخرج عنها في
مواضع للسقي والوضوء الى ان خرج الماء الى بركة عظيمة تحت القرية لم
ار احلا منها ماء ولا اعظم يغرق منها من لا يحسن العوم ويخرج الماء من
البركة الى مزارع قريبة من البلد قال الزين الحنبلي وفي خليص يستبشر
الركب بالخلاص من التعب والاعياء والنجاة من المشاق الفادحة
وانشد للصلاح بقول سايق ركبي ولات حين مناص
لقد بلينا بدرب بطول يوم القصاص فقلت جي به خليصا وابشر بحسن الخلاص
وله ومرت به ظباء وهو محرم

مرت ظباء القاع قدامنا ونحن بالاحرام في هجعه
حتى نجت سالمة في الفلا ولم يكن فيها لنا نجعه
قلت لهم قولوا لها ان تكن ناشطة تلبث الى الرجعه

وانشد للشهاب احمد بن ابي حجلة

حثثنا المطايا من خليص عشية وطرفي الى افق السماء تردد ا
ولما بدا فيه الهلال لناظري ذكرت حنين العامرية اذ بدا

وسرنا من خليص في امن وامان ومررنا بالموضع المعروف بمدرج
عثمان والعامة تنسبه الى علي رضي الله عنهما وهو كثير الوعر صعب
المسلك ومن خليص الى عسفان غيضة كبيرة ذات اشجار ملتفة من اثل
وغيره وفي خلالها فدادين يزرع فيها المقاثي والدخن وغير ذلك
وانحدرت في الثنية التي يهبط منها الى عسفان والطريق فيها مبنية
ملتقطة احجارها كعقبة السكر الا ان هذه اطول منها واسهل وباحد
جانبيها مسجد وهذا المحل هو المسمى بمدرج عثمان قال الزين الحنبلي
ويحتاج الامراء ان لا يمر بوفد الله تعالى في مدرج عثمان ذهابا وايابا الا في
نهار لما فيه من كثرة الاوعار وصعوبتها وتعاريج الطرق وانشد للصلاح

طوينا الفلا نبغي الوصول لمكة فناحت علينا الورق من عذب البان
وكم مدرج قد لاح في كهف الفلا ليوم التلاقي في مدرج عثمان

ولما خرجنا من اوعار تلك العقاب التي طرقاتها على شفا جرف هار

وصلنا منزلة عسفان بعد ارتفاع النهار فتفرق الناس يسقون من
آبارها وورد علينا جماعة من صغار اعرابها وكبارها وقامت
هنالك سوق جامعة لانواع اللحوم والخضر والحشيش وغير ذلك مما
يستبعد وجوده هنالك وشربنا من البير التي يقال ان النبي صلى الله
عليه وسلم تفل فيها او شرب منها اذ لم يكن له مندوحة عنها اغتناما
لبركة اثار الرسول لانها لدينا غاية المنا والسول فما شربت اعذب
من مائها ولا احلا كانه لا يكون احلى منه ولا احلا وما زال الناس
يتزودون من ماء هذه البير ويكثرون من شربه ويسمون المنزلة كلها
به فيقولون نزلنا بير التفلة كما اوما اليه الزين وغيره وقد ذكر هذه
البير جماعة من اهل الرحل وماء الابار الاخر عذب سايغ شرابه ايضا
ولكن حلاوة هذه البير خرقت المعتاد ببركة ريق سيد العباد وعسفان
بالضم كانت قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة
سميت بذلك لعسف السيول فيها قال الاسدي وفيها آبار وبرك
قال الزين وبعدها منزلة العقلة التي صلى بها النبي صلى الله عليه وسلم صلاة
الخوف حين كان العدو في جهة القبلة وبعسفان اشجار الاراك وغيره
من اشجار الحجاز وبه شجر البلسان البري وبعضهم يسميه البشام وكثيرا
ما يوجد في روس تلك الجبال وارتحلنا منه ومررنا بالارض المسماة برقة
وهي ارض طيبة فيها مزارع ومقاثي ثم بوادي العميان سمي بذلك لان
الفقراء يتعرضون فيه للركاب طلبا للصدقة وفي اثناء ذلك مررنا
بفضا انير كثير الانوار والاشجار وربما مررنا بمضيق وعر بين جبلين
بعد ذلك الفضاء ومررنا على طائف المنحنا وبعده اتينا جبل المنحنا
كما نبه على ذلك الزين الحنبلي وانشد لابن ابي حجلة لما مر بتلك الجبال وبدا
له معالم مكة العظيمة العنبر والبال

اسير ولي شوق الى ارض مكة   له في الحشا والقلب مرسي ومرسخ
اذا ما بدت لي شامخات جبالها   فاني على اهل البسيطة اشمخ

وقد ذكر المنحنا في هذا الموضع صاحب الرجز ايضا فقال

وفي خليص سر ولا تعرج   من بعدها تاتي الى المدرج

منه

منه الى عسفان ثم المنحنا　　وبطن مر بعدها نيل المنا

وزعم بعضهم ان المنحنا انما هو مذكور في اماكن المدينة فقط ولا ذكر له في اماكن مكة وهو قصور فقد ذكره غير واحد على ان المنحنا المذكور في مواضع المدينة لم يعين مكانه بل في الوفا وخلاصته وغيرهما من مولفات السيد السمهودى المنحنا بالضم ثم السكون وفتح الحاء والنون لا ذكر في الغزل باماكن المدينة وهو عند اهلها اليوم بقرب المصلى في القبلة شرقى بطحان ولذا قال الشمس الذهبى

تولى شباب كان لم يكن　　واقبل شيب علينا تولى

ومن عاين المنحنا والنقا　　فما بعد هذين الا المصلى

ففي كلامه الاول ما يدل على انه غير معين عندالا قدمين وان اهل عصره اطلقوه على ذلك المكان الذى اوما اليه وهو لا يعين ان لا يكون منحنا اخر في هذا المحل كما لا يخفى والله اعلم واصبحنا في القرية النا عمه المعروفة بوادى فاطمه وهو المعروف بين الفقهاء واهل السير بمر الظهران وبعضهم يستوى عنه في التسمية الامران وربما يسمى ببطن مر قال الزين الحنبلى بطن مر قرية ذات حدايق وعيون وبنيان ومسجد وعين ويسمى وادى مر ووادى فاطمه عند اهل الحجاز وقال ابو سالم انه يسمى وادى الشريف قال وهو واد كبير فيه قرى متعددة ذات نخيل وبساتين وعيون تجرى واعظمها القرية التى ينزل بها الحاج وفيها سوق وعين كبيرة وبساتين مونقة وقد لقينا الثمار بها مزهوه فكانت النفوس بانواع الرطب والبطيخ فيها مزهوه فاسرع الركب المصرى في التوجه الى مكة المشرفة وتاخرنا عنه خشية الازدحام الذى يكون في تلك المضايق على كل شرفه فانخنا في الوادى ريثما تغدى الناس وكثر الايناس وانقضت الزحمة واخذنا في التوجه لمنازل الرحمة ورحلنا من الوادى ولاحت من اعلام القرب البوادى ومررنا بسرف وبه قبر ام المومنين ميمونة رضى الله عنها لانها توفيت في هذا المحل ودفنت فيه ومن غريب الاتفاق ان النبى صلى الله عليه وسلم بنى بها بهذا الوادى وكان تزوجها بمكة وهو محرم بعمرة القضية وبنى بها بسرف في رجوعه وعلى

قبرها بناء ومسجد تهدمت جوانبه فزرناها وتجاوزنا الى التنعيم حيث
المسجد المنسوب لعائشة رضي الله عنها بني في المكان الذي احرمت منه
بالعمرة مع اخيها عبد الرحمن بامر النبي في حجة الوداع ومن ذلك الموضع
يحرم الناس بالعمرة في المواسم وغيرها وهو اول الحل حتى صار يطلق على
المكان اسم العمرة تسمية للشيء باسم ما يقع فيه ثم تجاوزناه ومررنا بسبيل
الجوخي وقد جمع هذه المنازل ايضا الراجز في قوله

تسير تلقى مسجد الميمونه   خيرا لنساء امنا المصونه
وبعده المساجد المشهوره   لامنا عائشة المبروره
فطب اذا نفسا وقر يا اخي   عينا وتاتي في سبيل الجوخي

وسرنا في مضيق الثنية الى وادي الزاهر ويسمى جنان مكة وبه آبار واشجار
وخضر وبه قبر يذكر انه قبر الصحابي المشهور عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
فقد صح انه مات بمكة بعد الحج فقيل انه دفن خارجها بوصية منه كراهية
ان يدفن في البلد الذي هاجر منه فمن قايل انه بهذا الوادي ومن قايل
انه بالوادي الذي بطرف المحصب وهو الذي شهره كثيرون الا انه ليس
هنالك قبر ينسب اليه واكثر الناس يقول بالاغتسال في هذا الموضع
اقتداء بمن قال ان هذا هو ذو طوى الذي بات به النبي صلى الله عليه وسلم
واغتسل فيه واستحب اكثر العلماء الاغتسال فيه والتحقيق ما عليه
كثير من المورخين ان ذا طوى امام هذا وليس بينه وبين مكة واد آخر
وهو الوادي الذي وراء قعيقعان وباسفله الموضع المسمى بالشبيكة حيث
الثنية السفلى التي يخرج منها الحاج باعلاه هذا الوادي هو ذو طوى
واسفله هو الشبيكة ولم نغتسل نحن بواحد منهما لعدم تيسر ذلك بل
سرنا عامدين الى الثنية العليا دون مكة لها طريقان طريق باب الشبيكة
بالجادة وطريق باب المعلاة من الثنية العليا التي قصدناها لانها
الطريق التي دخل منها صلى الله عليه وسلم المسماة بكدا بالفتح وقد بالغ
الولاة في حفر هذه الثنية وتنقيتها من الاحجار حتى صارت كاحد الازقة
ومع ذلك ففيها صعوبة ومنها يشرف على مقبرة مكة المسماة بالحجون
وهي احدى المقابر التي تضيء لاهل السماء كما تضيء الكواكب لاهل الارض

كا

كما ورد في الاحاديث ولما انحدرت من تلك الثنية انحاز معنا بعض اصحابنا الى بعض الاشجار وجعلوا لنا حائلا عليها للتستر واغتسلنا هنالك واشرقت علينا انوار الحرم الشريف ضاعف الله له التعظيم والتشريف ولاح لنا شعب ابي طالب الجامع لجميع المطالب وتذكرت قول ابن ابي حجلة في ذلك لما وصل لهنالك

ولم انس اذ وافيت مكة بكرة ... ودمعي من المعلاة بها يتحدر
طويت اليها شقة البيد في السرى ... وانوارها من ذي طوى لي تنشر

وقوله

بذلت كنوز الدمع في مكة ... يغلب بذل المال في الغالب
فكيف اخشى في الورى مهلكا ... ومطلبي شعب ابي طالب

وكنت لما انحدرت الى الحجون ودنت لي مكة واشرفت عليها واشتد بي الاشواق اليها قلت قصيدة اولها

لقد فزنا وسر الثناء ... وادركنا من المولى العطاء
واشرفنا على حرم امين ... له من كل ناحية بهاء

وكانت ازيد من ثلاثين بيتا اختطفتها يد السارق وترك القلب من اجلها في محارق

ذكر دخولنا مكة المشرفة وحلولنا حول البيت الذي عظمه الله وشرفه

دخلنا مكة المعظمة في عصر سادس الحجة الحرام ولم يسعنا ان نقدم شيا قبل التوجه الى بيت الله الحرام اذ ذاك هو منتهى الشوق وغاية المرام فجئنا نؤم البيت الحرام واثقين بنيل المنا وبلوغ المرام وكادت ان تطير من شدة الفرح القلوب وفازت بما هو لديها المامول والمطلوب ودخلنا البيت من باب السلام اقتفاء لاثر النبي عليه الصلاة والسلام داعين للبيت المعظم بزيادة التشريف والتعظيم قال التقي الفاسي باب السلام هو اول باب في الجنب الشرقي وعليه منارة المسجد الحرام قال فاذا دخل القادم من باب بني شيبة وراى البيت رفع يديه وكبر وقال اللهم زد هذا البيت تعظيما وتكريما وتشريفا ومهابة وبرا وزد من عظمه وحجه تعظيما وتكريما وتشريفا ومهابة وبرا الحمد لله اللهم انك دعوت الى حج بيتك الحرام وقد جئتك له فتقبل مني واصلح لي شاني كله واشرفنا منه على ذلك البيت الشريف

الغني عن التعريف وقد تبدت انواره وتدلت استاره وبرقعه مشمر
عن الاسافل حتى لا يكاد يناله على ولا سافل اذ عادتهم ان يفعلوا
ذلك به من اول ما تقدم الوفود ولا تطلق استاره حتى تؤوب وتعود
وقد قال ابو سالم في هذا المعنى وابدى فيه تشبيها غريب المبنى

فكانه لما بدا متشمرا ... والطايفون به جميعا احدقوا
ملك همام ناهض للقاء من ... قد زاره وله اليه تشوق
فتبادر الغلمان رفع ذيوله ... حتى اذا رجعوا جميعا اطلقوا

قال ومن راى اكابر الملوك عند قيامهم وتشمير الغلمان لفاضل
الذيول عن يمينهم وشمالهم علم غرابة هذا التشبيه وحسن موقعه
وانه واقع في موضعه وعلم ما بينه وبين من شبهه بهند وليلى وانه لم
يجد وصفا ولم يحسن قولا فلما وقعت عليه الابصار تحيرا لنظر والابصار
واقشعرت الجلود وذهلت العقول وشاهدنا من الهيبة
والعظمة ما ليس بمعروف في غير ذلك المكان ولا معقول

بدا لك الحق فاقطع ظهر بيداء ... واهجر مقالة احباب واعداء
واقصد على عزمة ارض الحجاز تجد ... بعدا عن الحظ في نزل الاوداء
وقل اذا انلت من ام القرى اربا ... وهو الوصول باسرار وانداء
يا مكة الله قد مكنت لي حرما ... موقنا لست اشكو فيه من داء
فمذ راى النازح المسكين مسكنه ... في قطرك الرحب لم ينكب بانداء
شوق الفواد الى مغناك متصل ... سوق الرياض الى طل وانداء

ولما ضج الضجيج وارتفعت اصوات الحجيج ذكرت قول القايل
في مثل هذا الموقف الهايل

وافى الحجيج الى البيت العتيق وقد ... سجا الدجى فبدا نوره بزغا
عجوا عجيجا وقالوا الله اكبر ما ... للنجوم تلق بالنور قد صبغا
قال الدليل لهم هاتوا بشارتكم ... فمن نوى كعبة الرحمن قد بلغا
نادوا على العيس بالغفران وانتحوا ... وود كل فواد نحوه وصغا
وكل من ذم فعلا نال محمدة ... في مكة ومحا ما قد جنى وبغا

وكلما جددت النظر في محاسن البيت الشريف كدت اغيب عن الوجود

واستشعرت قول العارف الشبلي لما وفد على حضرة الجود

قلت للقلب اذ تراءى لعيني ... رسم دارهم فهاج اشتياقي
هذه دارهم وانت محب ... ما احتباس الدموع في الاماق
والمغاني للصب فيها معان ... فهي تدعى مصارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها ... واهجر الصبر وارع حق الفراق

وكلما نظرت يمينا وشمالا وهبت على من نفحات البيت صبا وشمالا انشدت وقد ملت من الوجد ميالا

هذي اباطح مكة حولي وما ... جمعت مشاعرها من الحرمات
ادعو بها لبيك تلبية امرئ ... يرجو الخلاص بها من الازمات
قلت المنا بمنى لواني لم اخف ... بالخيف من ذنب احال سماتي
وعرفت في عرفات اني ناشق ... للعفو عرفا عاطر النسمات

ثم تجاوزت باب بني شيبه وفي قلبي ما لا اكيفه من الهيبه وتيممت الحجر الاسود وجنبت كل احمر واسود وكبرت وقبلت وجعلت البيت عن يساري وشرعت في الطواف واقبلت حتى فرغت من طواف القدوم واستشعرت الوجود وقد كنت من الذهول في حيز المعدوم وربما كنت اتمثل في المطاف وقد لبست حلة بيت الالطاف الدانية القطاف بقول ابن رشيد البغدادي تقوية لمرادي

على ربعهم لله بيت مبارك ... اليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجاني فيغفر ذنبه ... ويسقط عنه جرمه وخطاياه
وكم لذة او فرحة لطوافه ... فلله ما احلى الطواف واهناه

وربما اتوجه الى الله في نيل الاوطار التي جبت لها الاقطار واحمده على ان سكن القلب في حرمه وطالما اليه طار ولجأ اليه فيما ارتكبه من الاخطار طوبى لمن طاف بالبيت العتيق وقد لجا الى الله في سر واجهار

فكل من طاف بالبيت العتيق نجا ... حقا وقد راح معتوقا من النار

وربما تاملت حسن جمال الكعبة الباهر فانشدتها قول من اقبل عليها بالنداء الظاهر

يا كعبة الله كم من عاشق قتلا ... شوقا اليك ورام الوصل ما وصلا

يمسي ويصبح محزونا ومكتئبا ويهجر الاهل والاوطان والطللا
لولاك ما سرت الركبان من طرب كلا ولا قطعت سهلا ولا جبلا
ولا رات كل ضيق فيك متسعا كلا ولا خف عنها كل ما ثقلا
باعوا النفوس رخيصا في هواك وما تغلوا النفوس بوصل منك ان حصلا

فياما اطيب هذه الاوقات المباركه التي لا تعدل بمقاومة ولا مشاركه ويا ما الذ ما لقيناه عند تقبيل الحجر من الازدحام والمنهل العذب كثير الزحام ويا ما اقصر الوقوف وان طال بالملتزم ويا ما الذ الورود من ماء زمزم ويا ما احسن التمتع في الحجر بلا حجر ويا ما اكمل الاماني بالوقوف حول الركن اليماني ويا ما اقرب الدعاء في تلك الاماكن للاجابه ويا ما اسعد من اكرمه مولاه في اتيانه الى بيته الحرام ولبى دعاءه واجابه ولما غربت الشمس وطابت النفس ادينا صلاة المغرب وقدمناها على ركعتي الطواف تحريا للخروج عن وقت النهي مع قلة الفصل ثم صلينا ركعتي الطواف خلف المقام وقبلنا الحجر وخرجنا لقضاء شعيرة السعي من باب الصفا وبدانا بما بدا الله تعالى به فوقفنا على الصفا وارتقينا على مدارجها حتى قابلنا البيت وبالغنا في الدعاء لله تعالى لنا ولوالدينا ولاشياخنا واحبابنا ولعامة المسلمين وخاصتهم والرقي على المدارج مما ينبغي ان يتفطن له فان كثيرا من الحجاج يقف في الدرجة الاولى ولا يرتقي لغيرها فيخل بكيفية الرقي عليها ثم اتينا المروة في زحام كثير من اخلاط الناس الواردين وغيرهم من اهل البلد لان المسعى سوق من اسواق مكة العظيمة ولو وفق الله الامراء لمنع الناس من التسوق فيه ايام الموسم لكان له في ذلك خير كثير لكثرة ما يحصل للساعين من التضرر بكثرة الازدحام وما فرغنا من السعي حتى قربت العشاء فدخلنا المسجد وصلينا العشاء وخرجنا ننظر محلا ننزل فيه فما لقيناه حتى مضى ربع من الليل بقرب المدعى فانزلنا فيه امتعتنا وبتنا به حتى طلع الفجر وتوضانا وجئنا لصلاة الصبح بالمسجد الحرام فطفنا لان تحيته الطواف ويتاكد في حق المسافر كما قرر في الفقه وصلينا فيه وبقينا حتى اشرقت الشمس وكمل لنا الانس وظللنا في ذلك

اليوم

اليوم نزدد العبادة ما بين صلاة وطواف وتمتع بالنظر في الكعبة والطواف
وتضلع بماء زمزم وتذلل بين الركن والمقام والحجر والملتزم ومع ذلك
نبالغ في الابتهال الى مولانا ونسأله الزيادة على ما اولانا ولما قبلت
الحجر الاسود الذي لا اشرف منه ولا اسود قلت

حصلت على المجد والسؤدد وامنت من ساخط اسود
وصليت ما شئت خلف المقام وقبلت فاه الحجر الاسود

وقلت في الملتزم وقد التصق به الجسم والتزم

يا الهي قد اتى الملتزما عبدكم يرثى لذنب ازما
هده يا ربي قواه وبرا جسمه مولاي حتى عزما
فاخفضن بالفضل ربي نصبه واجعل الملتزم الملتزما

وقلت في الحجر والحطيم وقد ضاعت اعرافها وضوع المسك اللطيم

هديت الى الصراط المستقيم فجئت لحجة البيت العظيم
وعند الحجر قال الحجر ابشر فقد حطمت ذنوبك بالحطيم

وقلت لما بلغت الاماني بالطواف حول الركن اليماني

حصلت على الذخائر والاماني وبدل كل خوف بالامان
اما قد طفت حول البيت سبعا ولامست اليد الركن اليماني

وقلت لما خلص القلب وصفا وسعيت بين المروة والصفا

صفا القلب مني اذ وقفت على الصفا فلله ربع فيه كل امرئ صفا
وامسى فؤادي لينا ذا سهولة وقد كان قدما وهو اقسى من الصفا
وفي المروة الغراء زادت مروتي كما لا ولم لا وهي منزلة الوفا

وخرجت بعدما ارتفع النهار لابد تر الخروج الى عرفات واصلح الاحوال
مما اصابها من الافات واستعد الزاد وانظر ما نقص وزاد
فظللت اسعى في تحصيل ذلك الغرض وكلما عن وقت من اوقات
الصلاة اتي المسجد الحرام فاصلي فيه الوقت الذي عرض وبتنا بمكة ايضا
وقد فاضت علينا انوارها فيضا واصبحنا يوم الاحد جادين في
الرحيل لعرفات اذ لم يتاخر عنه في ذلك اليوم احد وهو ثامن الحجة
الذي يتعين فيه الخروج لعرفات تكميلا للحجة وهو المعروف بيوم التروية

وكان اخر العهد بالبيت الطواف به لانه مشروع عند الخروج لمنى وعرفات
كما نص عليه الشيخ ابو الحسن والشيخ خليل وابن هلال وغير واحد من
ارباب المناسك وارتحلنا بعد الزوال لان ذلك هو السنة فى
الارتحال فنزلنا بمنى فوق مسجد الخيف بسبع شبر وبتنا فى تلك الليلة
بمنى اذ المبيت بها هو السنة كما فى دواوين الفقه وقد من الله علينا
باحياء هذه السنة التى اميتت منذ زمان فقد قال الحطاب وهذه السنة
اعنى المبيت بمنى هذه الليلة قد اميتت منذ زمان ونبه على ذلك غيره من
الفقها ايضا وذكره كثير من الرحالين كابن رشيد والعبدرى وغيرهما
وذكروا ان الخوف يمنع من المبيت هناك بعد ذهاب الركاب ولما راينا
ذلك طلبنا من الشيخ ان يبيت هناك احياء لتلك السنة فساعفنا بذلك
وبتنا هنالك وقد صدق القائلون بان الموضع مخوف فقد سرقت
فى هذه الليلة جماعات كثيرة من ركبنا وذهبت بغال واموال عريضة
وسرقت لنا خيمتنا بما فيها من حوايج وامتعة وطعام وغير ذلك
حتى لم يبق لنا ما نسد به الرمق هنالك تقبل الله جميعه منا وجعله
سبب رضاه عنا فان المصيبة فى مثل هذا المقام لا تخلو عن الطاف خفية
يتعذر حصولها لمن قعد او قام واصبحنا مسرورين بقبول ذلك
القربان وظهر علينا فضل الله تعالى فى ذلك وبان وارتحلنا من هنالك
بعد طلوع الشمس قاصدين لعرفات التى عرف فيها من كل وحشة
الانس وفاضت فيها عرفات رحمة الله على الجن والانس وليس عندنا
قلامة ظفر نقضى بها ادنى غرض بين اهل الوفر ومع ذلك لا نبالى
ولا يخطر اسف على ما تلف ببالى فقيض الله جماعة الركب وقاهم الله كل
كرب ان تعرضوا لنا فى الطرقات لما سمعوا انا من جملة المسروقات
ونوعوا لنا انواع المطاعم واظهروا كل نوع ناعم وبالغوا فى الاكرام
وانا لوا غاية المرام جزاهم الله خيرا ووقاهم ضيرا واكثروا من
التردد الينا والورود علينا وتانيسنا بالكلام اللين وتذكيرنا
بان ما سرق سهل فى جنب ما نلناه من الامانى وهين وما علموا ان ذلك
عندنا هو المطلوب وانه راحة الاجسام والقلوب اذ هو علامة

القبول

القبول والاقبال فأنى يخطر لى التغير عليه ببال ولم نزل فى الخيام
التى ضربناها للقيلولة اقامة للسنة والناس ينوعون الاطعمة والاشربة
فرحا بهذا اليوم العظيم الجدير بالتبجيل والتعظيم ويأتوننا بذلك
او يطلبون منا التوجه معهم لخيامهم جبرا لخواطرنا وتأنيسا لنا بذلك
لان عادة اهل الدنيا انهم يبالغون فى الاسف على ما فاتهم منها او سرق
لهم فيقيسون الناس على انفسهم وكنا نساعفهم بالاكل من الطعام الوارد
والذهاب مع من طلبه جبرا لخواطرهم ورغبة فى استئناسهم حتى زالت
الشمس واتانا بعض اصحابنا بكوب من ماء فاغتسلنا الاغتسال الثالث
من اغتسالات الحاج وصلينا الظهر والعصر جمعا وارتحلنا لقضاء
الركن الذى لا اعظم منه وهو الوقوف بعرفات الذى قال فيه النبى عليه
السلام الحج عرفات اى معظم اركانها كما قرر فى الفقه ومن الله علينا
بان جعله يوم الاثنين فقد صرحوا بافضليته من وجوه مذكورة فى المناسك
وغيرها حتى جعلوه قريبا من الجمعة او مساويا لها وصعدنا الجبل
ووقفنا شامى القبة التى على الجبل وحشر الناس فى نواحى الجبل افواجا
افواجا ودفعوا فى ارجائه وجهاته امواجا امواجا واخذنا فى الانتقال
من موضع الى موضع رجاء ان تحصل لنا من الوقفين بركة بسبب هاتيك
الحركة وكثيرا ما حرصنا على سماع الخطيب وقربنا من موضعه لاستماعها
فلم نتمكن من سماع حرف واحد منها لكثرة الاصوات واختلافها وازدحام
الناس على ارتفاع اخلافها مع اختلاف لغاتها ومطالبها وتباين
مقاصدها ومآربها ولم نبرح واقفين متذللين خاضعين لله تعالى
سائلين طالبين راغبين راهبين باكين داعين نبالغ فى الدعاء ونسأل
الله تعالى من فضله ان يمن علينا بخيرات الدنيا والاخرة العاجلة والاجلة
لنا ولوالدينا ولاشياخنا واصحابنا واخواننا ومن سألنا الدعاء
ولجميع المسلمين وعلى الله تعالى البلاغ حتى غربت الشمس وتحقق غروبها
ونفرنا من هنالك ثم وقعت فتنة بين امير الركب الشامى وامير الركب
المصرى حتى عزما على القتال وتقابلا للاقتتال فحال بينهما امير مكة
وفصل بين الاميرين ودخل بينهما جزاه الله خيرا وسرنا فى الاخريات ولم نر

بفضل الله زحاما ولا ضيقا حتى خرجنا من بين المازمين بعد مغيب الشفق
وعدلنا يمينا واستندنا للجبل ونزلنا وجمعنا بين الصلاتين وبتنا
بخيمة محبنا التاجر الفاضل الحاج محمد بن عبد الحميد المراكشي لانه كان
يحاذينا من نفورنا الى ان وصلنا لهذا المحل حرصا على مبيتنا عنده جزاه
الله خيرا ولما نزلنا اكرمنا وسقى بغلتنا وعلفها وبتنا عنده في رغد
عيش وجلب لنا من عرفات انواع الفواكه والارز وغيره ذلك تقبل
الله عمله مع كونه سرقت له بغلة جيدة يوم سرقنا نحن عسى تقبلها الله منه
والتقطنا الجمار من مزدلفة وتممنا حتى طلع الفجر وجاءنا السيد الحاج محمد
بالماء فتوضانا وصلينا وارتحلنا مغلسين الى المشعر الحرام فوقفنا
حوله داعين مكبرين مبالغين في الدعاء والتطفل على الله تعالى لنا
ولاحبتنا ولجميع المسلمين الى الاسفار ثم سرنا قاصدين منى واسرعنا
في بطن محسر المعروف بوادي النار وهو من اول ما تحاذي البركة الخربة
التي هي على يسارك ان مررت بطريق الركاب وانت ذاهب الى منى
حتى تاخذ في الطلوع الى منى وترتفع بك الارض وبهذا عرفه اهل عصره
بالمناسك الشيخ خليل المكي حسبما نقله عنه البلوي في رحلته اذ ساله عن
حده وسرنا راكبين على هيئتنا حتى رمينا جمرة العقبة من اسفلها بالسبع
الحصيات التي التقطناها من مزدلفة وملنا الى الحلاقين الذين
هنالك فالفيناهم في شغل شاغل من كثرة الزحام واكثر الناس يكتفي
منهم بحلق ناحية من راسه ويغتر بقولهم له يكفيك هذا فقد احللت
طلبا للتفرغ لاستكثار في الاجرة فيصدقهم كثير ممن لا علم عنده في
الاكتفاء بذلك واذا احلقوا لاحد الراس كله فانهم لا يستوعبون وقد
من الله علينا برجل عرفه بعض من حضر بحالنا ودفع له اجرة زائدة
على ما يعتاد فحلق لنا كما ينبغي مستوعبا ذلك على المراد ثم ذهبنا كذلك
لنغنم طواف الافاضة ونتشرف بالدخول للبيت من يحجبونا الذي
افاضه فبادرنا لدخول المسجد الحرام ووافينا الحجر الاسعد فاقبلنا عليه
بالتقبيل والاستلام وشرعنا في طواف الافاضة معترفين من فضل
الاحسان الذي اجراه الله تعالى على عباده وافاضه وكملناه بالصلاة

خلف المقام بعدما قمنا في الملتزم مع من حوله قام ولم نجدد السعي
لانا كنا سعينا اثر طواف القدوم كما هو السنة في ذلك **تنبيه**
كثير من العوام يظن انه يلزمه سعي اثر الافاضة وبعض المتفقهة
افتى من لم ينو فرضية طواف القدوم باعادة السعي فقد ادى بظاهر
قول المختصر ونوى فرضيته والا فدم والتحقيق الذي يعول عليه هو
ان شروط السعي وقوعه اثر طواف اي طواف وكونه فرضا انما هو واجب
يجبر بالدم ولا يلزم منه بطلان السعي ومعنى الفرضية كونه يتوقف
عليه صحة السعي لا كونه فرضا في نفسه وهذا القدر يعلمه كل من له ادنى
معرفة بالمناسك واذا كان كذلك فلا اعادة على من سعى اثر طواف
القدوم ولو لم يستحضر نية فرضيته اذا كان عالما بذلك فان نية
الاحرام كافية في الحج لانه عبادة واحدة ولا يشترط فيه افراد نية
لكل جزء منه كالصلاة وتمييز الفرايض من غيرها امر مختلف في كونه
شرطا في صحة الصلاة ام لا والحج اوسع من الصلاة ولا اعادة عليه
ايضا لو جهل فرضية طواف القدوم لان الشرط كما تقدم هو وقوعه
اثر طواف وهذا واقع اثر طواف فان كان عالما بالتلازم بينهما فلا
دم ايضا اذ ذلك القدر هو المعبر عنه بالفرضية والا فدم هذا هو
التحقيق الذي حرره جماعة من المشايخ وسيدنا ابو سالم وغيره وادلة ذلك
يطول سردها وكثير من المتفقهة لا يحقق المسئلة هذا التحقيق ويشغب
على الناس الزامهم الاعادة ويقول لا بد من افراد نية لطواف
القدوم انه فرض والا بطل السعي والعجب كيف يجعلون نية الفرضية
شرطا في صحة السعي ولا يجعلونه شرطا في صحة الطواف ذي النية
فتكون نية الفرض في ركن شرطا لركن اخر لا له والشرط اذا لم يوثر عدمه
في محله كيف يوثر في محل آخر فشد يدك على ما ذكرنا من التحقيق ترول
ولا تلتفت الى من طريقه التقيد بظواهر الفاظ المختصرين اذ ليس عليه
معول والله تعالى اعلم ولما فرغنا من الطواف وتابعه الفينا البيت
مفتوحا فاخذنا في معاطاة اسباب الوصول اليه وتعرفنا للقيم عليه
فيسر الله علينا امره وهدى بعض ولاة تلك الامرة وارتفعنا للدخول

اليه راغبين فيما اعد من الثواب عليه ولم اشعر حتى وجدت جسمى ملقى
فى داخل البيت وكانى افقت من هيئة ميت ولم ادر كيف وصلت
لذلك ولا بماذا نلت الوصول لهنالك فاخذتنى قشعريرة واعترانى
ما يعترى الموصول من ذهول الوصول واخذنا فى الصلاة الى
اركان البيت الاربعة واطلنا فى الصلاة وبالغنا فى الدعاء لنا
ولاهلينا واحبائنا واشياخنا ولجميع المسلمين مما نسال الله تعالى
ان يتقبله منا ويرضى به عنا واطلنا المكث فيه رغبة فى تحصيل
ثواب داخله وقاصده واخذنا نذكر هولاء الخدمة الذين يمنعون
من رام دخوله لنيل مقاصده فقد ذكر المحب الطبرى انه لا يحل منع
دخول البيت قال ودخول الكعبة مثاب عليه ففى سنن البيهقى والاوسط
من طريق عبد الله بن المومل عن ابى محيصن عن عطاء عن ابن عباس
يرفعه من دخل البيت دخل فى حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفورا
له وعد الزين الحنبلى لدخوله ادابا اكدها كف البصر واظهار
الخضوع والخشوع وداخل الكعبة كله مرخم برخام ملون مجزع قال
العلامة الفاسى اول من رخم ذلك الوليد بن عبد الملك بن مروان
فيما ذكره الازرقى وفيها ثلاث دعائم من ساج مصطفة فى وسطه
ما بين اليمين والشمال وكل دعامة منها قد سمرت عليها الواح من عود
من اسفله مقدار وقفة وداخل الكعبة وسقفها كله مكسو بكسوة على
هيئة الكسوة الخارجة فى الصنعة والكتابة مخالفة لها فى اللون فلون
الخارجة سوداء كلها والداخلة بياض فى حمرة وفيه مصابيح كبيرة معلقة
بعضها من الذهب وبعضها من البلار والابيض الصافى المكتوب
بلون لازوردى وتاملنا هذه الاشيا وان كان امعان النظر فيه سوء
ادب لما راينا انه يغتفر فى حق من اراد تحقيق الامور والله اعلم ثم نزلنا منه
مسرورين فرحين بنيل هذه البغية ولم تطل مدة فتحه بعد نزولنا لانهم
انما يفتحونه فى هذا اليوم لتعليق الكسوة الجديدة وازالة العتيقة وليس
بدخول عام بل انما يدخل القيم وامير الحاج المصرى واتباعهما المتعينين
فى ذلك ولا ينصب سلم للدخول وانما يدخل من تكلف الصعود بمعين

او خفة اعضاء وعلى الباب احد خدام الامير يمنع الناس من الدخول
الا ان الناس يكاثرونه فان منع من جانب دخلوا من الجانب الاخر وربما
يتعامى عن البعض ويحصل لكثير من الناس في ذلك المكان سوء ادب
من ضرب وشتم بالفاظ ينزه المكان عنها فالاولى عدم الدخول الا لمن
تيسر له ذلك عفوا صفوا من غير ايلام ولا ملام كما من علينا بذلك دون
كلفة ولا مشقة ولا سوء ادب هنالك لله الحمد سبحانه وبعد نزولنا من
البيت جلسنا امامه نتامل الناس وننظر ما يحصل لهم من الايناس وهم
مجدون في الطواف واحوالهم في غاية الاختلاف فمن من هو بوصاله
متبختر في طوافه يتمايل بجميع اوصاله منشد بلسان حاله

لا تنكروا حال الطواف تبختري | وتمايلي سكرا بغير شراب
قد كنت بالذكرى اهيم فكيف لا | عندا لوقوف بمربع الاحباب

ومن متعلق باستار الكعبة مردد قول من سال فيها ربه

استار بيتك امن المستجير وقد | علقتها طامعا في العفو يا باري
وقد نزلت ببيت قد امرت بان | فانيه للامن في العقبى من النار
واني جار بيت انت حافظه | فارحم جواري كما اوصيت بالجار

ومن اعتراه ركنة من ذنوبه خجله فاخذ ينشد قول الشهاب بن ابي حجله

سالتك كشف الضر في السر والجهر | بحرمة هذا البيت يا مسبل الستر
لحرمته انت العليم بقدرها | ونحن مع الاباء في عالم الذر

وتركنا الناس قائمين هنالك على اختلاف احوالهم واختلاط اقوالهم
ورجعنا الى منى ليكمل لنا بالاماني فيها المنى فكان نزولنا عند محبنا
الرجل الخير الفاضل الحاج محمد السموكي فكان كثيرا ما يبرنا ويوسع
لنا في الاكرام وينوع الارز واللحم انواعا وغالب اقامتنا ايام منى كان
في خيمته جزاه الله خيرا وفي عشية النهار ذهب بعض اصحابنا بسقايتنا
فسقاها لنا من ماء قرب مزدلفة وعلقها لنا صاحبنا ومحبنا الطالب
الالمعي الفاضل السيد سالم الصيد القهوي وبالغ في تكثير التشمير لها
جزاه الله خيرا وفي الليل اوقدت الاركاب الاشارات واظهروا ما لا يمكن
تصوره في المغرب من الشارات وكل ركب من الاركاب يعارض غيره

وتاخذه على ما بيديه صاحبه غيره ولا سيما المصرى والشامى فقد
جاوز الحد فى التسامى وكذلك ركب امير مكة المشرفه وقافلة ركب
جدة بما احدثه فى العيون وشرفه وابدوا فى المصابيح من انواع الصور
التى لا يقدر عليها من تصور فى المغرب ولا من صور واخرجوا المدافع
والمحارق واظهروا من انواع العجايب والغرايب ما لا يمكن جمعه
من اقصى المغارب والمشارق فيا ما اطيب هاتيك الليالى التى
نظمت هذه الاركاب فى لبة هذا المنزل انتظام اللآلى ويا ما اجمل
هذا الزمان الذى هو فى لبة الدهر قلادة جمان واقمنا يومنا والذى
بعده سائلين من الله تعالى ما عنده وكل يوم نرمى الجمار الثلاث على
سنتها نبتدى بالاولى التى تلى مسجد الخيف ثم الوسطى ثم ذات العقبة
وفى كل واحدة نقف جهدنا نستعطف ونسال ونستلطف وفى اثناء
هذه الايام كنت قلت ابياتا علق منها بالبال

قد عرفنا الخيرات فى عرفات ... وضمنا من سائر الآفات
وظفرنا بما اردنا وفزنا ... بعلى القصور والغرفات
وازدلفنا لربنا وجمعنا ... كل خير بجمع مزدلفات
ولدى المشعر الحرام شعرنا ... بقبول الاعمال والدعوات
وارتنا المنى منى ولدى الخيف ... امنا من سائر المخوفات
ورمينا الجمار نطفى جمار الذ ... نب فاعجب للضد فى الجمرات
وحلقنا فخلقت حولنا كم ... حلقات من اضرب الخيرات
ثم طفنا افاضة حول بيت ... الله جل سبعا من الطوفات
وركعنا خلف المقام فاحسن ... الركوع هناك والسجدات
ورجعنا الى منى لتمام الا ... منيات هنالك والنيات
منزل للحماة يجتمع الاركا ... ب طرا من سائر الساحات
قد زها وازدهى فليس له شبه ... وما ان لحسنه من موات
وتشابهت السماء مع الار ... ض لديه فى غاسق الظلمات
فالسماء بشهبها قد اضاءت ... والثرى بشموعها الزاهرات

وكانت طويلة جدا فجد السارق حسنها جدا ومن الغد استضافنا

الحاج حمودة العرياني والحاج بوعزة بن حميدة المراكشي واكرمونا بانواع
غريبة من الطعام جمعت ما لا جزاء له الا الشكر من الا نعام والانعام
ولما زالت الشمس خرجنا لرمي الجمار على الهيئة التي اشرنا اليها من الابتداء
بالاولى التي تلي مسجد الخيف ثم بالوسطى ثم ذات العقبة ومررنا
في ذهابنا للرمي وايابنا بالموضع المعد لذبح الهدايا فراينا فيه من البقر
والغنم والابل مذبوحا ما اوسع الغني والفقير ونال منه الجليل والحقير
حتى كان البعض من الفقرا ياخذ العشر من الغنم واكثر واما الجلد والسواقط
فلا يلتقطها احد قط بل رايت كثيرا من الغنم غير مسلوخ حتى رحل الناس
وبقيت لاستغناء الناس عنها ونيلهم فوق الحاجة منها وكان الفقراء
يبيعون ما اخذوه بابخس ثمن ومع ذلك فضل عنهم ما عجز الوحش والطير
والهوام وعم الخواص والعوام ضيافة الله الملك الحق الذي لا يقدر
احد على كفاية خلقه سواه فقد اجتمع من افاق الارض اصناف من الخلق
لا تكاد تحصى اغنياء وفقراء فاكل الكل من ضيافة مالكهم وتزودوا
ما قدروا وفضل من ذلك ما ملأ الطرقات والمرجو منه سبحانه بل
المحقق من كرمه تعالى كما عم وفرح بالضيافة المحسوسة التي سوت بين
الفقير والغني ايام الضيافة كذلك او اعظم يعم عبيده بالضيافة
المعنوية ويقابلهم بالمغفرة والعفو والقبول حتى يسوي بين المسيء والمحسن
ويعطي كلا من عباده فوق ما يخطر بالبال ويجبر بالستر كل عظم بال
بمنه وكرمه فما اسعدنا به تعالى من رب جواد محسن متفضل لا اله الا هو
ملك الملوك ورب الارباب وطرقت سوقا يقصر القلم دون وصفها
ولا يبلغ معشارها فضلا عن نصفها جمعت من انواع البضائع ما ليس
بضائع والناس يتزاحمون فيها على البيع والشراء ومعاطاة التجارة
رجاء بركة ذلك المكان ويحصلون ما امكن وما جاز حدا لا مكان
واكثر التجار يقولون ان من اشترى شيا من منى وجعله في تجارته وجد
بركته وظهرت له ثمرته وذلك غير مستبعد فانه موسم شريف ومحل بركة
ياتيه الناس من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ومولانا سبحانه يعمنا واياهم

فيه من امر الدين والدنيا والاخرة بغاية الانعام ومن السوق قصدنا
مسجد الخيف لنوقع الصلاة فيه ونتبرك به ونزور القبة التي في وسط
التي يقال انها محل خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يسمى مسجد الخيف
ويقال له مسجد علي قيل ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول من بناه
وصرحوا بانه موضع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في حجة
الوداع وكنت اتردد الى هذا المسجد طول اقامتنا بمنى وقد ذكروا
ان بمنى ايات كثيرة منها رفع ما تقبل من الجمار ولولا ذلك لسد ما بين
الجبلين وقد روى عن الشيخ ابي النعمان التبريزي شيخ الحرم ومفتيه
انه شاهد حصى الجمار وهي ترفع ومنها اتساعها للحجاج مع كونها
ضيقة في الاعين ومنها كون الحداة لا تخطف اللحم بمنى ايام
التشريق مع اعتيادها الخطف ومنها ان الذباب لا يقع في الطعام
بها مع عدم انفكاكه عنه ومنها قلة البعوض ايام الحج وفي الحلول
بمنى قال الشهاب ابن ابي حجلة وقد ظفر بالمنى

شكرت الهي بعد حلقي في منى ... بيوم حمدنا في صبيحته القرا
ولو ان لي في كل منبت شعرة ... لسانا يبث الحمد كان مقصرا

ولهٗ

بلغت مناي في منى من الهنا ... ولم اخش من قرع الذنوب بها اصلا
ونلت مع التقصير والحلق عفوه ... كاني بالتقصير استوجب الفضلا

وقال الصلاح وقد ظفر عند رمي الجمار بغاية الصلاح

قد رميت الشيطان في يوم حجي ... بجمار في طاعة الرحمن
وعجبت ان لم يكن قد تلظى ... وهي سبعون جمرة في العيان

وكنت قلت في ذلك لما حللت هنالك

بلغنا المنى لما بلغنا الى منى ... وزال العنا عنا فلم نعن بالعنا
وحصبت الاثام عند محصب ... وبالخيف زال الخوف عن كل من عنا

ثم رجعت الى الخيام لا وقظ من قصد القيلولة بالنوم من النيام
فالفيتهم هبوا من النوم وخرجوا باداء الواجب عن اللوم فتغدينا
وادينا من الواجبات ما ادينا وبعثنا بغلتنا لتسقي من الظماء اذا
وردت الماء وبعث لنا علفها في تلك الليلة صاحبنا ومحبنا التاجر

الفاضل المحبي بكثرة ما يحب مكارم الاخلاق سنى الافاضل ابو العباس
الحاج الشامي التازي فانه رعاه الله اكثر لها في تلك الليلة من اللطف
وزادها على المعتاد فيما سلف وبتنا في تلك الليلة في عيش رغد وبتنا
ليلة ساهرة الى الغد وبالغ اهل مصر واهل الشام في ايقاد المصابيح
واتخاذ المصانع منها وصورا لاشجار والاخبية والوحوش والطيور
واكثروا الرمي بالمدافع والبنادق والمحارق المرتفعة في الجو وفعل
مثل ذلك سلطان مكة وقابله امير حج وابدوا في المعارضات
والمقابلات وهم يتجاوبون بتلك الالات ما فيه نزهة للابصار
وحيرة للابصار وتسلية للافكار ومجال للاتعاظ والاذكار
والتبدل والانكار وبالجملة فليالي منى نزهة في اوجه الزمان ومواسم
فرح وسرور لاهل الايمان ومحال بركة وعافية وامان يتجلى فيها الحق
لوفده بصفة الجمال جزاء على رضاهم قبل ذلك بتجلي الجلال والكمال
فهناك يستصغر المرء ما قاسى في طريقه من الشدايد في جنب ما حصل له
من النعم والفوايد ومن الغد اصبح الناس متاهبين في الارتحال حاملين
الاقتاب والارحال وبقينا هنالك حتى لم يبق في ذلك المنزل بعد
عمارته وال ونفات وقت الزوال وارتحلنا متعجلين فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى اذ لم نجد من يعيننا على الاتمام
وطوفنا الجمار فرميناها على الكمال والتمام وسرنا نؤم البيت الحرام
دون تحصيب اذ لم نجد من سهمه لغرضه مصيب والخوف مانع من
ذلك لكثرة اللصوص والحرامية هنالك فتركنا البغلة في الموضع الذي
اكترينا وتوجهنا للبيت الحرام نغنم بعض ما فاتنا في المدة التي ما
اتيناه فيها ولا رايناه فان القلب ما زال يتشوق اليه من منى ويتشوق
له على قربه اذ هو المنى فالقلوب مجبولة على الميل اليه لا تكاد تصبر
ساعة عليه وهذا من خصايص هذا البيت المعظم الذي شرفه الله وعظم
فقد قال العلامة الفاسي رحمه الله في كتابه العقد الثمين وللكعبة
ايات بينات منها بقية بناء الموجود الان وهو لا يقتضي ان يبقى هذه
المدة وعدد ايات كثيرة نقلها الزين الحنبلي وغيره وعدد منها انه يحن

اليه كل احد ويعطف اليه الافئدة والقلوب دون غيره من البلاد فهو للقلوب اعظم من جذب المغناطيس للحديد وفي كل وقت لا يزال شوقه على بلاد الزمان جديد

محاسنه هيولى كل حسن ومغناطيس افئدة الرجال

قيل وسبب الشوق اليه دعاء الخليل في واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم الاية فكلما غاب الانسان عن محاسن البيت لحظه زاد اليه شوقا وقصر عليه لحظه فهو لا يزال مشوقا اليه مع القرب منه والتفرج عليه

لا يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود اليها الطرف مشتاقا

بل يشتاق القلب اليه وصاحبه به طايف رغبة فيما حواليه من اللطايف

اطوف به والنفس بعد مشوقة اليه وهل بعد الطواف تداني
والثم منه الركن اطلب بردها بقلبي من شوق ومن هيمان
فوالله ما ازداد الا صبابة ولا القلب الا كثرة الخفقان
فيا جنة المأوى ويا غاية المنى ويا منيتي من دون كل اماني
ابت غليان الشوق الا تقربا اليك فمالي في البعاد يدان
وما كان صبري عنك صد ملالة ولي شاهد من مقلتي ولساني
دعوت اصطباري عنك من بعد والبكا فلبى البكا والصبر عنك عصاني
وقد زعموا ان المحب اذا نأى سيبلى هواه بعد طول زمان
ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا دواء الهوى في الناس كل اوان
بلى انه يبلى التصبر والهوى على حاله لم يبله الملوان
وهذا محب قاده الشوق والهوى بغير زمام قايد وعنان
اتاك على بعد المزار ولو ونت مطيته جاءت به القدمان

قال الزين الحنبلي ان قيل ما الحكمة في ميل الخلق الى الكعبة الشريفة قيل انه لما خلق الله الارواح وتكاثرت عليها العلوم غشاها الماء الكوثري للراحة من تزايد تلك العلوم فكان اصل الكعبة طائفا على الماء كالخشبة تجرمت مع ذوات الارواح فكانت الارواح معها تلك النسبة من القدس وانشد

محبة ما عرفت الدهر سلوتها تجري مع الروح او تسري مع النفس

وما لها آخر لكن اولها   تعارف سابق في حضرة القدس
في عالم الذر ناجاني البشير بها   اهلا بمثنيها اطهر من الدنس
اشهى الى النفس من امن على وجل   ومن مجال الكرى في الاعين النعس

قالت ثم استمرت على القدسية لانها من عالم الريحان فلا روا ع
تشاقها لذلك   وانشد   يا كعبة ملأتنا
شوقا يسوق العزايم   كم ذا قلوب اليها   مثل الطيور حوايم

وانشد ايضا

لله بيت علا في الارض منزلة   يكاد يحمده من اجلها الافق
قد اودعت فيه اسرار الهوى فلذا   تراه يلثم اركانا ويعتنق

قال فهي تكاد تفضل الحجر لانها خرجت من الماء قبل الجنة والحجر من الجنة وانما اعني عرصتها وهواءها واما احجارها فحادثة قال وسئل بعضهم ما الحكمة في ان المشاهد للكعبة المعظمة اذا فارقها يزداد شوقا وكذلك كل مواصل اذا فارق محبوبه ازداد شوقا فاجاب بانه لما فارق صار يشاهد بالروح بعد ان كان يشاهد بالعين ومشاهدة الارواح اقوى من مشاهدة الاجرام فيقوى حبه بقدر شهوده وهذا كلام بديع في معناه دال على ان قايله قصده مولاه بالعناية وعناه فدخلت على باب السلام وبادرت للطواف في سكينة ووقار كما اشترطه علماؤنا الاعلام اذ عدوا من جملة خصايص البيت انه لا يدخله احد الا متواضع عاري الاطراف مقبل على رغبة مولاه فيما صدر منه من الاسراف اذ لا يحسن الاعراض في مثل هذا المقام والاشتغال بما لا يعني من موجبات الانتقام

يا من يطوف ببيت الله في الجسد   والجسم في بلد والروح في بلد
ماذا فعلت وماذا انت فاعله   مبهرج في التقى للواحد الصمد
ان الطواف بلا قلب ولا بصر   على الحقيقة لا يشفي من الكمد

ولذلك كرهت الاقامة في الحرمين مع اشتغال البال بغيرهما والتشوف للبلدان والاعراض عن خيرهما كما قاله الشيخ خليل في مناسكه وغيره من الائمة لان اشتياق الانسان من الحرمين وهو في بلده يثاب عليه بخلاف اقامته في الحرمين وقلبه متعلق ببلده ومشتاق اليه وقد ذكر الغزالي

فى الاحيا فى فضل الاقامة بمكة وكراهتها عن وهيب بن الورد المكى قال
كنت ذات ليلة عند الكعبة فى الحجر اصلى فسمعت كلاما بين الكعبة
والاستار يقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطايفين
حولى من تفكهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك
لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه وقيل

يطوفون بالبيت العتيق تقربا الى الله وهم اقسى قلوبا من الصخر

فالواجب على الانسان فى حالة الطواف القيام على حد الادب ولزوم
السكينة والوقار واجتلابها فى ذلك الوقت من كل حدب ويعلم انه فى عدد
من تباهى به الملايكة ويتسبب فيما يعلى له عند الله منزلة فى الجنة والاريكة
فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليباهى بالطائفين
الملايكة وكنا نكثر من الطواف مدة الاقامة رغبة فى دار المقامة
وجريا على ما اختاره ايمتنا من ان كثرة الطواف للغرباء افضل من
الصلاة كما صرح به الرازى وغيره فى تفسير قوله تعالى وطهر بيتى
للطائفين والعاكفين والركع السجود قال فى هذه الاية دلالة على
ان الطواف للغرباء افضل والصلاة للمقيمين افضل وانشد الزين
الحنباوى للشريف موسى الخطاب

ظفرت من الطواف ببيت ربى باوقات لها فى القلب حظوه
فمن لى بالخلاص ولو بشوط ومن لى بالقبول ولو بخطوه

وكنت اطوف عند نزول المطر رغبة فى نيل الوطر وجمعا للبركات
فى تلك الحركات فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم من طاف اسبوعا فى
المطر غفر له ما سلف من ذنوبه وعند نزول المطر فى حالة المطاف
كنت كثيرا ما اقرا القران رغبة لما فيه من خفى الالطاف ولجمع البركات
المنصوص عليها فى كتاب الله تعالى الدانى القطاف فقد قال العلامة
المحدث الرحلة ابو عبد الله ابن رشيد الفهرى رحمه الله تعالى فى رحلته يستحب
تلاوة القران فى الطواف عند نزول المطر لما يرجى من اجتماع البركات
التى وردت فى الايات الثلاث وهى قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس
للذى ببكة مباركا وقوله كتاب انزلناه مبارك وقوله وانزلنا من السماء مباركا ماء

م٢

ومع ذلك استشعر الذلة والصغار ولا انظر في تلك الحضرة العظيمة
كبيرا ولا كابرا فيها كلهم صغار

وبحن الموالي في البلاد جميعها   وفي حي ليلى من اقل عبيدها

وكنا اذا اشتد الحر وحمى الوطيس وجد مللنا الاكثار من تقبيل الحجر الذي
قصر الله تعالى الحسن عليه وحجر فان لتقبيله فضايل اثبتها الاواخر
والاوايل واعظمها انه يكفر خطايا من يلتمسه ويشهد له يوم القيمة
كما وردت الاحاديث صريحة في ذلك في الامهات الحديثية كصحيح ابن حبان والترمذي
وغيرهما اقول وقد زوحمت عن لثم اسود   من الركن يحجب فما البيت يحجب
فانك مني بالمحل الذي به   محل سواد العين وانت اقرب

وقال الصلاح

الى سيد الاحجار في الحرم الذي   قضى الخالق الباري بتعظيم شانه
حششنا مطايا الشوق والسوق في الفلا   فجاءت بنا انسان عين زمانه

وقال ايضا تقبيل ذاك الحجر الاسود   يصدعني حر قلبي الصدي
في الكعبة الغراء خال من الند على صفحة خد ندي

وقال ايضا وقد فاضت عليه بحار المعاني فيضا فاستطرد بعض
علاماته واياته ونشر على الادباء بذلك راياته وصدر بذكر
الكعبة وجمالها وما حازت بتسويد الكسوة من كمالها

اذا لاحت لنا ذات الستور   فاهون بالشموس وبالبدور
لان جمالها في العين احلا   واعلق بالقلوب وبالصدور
سواد ستورها يحكي سناها   كليل زين بالشعرى العبور
وما للصب ان وافى حماها   سوى حسن التادب من ظهير
وتعفير الخدود على ثراها   واسبال الدموع على النحور
وادمان الخضوع بلا ملال   بقلب من خطاياه كسير
وتكرار التملي بالتجلي   ليرجع وهو ذو نصر جسير
الم تر خالها المسود اضحى   يفوق على الصباح المستطير
تقبله الطوائف طافات   فيا شرف المباسم والثغور
تكون درة بيضاء لكن   تسود من ذنوب اولى القصور

فيا ويح القرامطة الذين استطالوا بالعتو وبالفجور
لقد نقلوه عدوانا وظلما الى هجر وجدوا في المسير
اتوا امرا عظيما فاستحلوا بذلك حرمة الامر الخطير
تغرب عندهم عشرين عاما ثلث عامين من بعد الكسور
ولكن المطيع شراه منهم بخمسين الف دينار نضير
وجاء باخذه ابن حكيم وكان بامره عين البصير
ومن خبث ومكر شبهوه باخر فعل بهتان وزور
وجاءوا العبير يضوع منه وقد لفوه في خرق الحرير
فردوه الى ان كان حقا واوضح ذاك بالعلم الضروري
وقال لنا امايرفيه جاءت روينها باسناد شهير
علامته على الامواه يطفو ولا ينشط من نار السعير
ويحكى ان اجمالا ثلاثا تنحى عنه تحت المرور
وحين اعيد جاء على بعير ضعيف طاب هذا من بعير
اقبله لعل تحى يدى في مكانا فاز بالهادى البشير
محمد الذي ساد البرايا واخجل طلعة القمر المنير
تقدم انبياء الله طرا وان يك جاء في الزمن الاخير
فكل في السيادة متباعا ولكن فاق فتر عن مسير
وجاء بشرعه عمت وطمت اياديها بتضعيف الاجور
فراح فقير امته يساوى بفضل البر اصحاب الدثور
ونال المومنون علو مجد واهل الكفر خصوا بالدحور

وذكر ابو عبيد البكري في كتابه المسالك والممالك ان الله عز وجل رمى القرمطي بعلة في جسده فطال عذابه حتى تقطعت اوصاله واراه الله عز وجل في نفسه عبرة ومن فضايل الحجر الاسود ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبله فاضت عيناه وقال ههنا تسكب العبرات يا عمر ليس معناه كما تفهم وانما معناه ان الحجر يمين الله في الارض وضع لمبايعة الخلق مع الله تعالى فمن بايعه مبايعة صحيحة كان شاهدا له يوم القيمة فهو كالشجرة في مبايعتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو افضل من الحجر بالاجماع لانه افضل

نعم

عالم الحضرة القدسية فضلا عن الكونية فلما قبله النبي صلى الله عليه وسلم بذل
العبودية وقال ههنا تسكب العبرات اى عبرات ذل العبودية حتى تخضع
لمن دونها   وضعت خدى لادنى من لطيفكم   وضع احتقار وما مثلى بحتقر
ومثله   لاتدعنى الا بيا عبدها   فانه اشرف اسمائى
فلهذا فهمها عمر فقال عند تقبيله انى اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع
ولولا انى رايت محمدا يقبلك لما قبلتك
في الحجر الاسود كم اودعت   اسرار انس من علوم الغيوب
تزدحم الافواه في لثمه   كانما تلقط قوت القلوب
وفي معناه   للحجر الاسود كم لاثم   وساجد مترع فيه الجباه
تزدحم للافواه في ورده   كانه ينبع ماء الحياه
وفي معناه   للحجر الاسود سر خفا   وقد بدا للعين عنه شهود
عليه قد ضمت قلوب الورى   لانه اسود قلب الوجود
قال الزين الحنبلى والحكمة في تسويده دون غيره العهد الذى فيه
والميثاق وهى الفطرة التى فطر الناس عليها وكل مولود يولد على الفطرة
وابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه فقلبه الذى كان ابيض وهو
على العهد والميثاق الذى فطره الله عليه اسود بالشرك فناسب سواد
الحجر ذلك فان قيل لم لا يبيضه توحيد اهل الايمان قيل انه لو
بيضته حسنات المومنين لبقى على اصله ولم يتحمل عنا خطايانا ولم يكن له
فضل علينا بالتحمل ولا منة ودفع المفاسد عنا اقوى من جلب المصالح له
اذ لا حاجة له بمنتنا لانه لما كان الله تعالى منزها عن الجارحة نزل
الحجر الاسود منزلة يمينه وصار استلامه كتقبيل يد الملك المنعم بالقرب
منه وقد قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا الاية قلت واصل
هذا الكلام الاخير للشيخ ابى المودة خليل في مناسكه واوما اليه جماعات
كما سبق ايماء اليه وقيل ان السواد صار كالحجاب فالسواد يصبغ ولا
ينصبغ والبياض ينصبغ ولا يصبغ وبقاء سواده فيه اشارة الى العلم
بان الخطايا اذا كان لها هذا التاثير في مثل هذا الحجر خصوصا وهو ليس
من احجار هذه الدنيا فتاثيرها في القلوب اعظم ويشهد لذلك قوله

تعالى كلا بل ران على قلوبهم الاية واحاديث في معناها مذكورة في التفاسير
اوردها السيوطي وغيره والله اعلم واذا تمتعت من الحجر الاسود
بالتقبيل ملت الى الركن والمقام في اوضح سبيل لاغتنم بعض اجور
ذلك اذا وقفت هنالك فقد خرج ايمة الحديث رضي الله عنهم عن
مجاهد مرفوعا ياتي الركن والمقام يوم القيمة كل منهما مثل ابي قبيس يشهد ان
لمن وافاهما بالموافاة الشهاب ابن ابي حجله

ياسايلي عن مقامي بالمقام عسى حلوت كاس مدام عند مغتبق
لله يوم به امسيت ارمقه لم ينق في ولا فيه سوى الرمق

واميل الى الحجر فيتحجر على محاسنه مني اللب والحجر واشرع املا من
الصلاة فيه الاكمام والحجر ولم لا افعل ذلك وغفران الذنوب
مضمون بالصلاة هنالك فقد خرج ايمة الحديث رضي الله عنهم
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لابي هريرة يا ابا هريرة ان على باب الحجر ملكا يقول لمن دخل فصلى ركعتين
مغفورا لك فامض فاستانف العمل

طوبى في طواف الله لي منه لذة اذا نشرت بشرت عمري باليسر
وكم حسنات فاض في الحجر درها وسال بها الميزاب حتى امتلا حجري

وكم مرة ملات حجري بماء الميزاب حول الحجر وتلقيته بالفم والاكف والحجر
وربما حدا بي حادي الشوق وزمزم الى التضلع من شرب ماء زمزم فانه
الماء الشريف الغني بمزاياه الشهيرة عن التعريف وقد ذكروا لبير زمزم
فضايل عديده ومآثر مديده مروية عن النبي عليه الصلاة والسلام مجربة
بين الاسلام فمن ذلك ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم خير ماء على وجه الارض
ماء زمزم اخرجه ابن حبان والطبراني وغيرهما ومنها ما ورد عن ابن عباس
رضي الله عنهما مرفوعا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتحف الرجل
بتحفة سقاه من ماء زمزم ومنها ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ماء
زمزم لما شرب له وانشد الزين الحنبلي لبعض الادباء

وليل ببطحاء الحمى قد غنمته وطائر انسي بالهنا قد ترنما
وطاف بكاسات الاماني ودنها فطيب عيشي في المقام وزمزما

وانشد

وانشد غنمنا عند بيت الله عيشا وقمنا في مقام هنا امين
ودار بماء زمزم لي نديم وطاف لنا بكاس من معين
وانشد لزمزم نفع في المزاج وقوة يزيد على ماء الشباب لذي فتك
وزمزم فاقت كل ماء بطيبها ولو ان ماء النيل يجري على المسك

وروى بعضهم انها تقوم مقام الطعام والشفاء ولذلك قال بعض من صدق له بها الاستشفاء

شفيت يا زمزم داء السقيم وانت اصفى ما تعاطى النديم
وكم رضيع لك اشواقه اليك بعد الشيب شوق العظيم

وقال بعض من اطراها واكثر ان ماءها يفضل ماء الكوثر ولذا قال من سوى بينهما في المقال

يا زمزم الطيبة المخبر يا من علت قدرا على المشترى
رضيع اخلاقك لا ينتهي فطامه الا لدى الكوثر

وقد ذكروا لزمزم اسماء تنيف على خمس وعشرين نبه عليها الزين الحنبلي واوما الى بعضها التقي الفاسي وغيره وكل من شرب منه اشتاق له ولم يستغن عنه بالله قولوا لنيل مصر باننى عنه في غناء

بزمزم العذب عند بيت محقق الستر بالوفاء

وعدد الزين الحنبلي وغيره لبئر زمزم ايات بينات غنية عن اقامة الحجج واثبات البينات منها ان ماءها يقوم مقام القوت ولذلك عدوه طعاما وعليه بنى جماعة من علماء المذاهب فمنعوا الوضوء به والاستنجاء وغير ذلك مما يؤدي لاستعماله في القذرات كما صرح به في امهات الفروع ومنها انه لما شرب له كما وردت بذلك الاحاديث الصحيحة فمن شربه ناويا به مطلبا من المطالب فانه ينال على كل حال ذلك الامر الذي هو له طالب ومنها ان الله خصه بالملوحة ليكون الباعث عليه الملح الايماني ولو جعله عذبا لغلب الطبع البشري ولهذا يرد على ابي العلاء قوله لك الحمد امواه البلاد باسرها عذاب وخصت بالملوحة زمزم ومنها ان ماءها يعظم في الموسم ويكثر جدا كما هو مشاهد بالعيان ومنها ان المياه العذبة ترفع قبل يوم القيمة غير زمزم انتهى ابن ابي حجلة

لزمزم بئر عذا ماؤه   ببرده يطفى حر الاوام
تزدحم الناس على شربه   والمنهل العذب كثير الزحام

وقال غيره وقد فاض عليه من زمزم خيره

حمدت الهي اذ بلغت مرادى   بام القرى مستمسكا بمهاد
وقد رويت من ماء زمزم غلتى   فلست بمحتاج لماء ثماد

وربما اشتد حرا لقيلوله فعمت الشمس جوانب البيت وطلوله وحمى الوطيس فى المطاف فعسر الطاف فاميل الى ساطين السقايف المحيطة بالبيت المشرف واخذ فى تامل ذلك الجمال الذى عظمه مولاه وشرف لو حصل ما اعد الله للناظر الى الكعبة من جزيل الثواب على النظر الى بديع ذلك المنظر فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال النظر الى الكعبة عبادة وفى رواية انه كعبادة العباد وانه افضل من الصوم والصلاة والجهاد وورد ايضا ان الناظر الى الكعبة كالمجتهد فى العبادة فى غير مكة من البلاد وروى انه يعدل عبادة سنة وروى ان من نظر الى الكعبة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تفتح ابواب السماء وتستجاب دعوة المسلم عند رؤية الكعبة

تمتعوا واجتلوا من كعبة الله منظرا   فما لفوات منه فى الدهر تعويض
وقد لبست سود اللباس تواضعا   وكل ليالينا بانوارها بيض

لو لا حصل هذا الاجر الجزيل ولم يقدر على ان يمنع منه مانع ولو نزل عنه مزيل بل ورد فيه اكثر من ذلك يبنغى ان لا نتركه وراء فذلك فقد ورد عن عطاء بن رباح رضى الله عنه قال سمعت ابن عباس رضى الله عنه يقول النظر الى الكعبة محض الايمان وعنه ايضا النظر الى البيت عبادة والناظر الى البيت بمنزلة الصايم القايم الدايم المخبت المجاهد فى سبيل الله تعالى وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه يرفعه من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا خرج من الخطايا كيوم ولدته امه ولله در القايل

يا كعبة الله ان ربى   آياته فيك بينات
وحيث ما كنت يا مناى   فلى الى وجهك التفات

لم

لم لا اميل الى ذلك الوجه الحسن وقد طالما فارقته عيني شوقا اليه الاسن
ولم لا اتمتع بالنظر اليه وجميع الخطايا تعوض بجزيل العطايا عند الورود
عليه محل الامن والامان ونزهة اهل الاسلام والايمان

رجوعا الى المولى فهذا زمانه وطرحا على الابواب هذا مكانه
وطف حول بيت الله للعفو راجيا وتب واسال الغفران هذا اوانه
فمن جاء هذا البيت يرجو قبوله ومن خاف مكروها ففيه امانه
اما انه بيت الكريم ومن اتى فناء كريم لم يفته حنانه

نعم هو بيت الكريم الذي اختص بني ادم بالتكريم ونصبه لهم رفعا
لمقدارهم اذا اجزموا بالتوجه اليه وتركوا خفض عيشهم في دارهم
وفضله على جميع البقاع عدا البقعة التي ضمت اعضاء الرسول
عليه السلام فهي بالاجماع اشرف من كل قاع وقد ذكر الامام ابن جماعة
لتفضيل البيت على مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام وجوها كثيرة تنيف
على اثني عشر وارجحها وجوب قصده للحج والعمرة دون المدينة النبوية
وايدوا ذلك بما ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عاد الى مكة استقبل
الكعبة وقال انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الي ولولا اني
اخرجت منك ما خرجت فقد صححه جماعة من ائمة الحديث واقول انه
لا يعين الافضلية على المدينة لما روي من فضلها وشرفها ايضا بسكناه
عليه الصلاة والسلام لا يقال ان ظاهر الحديث العموم فيشمل
المدينة وغيرها لانا نقول ورود الاحاديث في فضل المدينة ايضا
صريح في افضليتها وعدم التصريح باستثنائها في هذا الحديث يمكن
ان يكون النبي عليه السلام تجنبه تواضعا منه وتعليما للامة بوجوه الادب
لان افضلية المدينة انما هو بسكناه عليه السلام فيها وبسط الاشكال
والجواب عنه لا يخفى عمن له ادنى مسكة بالعلم مع الاطلاع على بعض
ما شرف الله به نبيه وليس هذا محل بسطه وانشد ابن الحنبلي عقب
ما خاطب به الرسول البيت قول الشاعر

هذي الديار التي قلب المحب به شوق اليها وتذكار واشجان
وانة وحنين كلما ذكرت ولوعة وشجى منه واحزان

وصرحوا بان من وجوه افضلية الكعبة كونها في الفلك في المتوسط من الدنيا
ووسط كل شي احسنه وانشدوا

لو لم يكن وسط الاشياء احسنها ما اختارت الشمس في افلاكها الوسطا

واقول انهم اذا ارادوا بالتوسط انه نقطة الدنيا وانها مستوية
في جميع جوانبه ففيه نظر غير خاف عن العارف بامور التعديل كما هو مبسوط
مقرر في محله وذكروا لمكة اسماء عديدة يكل دونها الحصر فيا ما احلا النظر
في ذلك البيت الشريف ويا ما اجلى جمال تلك الكسوة السوداء الحايزة
بسوادها غاية التشريف ويا ما احسن الحالة التي يجددون فيها له
الكسوه ويا ما اسعد من حصل له فيها بمصطفاه اسوه

يا حسن بيت الله وهو مجرد ولنا الهيبة نوره اطراق
فكسوه اسود والقلوب تودلو ضمت عليه سوادها الاحداق

ويا ما احسن الطوايف التي تكون عليها طوايف

كعبتنا قد اصبحت بنورها مخلقه تهب من اركانها رياح عشق عبقه
فصيرت قلوبنا بالوجد كالمطوقه وغادرت ارواحنا بعرشها معلقه
مليكة بجوهر الله كرغدت ممنطقه والطايفون حولها جنود تلك الحلقه

ويا ما اكثر امنه للخايف اذا كان بنواحيه خير طايف

حمانا من مخوف الدهر بيت له بالذكر اركان وسقف
محوط بالسرور وبالتهاني عليه البشر والاقبال وقف
نزلنا في فناء منه رحب به للامال ليس يحق خلف
فارشفنا من الرضوان ماء يزيد على المراطيبا ويصفو
والبسنا من الاكرام ثوبا له بالامن والاسعاف سجف
يصد عدونا الشيطان عنا ويتحفنا ملايكة تحف

ويا ما امنع حما بيت لا يعلوه الحمام وانما يطير في جوانبه خلف وامام
ويا ما اذهب الورود من سقاية العباس لكل باس ويا ما اشد
فوز الوافدين على البيت الحرام بغاية المرام ويا ما اشوقني الى هذه
الاماكن وانا بينها متردد وفيها كامن ويا ما انشدني للاشعار
اذا حدا اليها حادله بالادب اشعار فاقول له اذا لاحت محاسن

الكعبة التي جلبت قلوب البشر واطمان الفواد بالاقبال عليها واستبشر

ياسائقا عنق النياق وزمزما … ابشر فقد جئت المقام وزمزما
كم كنت تذكر في منازل مكة … وتقول ان بها المنى والمغنما
برد بماء سقاية العباس ما … كابدته طول الطريق من الظما
وانهض فهرول بين مكة والصفا … وادخل الى الحجر الشريف مسلما
ومقام ابرهيم زره مبادرا … والحجر اسمعيل صل معظما
وانظر عروس البيت يجلي حسنها … للناظرين فلذ بها مستغنما
فهي التي ظهرت فضائلها فلا … تخفى وهل يخفى سنا قمر السما
ومن العجايب انها محروسة … والصيد فيها لا يزال محرما
والطير لا يعلو على اركانها … الا ليشفى ان غدا متسلما
تختال في حلل السواد وبابها … بالنور دام مبرقعا وملثما
هي كعبة المولى الكريم وكل من … وافى اليها حقه ان يكرما
ما منهم الا ذليل خاضع … باك على زلاته متندما
يارب قد وقفت ببابك عصبة … يرجون منك تفضلا وتكرما
ذا طالب فضلا وذا متفضل … مما جناه من الذنوب وقدما
فاقبلهم وانلهم منك الرضى … وتجاوز اللهم عمن اجرما

لم لا تغفر الذنوب بهذا الحرم وهو منهل الجود والكرم ضمن الله تعالى كل من حله قاصده وبلغه مقاصده فقد خرج ايمة الحديث عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا البيت دعامة الاسلام ومن خرج يؤم هذا البيت من حاج او معتمر كان مضمونا على الله عز وجل ان قبضه ان يدخل الجنة وان رده ان يرده باجر وغنيمة وقد سبق في المقدمة الاولى من هذا المعنى ما اقنى واغنى هذا غالب ما كنا نصنعه غالب مدة الاقامة في هذا البيت الذي اسسه الله تعالى على التقوى واقامه وبعد رجوعنا من منى اقمنا يومين وخرجنا للعمرة واحرمنا لها من التنعيم لتعذر الجعرانة من كثرة الخوف وقلة الرفيق واتيناها ليلا لكثرة ما كان من الحر ومع ذلك بانت الطريق من مكة الى التنعيم كانها سوق واحدة ولما وصلنا الى موضع الاحرام اغتسلنا وصلينا ركعتين

في ذلك المسجد الذي يعبر عنه الحجاج بالعمرة وهو التنعيم وتوجهنا الى
مكة رافعين الاصوات بالتلبية حتى وصلنا الى المسجد الحرام فطفنا
وسعينا وحلقنا وتمت عمرتنا ولله الحمد سبحانه لا رب غيره بعد نحو
النصف من الليل وبقينا طول مدة اقامتنا ونحن نكثر الطواف والنظر
الى الكعبة المنورة ونتمتع بالنظر الى جمالها الاسنى وبهجتها الحسنى
ونتضلع بالشرب من ماء زمزم بل كنا لا نشرب غيره اصلا رغبة في حصول
بعض فوائده ونلازم على جميع ما اشرنا اليه من انواع العبادات من
الصلاة وغيرها بل كنا نحافظ على ايقاع الفرايض كلها بل وغالب
النوافل ايضا في البيت ولله الحمد لا رب غيره ولقينا هنالك
صاحبنا الفقيه العلامة المشارك الحافظ الدراك ابا عبد الله محمد بن
عبد الله الفيلالي وولده الاديب ابا عبد الله السيد محمد جاء بنية الحج
والعمرة من المدينة المنورة فهش لملاقاتنا وبش واكرمنا اكراما
زايدا وكان يتفقدنا ويتعهدنا بالطعام وغيره مع كونه لا اهل له
بمكة جزاه الله خيرا وكنا نجول معه في مسايل متنوعة من الفنون العلمية
نحوا وفقها وبيانا وحديثا وغير ذلك والفيت معه جماعة من
طلبة الهند فاخذ يثني لهم علينا ويبالغ في الثناء بالسعة في العلوم
لانصافه واراد به نفعنا وان كنا لسنا اهلا لما قال جزاه الله خيرا وسالني
ان اقرئهم طرفا من تفسير البيضاوي فتعللت له باني لست بتلك
المثابة وباني لا كتب لي ولا حواشي استعين بها على ذلك وانه
لا يصلح ان نتقدم عليه لشهرته هنالك ومعرفة الناس به فابى ان
يقبل ذلك وما زاد الا اقراءه وما قصده الا انتفاعنا فقط فساعفناه
بذلك في تلك الايام التي انقضت كالاحلام وكان يحضر هو وولده
وناس كثيرون وذلك كان لنا سببا في نيل مقتضياتنا الدنيوية دون
كلفة فلطف الله ما اراد وان لم اكن قبل فهمت ذلك المراد وطالع جملة وافرة
من كتابنا شرح نظم الفصيح فاعجب به اعجابا كثيرا واستغرب فوايده
وكتب لنا عليه نحوا من خمس اوراق بالغ فيها بالثناء عليه وعلى مولفه
بكلام حسن وراق غير ان ما كتب الي ضاع لي مع غيره من الاوراق

وكثيرا

91

وكثيرا ما عز علي ولقيت ايضا بمكة رجلا مسنا اعجمي سماه لنا اصحابه بالشيخ محمد الاسكندراني ورد علينا مرارا واختبرناه فاذا هو رجل شاب فشبت خصلتاه وعمي قلبه لما عميت مقلتاه طال امله واشتد حرصه ونقص كماله وكمل نقصه اذا تكلم ملأ الدنيا دعوى واطال بلا طايل ولا جدوى يفخر بالذهاب للملوك للارفاد ولا يصرف الهمة لمن افاد ولا لمن استفاد يكثر النظم في الرجز دون غيره من البحور ويستحضر جملة وافرة من السير والحديث على ما بها من القصور ومع ذلك عنده كثير الجدل والعناد شديد الغلظة والغلط على العباد يزعم انه وانه وما علم ان امثاله جديرون ان يثنوا انه بعد انه ومولانا سبحانه يجبر كسرنا وكسره ويطلق من هاتيك الدعاوي العريضة الكاذبة أسره ولقيت من علمائها الشيخ محمد بن محمد قاضي زاده الانصاري الشهير بالقاضي عيد ورد علينا اولا ودعانا الى داره فاسعفناه رغبة في ادخال السرور عليه واغتناما لدعوته لانه رجل طعن في السن جدا ينيا هز المائة مع تعلقه باسباب العلم وتمسكه باذيال الحلم وخضنا معه في مسايل علمية متنوعة الى عربية وحديث وادب وغير ذلك وقد شاهدنا من احواله سمة الصلاح لما راينا من اكثاره للذكر واعلانه بالحمد والشكر وذكر لنا انه من ذرية ابي ايوب الانصاري خالد بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لقب القاضي عيد لانه ولد يوم عيد الفطر واطلعنا على مولفات له بديعة في فقه الحنفية منها جواهر المتحلى على منية المصلي تاليف سديد الدين الكاشغري وهو تاليف جامع لجميع ما يتعلق بالصلاة على مذهب النعمان مستوعب لفروعها واصولها وقد تتبعه القاضي عيد بالشرح وجمع فيه مجلدين كبيرين ثم اختصره في مجلد كبير سماه حلية المتحلي ومنها تلخيص الحقايق في شرح كنز الدقايق ومنها حسن السلوك على تحفة الملوك ومنها الاحرا في احكام الخلع والابرا ومنها تاليف في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومنها آخر في المعراج ومنها اخر في فضايل شعبان ومنها الفيض الصمداني في شرح الكيداني وهو تاليف في احكام

الصلاة خاصة على مذهب النعمان ومنها نحو العشرة مؤلفات في المناسك الحنفية من مائة كراسة الى عشرة كراريس وطلب منا ان نكتب له على بعضها تقصدا للتبرك لحسن نيته واخلاص طويته فاسعفناه بذلك وان لم نكن اهلا لسلوك تلك المسالك جبرا لخاطره واستدامة لمودته ودعائه واحضر لنا ولديه الشيخ حنيف الدين والشيخ زين العابدين وكلاهما له معرفة وحسن خلق والاول هو النايب عن والده في التدريس بالحرم الشريف ورأينا الشيخ ابا العباس احمد بن حجر مدرس قبة الشمع من الحرم وهو رجل لا باس به له معرفة بالحديث كاسلافه رحمهم الله ورأينا الرجل المسن الصالح الشيخ جعفر الفايض بكرم اخلاقه على التجار وهو جعفر ذهبت اليه الى داره بناحية باب العمرة احد ابواب الحرم الشريف فالفيته في سن عالية وله اخلاق كريمة واسعة وحسن ملاقاه فاكثر من الترحيب بنا واظهر من التواضع ما يرفعه الله به وخاطبني مخاطبات لطيفة حسنة وله مكاشفات ومعرفة تامة ووجهه ظاهر البشر والطلاقة وحسن خطاباته كمل اخلاقه وسالناه الدعاء لنا ولاحبابنا ومعارفنا شرقا وغربا فبالغ في الدعاء لجميعهم تقبل الله منه ورأينا الشيخ ابا محمد عبد القادر بن يحيى الحنفي اليمني احد خطباء الحرم وايمته وهو رجل له اخلاق حسنة وسمت حسن مع حسن خطابته ولطافتها وفصاحة لسانه ورقة صوته وتودده وكان يبدي خطبا محبرة جامعة لا باس بها مع اتقان الحفظ ومراعاة المعنى واللفظ ورأينا غير هولاء ممن لم نعرف اسماءهم ولم نشرب ماءهم وفي اثناء هذه الايام ورد علينا سوال قال فيه السايل ما يقول مولانا الامام العلم الهمام شيخ مشايخ الاسلام وحامل شرعة النبي عليه الصلاة والسلام استاذ علماء المغرب وشيخ ايمة المشرق ومحلي بفرائد فوائده في جميع الافاق كل مفرق صاحب العلم الذي طبق الكلا والمفاصل والفتاوى التي حكمها بين الحق والباطل فاصل والتآليف التي وصفها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل مولانا شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن الطيب

المغربي

المغربي الرحلة الواصل ابقى الله بركته واسعد سكونه وحركته
في مسئلة الشرب من الميزاب فانه من الذهب فما تقتضيه قواعدكم التي
مال اليها رايكم السديد وذهب فقد اشكل علينا ذلك ولم ندر
ما نسلكه فيه من المسالك فحققوا النافية القول وبينوه واوضحوه وعينوه
من كان يسال ربه امنية فالله اسئل ان يديم لك البقا
والسلام عايد على سيادة مولونا ورحمة الله وبركاته وكنت
اجبته جوابا يناسب سواله في بلوغة الاسجاع ويشفي بلا غنه
ما تحدثه ادواء الجهالة من الاوجاع ولكن سرق الجواب في الرحله
وبقي السوال في بطاقة محفوظة في الجيب لانه كان عندنا من نفس
نخله وحاصل ما تضمنه الجواب ان الميزاب تجاذبه امران الجواز
بالنسبة لتعظيم البيت وتجميله اذ ذلك هو المراد منه ولم يقصد الانتفا ع
به في شي من الاشياء والحرمة بالنسبة لكونه ذهبا واستعماله حرام
على ذكور هذه الامة كما هو مقرر في امهات الفروع ثم ملنا الى جواز
مناولة الماء منه لما راينا من استسهال ذلك وخفته اما اولا فانه
ليس آنية معدة للاستعمال وليس له وجه ينتفع الانسان به منه
وانما هو بمثابة الخشبة التي تجعل على السقوف ينحدر منها ماء المطر
لئلا يضر بالسقوف واما ثانيا فانه قصد منه تعظيم البيت وتجميله
لا الانتفاع به والانفاق في شي من الاشياء واما ثالثا فان الماء لا يتناول
منه للفم وانما يصب على ايدي الناس وفي ثيابهم ويجمعونه في ايديهم
ويشربونه بعد ذلك وبالجملة فالامر فيه خفيف ثم رايت بعد ذلك
مثل ما قلناه للزين الحنبلي غير انه ذكر الخلاف كانه مقرر لانه قال
واختلفوا في الشرب من الميزاب فحمدت الله تعالى على ذلك وشكرته وورد
سوال اخر يتضمن استشكال اقتداء المالكي بالحنفي الذي يصلي في داخل
الحجر في المغرب لانا ولمن يصليها في الحرم واختلف في ذلك راي المالكية
الذين هنالك فجلست طائفة بلا صلاة وصلت طائفة بنية النفل
وشفعتها بعد سلام الامام وصلت طائفة اخرى مع امام الحنفية مقتصرة
على تلك الصلاة واطال في تقرير الاشكال وكنت اجبته بصحة تلك

الصلاة وانه لا ينبغي التاخير عنها الى غيرها ولا اعادتها وان الاقتداء
بالمخالف في الفروع جائز اتفاقا بل قال المازرى انه جائز اجماعا وهو
الذى تقتضيه الفروع والاصول لانه يرى جواز الصلاة في الحجر مطلقا
واطلت في تقرير الجواب مؤيدا بنصوص المذهب لولا انه سرق وذهب
ثم بعد ذلك وقفت على استشكال ذلك بين علماء مكة من قديم حتى وقع
في النازلة خبط كبير والف فيها ابو سالم رضي الله عنه رسالة سماها رفع
الحجر عن الاقتداء بامام الحجر وقد اوضح فيها القول وابدى من
النصوص ما يشهد له بالطول والطول وحصل فيها اربعة اقوال
اشهرها الجواز مطلقا كما هو المشهور والمبدا ولعلى ما في مختصر ابن الحاجب
وخليل وغيرهما وحكى عليه المازرى الاجماع كما اشرنا اليه وقال ان
الاقوال الثلاثة الاخر كلها تقتضي الجواز في هذه النازلة ايضا
وصرح بان الصلاة صحيحة على الاقوال الاربعة فليراجعه من رام
الوقوف عليه ولما راينا ذلك حمدنا الله اذ وفقنا لما وفق ابا سالم اليه
ووقعت امور ونوازل غيره لا نستحضرها مستوفاة وقد ظفرت
في هذه الديار المعظمة المشرفة والاماكن التي عظم الله قدرها وشرفه
بالرسالة التي قيدها الشيخ البكرى فاسحرت لبي وحيرت فكرى وهو
الشيخ محمد بن الشيخ زين العابدين احد علماء الاسلام وكبراء افاضل
المهتدين الهادين والشيخ زين العابدين هو احد اشياخ الامام ابي سالم
المتحلى بعرض مصون وعرض من الشوائب سالم وهذه الرسالة ذكر فيها
منازل الحاج الحجازية ومناهله وسق من بحار الاداب الفايضة علله
بعد ما كانت ناهله وابدى فيها من الفصاحة والبلاغة ما لا يستطيع بليغ
وصوله ولا بلاغة ووشح معاطف نثرها البليغ بمطارف اشعار
دالة على الاشعار التام والتبليغ وحقق ما في كل مرحلة من الساعات
والادراج والدقايق ودقق ما يتعلق باحوال كل مرحلة من الحقايق
وقد اثنى عليها الامام ابو سالم بما هي جديرة به من الثناء ووصف سجاعها
ونظامها بما يوجب الالتفات اليها والانتشاء ولما رايته اثبت في رحلته
منها ما جعله في اذنها شنفا وصرح بان كلامه لا يعد بالنسبة لكلام الشيخ

البكري صنفا وفرق ما اثبته على المراحل ولم يات به على نسق واحد وهو راحل
رايت ان اثبت منها ذلك القدر واختلف على اخذ فيها لا رتضاع ما
فيها من خالص الدر واقل هذه الرحلة من حلى بداعتها بفرايد الدرر ولم
امل الى افتراقها على مراحل البنادر كما فعل ابو سالم بل جئت بها على نسق
من شوب التفريق سالم لاني رايت ذلك الغى لرونقها البديع واغض
في الاذواق من تفريق نثرها المزرى بحرير الحريرى وابداع البديع
فان الافتراق غير راق وتخلط الكلام غير خال من ملام واذا
كان ابو سالم لم يعد كلامه منه صنفا وجعله في اذن رحلته شنفا
وابدى ما هو جدير به من الاوصاف ولم يشح انفا فاني لكلامي ان
يمزج بذلك الدر النفيس وهو ابعد منه وانقى وقد اقتصرت من
تلك الرسالة على ما اثبته ابو سالم واعرضت عن باقيها لانه من مجال
النظر غير سالم قال الشيخ محمد البكرى فاول المنازل البركة المباركه
التي توحدت في مشارق انوارها ومشارع شوارع اقطارها عن المشاركه
وقصرت عن اوصاف محاسنها ذووا اللسن وجمعت بين الماء والخضرة
وقدوم الوجه الحسن فهي مخضرة الاكناف بديعة الاوصاف قد
صدحت اطيارها وتفتحت بالنسايم ازهارها وبها الخيام منصوبه
ومرفوعه والخيرات لا مقطوعة ولا ممنوعه مع وقوف اشايرها على
الاقدام يستدل بضوئها في الليل من له على القدوم اقدام كانها في جنح
الليل نجم الثريا اذا اقترنت بالنثره او الاكليل اذا قارن الزهره وبها
سوق يساق اليه بدايع البضايع التي يحتاج اليها المسافر في اكثر الوقايع
ما قصد نحوه قاصد الا وعاد منه موصولا بالصلة والعايد وكان هنا
النعيم المقيم مسامرنا ومسايرنا في الذهاب والاياب الى ان رجعنا الى
بركة الحاج ثانيا ولاقينا الاحباب قال الشاعر
في بركة الحج ترى نخلاتها لكن عجب زبرجدا يحكي وما ثماره الا ذهب
فيها نسيم رايق بلطفه يشفي الوصب والطير فوق مائها يشدو بانواع الطرب
افيانها من بركة تبلغ القلب الارب عوذتها من طارق وغاسق اذا وقب
وبعد ما كملت الركايب واجتمع بعد التفريق نجابة النجايب وانقضى مقام

المقيل ونودي في ذلك المكان الرجب بالرحيل وحمل المحمل الشريف وفارق
المربع والظل الوريف وسار الركب سير السيل وتسابقت العيس لجهة
الخير كانها الخيل حتى وصل الى قرب البويب المعروف بالتصغير وفي
الحقيقة هو باب الدرب ومفتاح السير فاجتمع شمل الركاب في ذلك المكان
ورجع المودع في خير كان فاستراح الناس والبهايم واستيقظ بسهر
الليل كل نايم ثم اطعمت الجمال بعلايق وقطع الحجاج من تلك المحطة العلايق
ومدة السير الى تلك المرحله ثلاث ساعات مكمله ثم نادى منادي الرحيل
فسار الركب الى ان اصبح مقاربا للبير الطويل وهو المكان المعروف
بالمصانع ومطلب راحة الناس في الاقامة لولا الموانع وبه تقطير الجمال
وضبطها في سير الركوب واحتياج الماشي من تعبه الى الراحة والركوب
فيا له من يوم تقطر فيه الدموع ويطول فيه الوقوف والوقوع وتشرب
فيه الفقرا كاسات الردى لشدة ما يحصل لها من جور الجنود واعتدا
الاعدا فامن فقير الا ويحتاج الى غني يسعفه والى عادل من ظالم منه
ينصفه قال الشاعر

قد اتينا الى محل المصانع فاصنع الخير فيه ان كنت صانع
وانفع الناس في كثير جميل عل تلقى خيرا كثيرا ونافع

واعلم ان عدة درج المسير الى هذه المنزلة ست ساعات على التحرير ثم قام
دليل الركب للمسير وامر الناس من تقطيع ازمة الجمال بالتقطير فسرنا
طول ليلنا الى الاسفار واسترحنا بالوصول الى عجرود من مشقة الاسفار
فوصلنا الى بندر عجرود وماؤه ملح اجاج غير مورود فاتانا اهل بندر
السويس وعطفوا علينا انعطاف الاغصان في الميل والميس واهدوا
الينا الاحطاب للمشاعل والاغنام للماكل وعدة درج هذه المرحلة
المبهجه سبعة وثمانون درجه ثم سرنا الى النواظر وراس الوادي المنصرف
وهو واد بكثرة الرمال والكثبان قد عرف ليس به ماء ولا مرعى وانما
عيون الناس لمضيق ارجائه ترعى قال الشاعر

نزل الركب بوادي المنصرف وعلى لقياه كم مال صرف
نحمد الله الذي جئنا له وجميع الهم عنا منصرف

ثم

ثم سرنا الى وادى العقاب وهو واد فسيح الرحاب تهيم به قلوب
الاحباب ويتذكر به عهد زينب والرباب لاسيما اجتماع الاصحاب
فى مواطن البعد والاغتراب قال الشاعر

شاقنا وادى العقاب المرتقى في اسمه وهو فسيح فى الربا
فوصلناه وقد قلنا عسى بعده نأتى الى وادى قبا

وميقات السير اليه عشر ساعات على التمام وبعدما قمنا به الى وسط
النهار تهيأنا للقيام ثم نادى المنادى بالرحيل فسرنا الى راس وادى
تيه بنى اسرائل وهو واد واسع الفضا يعتبر فيه باحوال من مضى ليس
فيه ماء ترده الانام ولا ظل سوى ظلل بنى اسرائل من الغمام قال الشاعر

لا تسكنن بوادى التيه منفردا بلا دليل ترى وقع الردا فيه
فما سمعت كلاما من اخى ثقة فى الناس الا وقال الحذر من التيه

ومدة السير اليه عشر ساعات حررها اهل الميقات ثم سرنا الى قلعة
نخل المحميه وتعجبنا من كثرة الفواكه الشاميه من سفرجل ورمان وعنب
على اختلاف الالوان والخيرات الكثيره وما يحتاج اليه الحج من الذخيره
والفساقى المملوة بالماء البارد المعدة للغادى والوارد قال الشاعر

الى نخل الحصينة سر حميدا ترى فيها المنى والخير باق
ولا تشك الظما لفقد ماء فساقيها مقيم بالفساقى

ومدة المسير اليه ست ساعات محرره وخمس من الدرج مقدره ثم سرنا
من النخل الى وادى القريض المشهور وهو واد ينبت به الشوك عوضا
عن الزهور فكم آذى بشوكه اقدام وعطل من له على المشى اقدام ويسمى
الفيحاء لاتساع ارضه وزيادة فضائه فى طوله وعرضه قال الشاعر

فى وادى الفيحاء كم سائر من غير نعل ثابت الكعب
قد صار كالاعجام من شوكه يقرقص من قرص على الكعب

وسيرها اثنا عشر ساعة كاملة محررة فى الميقات متواصله ثم سار الركب
الى بئر العلائى فى التجريد وهى محطة بئرها معطلة وليس بها قصر مشيد
وبقربها خضرة منحدره واشجار اثل منتشره وبجانبها فسقيتان ليس
بهما منفعه فما ورد عليهما حيوان ظمآن الا وقام عندهما بالاربعة قال الشاعر

الى بئر العلائى قد اتينا   وفزنا بالنجاح والهناء
شكرنا للاله وقد دعانا   الى شئ يوصل للعلاء

ومدة السير اليه اثنا عشر ساعة بالتحرير وبعدها الجد الى سطح العقبة فى المسير وهو سطح واسع الاكناف متسع الجوانب والاطراف لا يوصل اليه الا بالاستطاعه لان مدة المسير اثنا عشر ساعة ثم سرنا الى العقبه وما ادراك ما العقبه فكم من حدرات ومضيق وجباله فى شكل الحمرة والبياض وهى عقلة فى الطريق وصعود وانهباط وعلو وانحطاط قال الشاعر

عقبات تسلك الناس بها   بقلوب لم تزل مرتعبه
قد قطعناها بوقت هين   لم نر فيها امورا متعبه
نحمد الله الذى خلصنا   وارحنا من عذاب العقبه

فقطعنا تلك الحدرة الكبرى ثم سرنا الى واد بشاطئ البحر واحطنا به خبرا وبجانبه البحر مغاير ما وها عذب فرات وابار تستقى منها الناس بسائر الجهات ورائنا نخلا زاهيه وقلعة حصينة عاليه فاقمنا بتلك المنزلة ثلاثة ايام ونحن فى زيادة انعام وذبح انعام وقد وردت الفواكه من غزة واعمالها فنصبت للبيع وانخفضت الاسعار ورفعت الناس على احمالها وبقلعتها يوضع البضايع والودايع الى الرجوع ومدة المسير تسع ساعات فى الحساب ثم سرنا الى مرحلة يقال لها ظهر الحمار وهى محطة عالية كثيرة الاوعار يصعد اليها من عقبتين واليمنى اوسع من اليسرى فى المسلكين قال الشاعر

صعدوا على ظهر الحمار لعلهم   ان يبلغوا بصعودهم كل الامل
تعب الحمار من الطريق وطولها   ومديدها واحتث من بعد الرمل
حتى الجمال به تلت ياهل ترى   يحمل به عذر الحمار ام الجمل

ومدة السير اليها ثمانية من الساعات محررة عند اهل الميقات ثم سرنا الى ما بين الجرفين وهو مكان كان الجبال قد قسمت به شطرين يخرج منه ان يعذب بالحجاج فى ايام السيل الى البحر الملح لا حاجة قال ملغزا فيه

وخمسة احرف فى اللفظ تقرا   فان صحفتها صحت بحرفين

وان استقطت ضماها فيبقى ثلاثة احرف من اصل الفين
ومنها الى الشرفة وهي بطول السير متصفة تتعب فيها الجمال ولو
رحلت بالا رحال لما فيها من الوهاد والطلوعات الشداد وخلف
جبالها قبيلة بني عطية المعروفين بالسرقة والاذية قال الشاعر

اذا ما جئت للشرفة ترى العربان مختلفة واما العيس فاجملها
بحسن الحفظ متصفة فان منعت بحارسها والا فهي منصرفة

ومدة السير خمسة عشر ساعة من غير ريب وبعدها المغار المعروف بمغار
شعيب وهو غار يتبرك به الناس وترى فيه الحظ والايناس وبه الماء
العذب والنخيل وشجر المقل والاثل والظل الظليل قال الشاعر

قد وصلنا الى مغار شعيب فرأينا المياه كالانهار
فاستمتعنا من مائه واشتفينا وظفرنا بغاية الاوطار
وذكرنا بغاره غار ثور من حوى للصديق والمختار
خير من انزل الاله اليه ثاني اثنين اذ هما في الغار

ومدة السير ثمانية عشر ساعة محررة عند اهل الصناعة ثم منها الى عيون
القصب اذا نظر اليها العاجز اذهبت عنه الوصب الخضر منها نضرة
والاشجار بها منتظمة ومنتثرة قال الشاعر

قد وصلنا لعيون القصب واستراح القلب بعد النصب
وعيون الماء فيها قد جرت كسيول الغيث بين القضب
فجلسنا في صفاء حولها وظفرنا عندها بالارب
وتشوقنا لشاد مطرب يتغنى بعيون القصب

ورأينا مجاورا لتلك العيون نسوة من العرب يوصفن بحسن العيون
ويتباهين بضفائر الشعور فيمنعن من عشق اهل الشعور كانهن الاقمار
وكانما نبتت في وجناتهن الازهار فكان قطع المفاوز والاوعار كالتنزه هات
في الرياض والازهار قال الشاعر في بدوية اسمها ساكنة

بروحي اغتدى ظبية بدوية لها وجنة فيها الازاهر نابتة
اذا رمت منها ان تكلمني غدت تكلمني الحاظها وهي ساكنة

ومدة السير اليها اربعة عشر ساعة وثلاثون من الدرج يتعب في سيرها

من ركب ومن درج ثم منها الى بندر المويلح المشهور ورأينا بساحله المراكب
من سويس والطور فيا له من بندر فاق البنادر يأتي اليه الوارد
والصادر وبه جملة من الكروم التي تذهب برؤيتها الهموم وبمخازن
القلعة تودع الودايع والى سوقها تساق نفائس البضائع من ثمار
تجلبها العرب وزلابية عجينها كالجين فاذا قليت اشبهت الذهب
وبهذا البندر رجل من ارباب الاحوال حاز رتبتي الجلال والجمال صالح
مجذوب تميل اليه محبة القلوب وله اسرار ظاهرة ومكاشفات باهرة
يعتقده الناس ويحصل لهم به الايناس لا يعرف الدرهم ولا الدينار
ولا يقبل الا القوت عند الاضطرار لباسه من جبة صوف وراسه في
غالب الاوقات مكشوف وان نطق تكلم على الخواطر وان صمت نطقت
عليه السنة الناس بالثناء العاطر ويكسوه المرات ذوات العدد
فيقبلها ويعطيها لمن وجد لان من رآها عليه يطلبها فيدفعها اليه
وهذا شان الكرام الذين قطعوا علايق الدنيا على الدوام فاقمنا
بهذا البندر ثلاثة ايام وبعدها طوينا المضارب والخيام ومدة
السير ثلاثة عشر ساعة وخمس من الدرج في علم الصناعة ثم سرنا من
المويلح الى دار ام السلطان التي هي لعرب البادية اوطان ونزلنا
بوادي سلمى وكفافه وحصل من بدلها من بعد المخافة وخلف جبلها الغربي
البحر الاصيل وبجانبه القسطل آلبري منتظم كالنخيل وحفائر ماؤها
عذب بارد يشرب منه الغادي والوارد قال الشاعر

انه وادي سلمى بهي بهيج   حيث فيه قفر الولي المسمى
صاحب السر والمعارف مرزو   ق الكفا في طاب روحا وجسما
فاذا جئت قبره فتأدب   وتوسل بجاهه ثم سل ما

فاقمنا بتلك المرحلة الاقامة المعتاده وحصل لنا ببركة الشيخ مرزوق
في الرزق الزياده ومدة السير كاف تام وعددها معروف من قراءها
ثم سرنا الى بندر الازلم ولا يرغب فيه من بحقيقته يعلم فماؤه ملح اجاج ما به
انسان الا احتاج الى العلاج فاقمنا به من غير اقبال ورحلنا منه بعد
الزوال ومدة السير اليها ستة عشر ساعة محررة وخمس من الدرج مقررة

ثم

ثم سرنا الى مرحلة تسمى اصطبل عنتر وقد اختفى بها العربان للاذى
وتستر والمسير اليها بين جبال صاعدة وحدرات واوعار متقاربة
ومتباعدة وبها آبار عذبة يود كل ظمآن شربه قال الشاعر

ان جئت للاصطبل لا تغفل به عند النزول واحذر من العربان الذى
بجباله ابدا تصول ٥ واعلم فديتك انه صعب ولكنى اقول
قد سمى الاصطبل من عرب به شبه الخيول

ومدة السير اليها ثلاثة عشر ساعة فى العدد صحيحة الضبط والسند
ثم سرنا منه الى وادى الاراك وهو واد ليس له فى ازدياد محاسنه اشتراك
وبعده دخلنا بين جبال واوعار ومضيق واحجار وحدرات طوال
وصعودات وتلال حتى نزلنا بندر الوجه المبارك وصار حصنه
متقاربا متدارك فرأينا به الآبار الخالية وحفائر الماء العذب بقربه غير
خالية فاقمنا به الى قبيل العصر وقد زال عن الناس الحصر قال الشاعر

قد دخلنا بندر الوجه الذى فيه قوت كل عام يختزن
وشربنا من مياه عذبت شربها يجلو عن القلب الحزن
نحمد الله الذى اسعفنا ورأينا ذلك الوجه الحسن

ومدة المسير اليها سبعة عشر ساعة وثلثا ساعة بالاجماع حررها اهل
العلم والاطلاع ثم سرنا من الوجه الى عفريش النعام ثم الى حدرات واكام
واماكن يرى منها البحر الاجاج وشدة تلاطمه بالامواج ثم الى حدرات كبيرة
المقدار كثيرة الصخور والاوعار ونزلنا فى محطة يقال لها بركة اكره
وهى ارض بها حفائر ماء تكره ماؤها مر المذاق من تقيد بشربه حصل
له الاطلاق فهى مرحلة لا ترتاح بها النفوس ولا يضحك بها العبوس

يا من اتى اكره فى سيره ابشر بنيل القصد والمنه
لا تكره المكروه فى اكره فالمكاره حفت الجنه

ومدة السير اليها تسع ساعات بتمامها وثلث ساعة ثابتة فى احكامها
ثم سرنا منها الى مرحلة يقال لها الخنك وهما من بين القرى اسم مشترك بين
فضاء واسع المجال ومراعى اعشاب للجمال الا انها خالية من الماء للوراد
والاقامة بها انما هى على طريقة السير المعتاد ومدة المسير اليها اربعة عشر

ساعة من الزمان حررها اهل الاتقان ثم سرنا منها الى العقبة السوداء المشهوره وقطعنا مفاوزها ونزلنا بالحوراء النضره وهى مرحلة رملها عزيز ومحاطبها كثير وبها شجر الاراك الاخضر والماء من حفائر رملها يتفجر قال الشاعر

جئنا الى الحوراء وهى محطة … فيها الاراك نزاهة للرائى
ناديت خلى قف بها متاملا … وانظر لرمل معزز بالماء
واغنم زمانا مقبلا بسعوده … فيه اجتماع الشمل بالحوراء

ومدة المسير اليها فى جمل الاعداد حررها اهل الارشاد ثم سرنا منها الى مفازة نبط وهى صعبة جهينة فى السيل والحط وبطرقها مضايق وحدرات وجبال راسيات شامخات وشجر اثل كالنخيل وحفائر ماء عذب يشفى العليل قال الشاعر

وفى اكره والتى بعدها … مرارة ماء تزيد لقساوه
فجئنا الى نبط نشكو الظما … فانعشنا ماؤها والطلاوه
ولما صبرنا على غيرها … فاعقبنا صبرنا بالحلاوه

ومدة المسير اليها عدد كاف وهى عشرون ساعة من غير اختلاف ثم سرنا منها الى طراطر الراعى وهو مكان تجد فيه المساعى وهى جبال سود فوق الجبال وتسمى ايضا بادو باطح كما يقال ثم الى واد يسمى وادى النار وهو واد بين جبال ووعر وغبار ثم نزلنا بالخضراء وقيل الخضيرة بالتصغير وهى من اعمال بندر ينبوع فى المسير قال الشاعر

انظر الى الخضراء واغنم بسطها … تلقى رباها نزهة للرائى
فلرب حشاش شكى من همه … فدنا له عنه الهم بالخضراء

ومدة الوصول اليها فى المسير نحو المائتين درجة بالتحرير ثم رحلنا منها واستقبلنا دارين البقر ورأينا اول الوعرات قد ظهر وهى سبع وعرات كبيره اصعبها الدولى والدخيره بين كل وعرة فضاء وبعده عقلة فى الطريق ويليها شعب جبل هايل ومضيق ثم انخنا الركاب ببندر ينبوع وهو اول بلاد للحجازية الذهاب واخرها فى الرجوع به حدائق ونخيل وعيون بين زروع تسيح وتسيل ولها سور منيع وجامع مفرد

وسيع

وسيع وبيوت فسيحة الركاب فآل امرها الى الخراب وبه الان سوق للحجاج
ياخذون منه الذخيرة عند الاحتياج وبه افران وجيشان كبار وعشش تسقى
فيها القهوة من ايدى الجوار قال الشاعر

حبذا بندر ينبوع وما ... فى رباه من رياض وعيون
وسقاة من ملاح نهد ... يصرعن الصب من نبل العيون
فارتحل عنهن واذهب واتسع ... فاذا خالفت اذهبت العيون

وجميع تلك الاسواق خارجة عن المساكن ويعم نفعها للظاعن والساكن
فنصبنا بهذا البندر الخيام واقمنا به ثلاثة ايام ومدة المسير اليها
سبعة عشر ساعة فى العد ومحررة فى ميقاتها صحيحة السند ثم سرنا من
ينبع الى دهناء فى فضاء ورمال واكام وجبال حتى وصلنا الى الدارقين
وهى كناية عن جبلين مفترقين احدهما رمل صاعد والاخر حزن وعر
وجلامد وبينهما تدق الطبول الحربية لنصرة خير البرية فسمعها من
كان اهلا للسماع ويحجبها اهل الزيغ والابتداع ثم دخلنا الى قرية بدر
وحنين التى حماها الله من كل شين وبها جسر طويل وعيون تجرى
بين حدايق ونخيل وبها مسجد العريش وقيل مسجد الغمام وموضع حوض
المصطفى عليه الصلاة والسلام ومحل النصرة لجيوش الاسلام على اهل
الانصاب والازلام وهى الغزوة العظيمة المقدار التى بها شاهت
وجوه الكفار فيا لها من غزوة قاتلت فيها الملايك وضاقت بها على
اعداء الدين المسالك واخزى الله اهل الشرك والغوايه واستشهد من
المسلمين من سبقت له العنايه وخرج فيها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
للجهاد وقتل ابو جهل رئيس العناد فبلغت الشهداء من السعادة اوفى
نصيب وقلبت اعداء الله فى القليب ووجدوا ما وعدهم ربهم من
العذاب الاليم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم قال الشاعر

يا اهل بدر لقد طابت مآثركم ... وقد علا قدركم فى ارفع الدرج
فمن يتم بغفران اوزار حسن ثنا ... على الملا نشره من اطيب الارج
يكفيكم فى علاكم قول هادكم ... هم اهل بدر فلا يخشون من حرج

فيا لها من ليلة بتنا بها وقد اشرق بدرها وسما قدرها اذهبت عن العيون

المجموع لا شتغالها برؤية القناديل والشموع فاما الشموع فقد ملأت
الارجاء بالنور ومحت بضوئها ظلم الديجور وقد دقت طبول
الافراح وزالت عن القلوب الاتراح واحضر السكر المذاب واذيب
في الماء للوراد وملئ به البواطي والحلل وسقي به جميع الطوايف واهل
العمل فشرب كل منهم اوفى نصيب فكانت ليلة من صفائها اقصر من
جلسة الخطيب وقضينا الاوطار من مشاهدها المبتهجه ومدة السير
اليها ثمان ساعات واثنا عشر درجه ثم سرنا من بدر الى قاع البزوة
وتسمى طرفه النجان ثم الى صالح وجبل الفهود ومكان يسمى وادان ثم
نزلنا بسبيل محسن المشهور وتنزهنا في خضرة اعشابه وسوحه المعطور
قال قد شكالي بعض المحبين يوما ظما الماء قلت ذا غير ممكن
كيف تشكو الظما وتجزع منه وبهذا السبيل احسن محسن
ومدة السير اليها ثمانية عشر من الساعات وعشرون درجة محررة
بالميقات ثم سرنا منها الى بستان القاضي ونسينا بقرب الديار تعب
السير الماضي ثم نزلنا برابغ محل الميقات وتجردنا من لبس المخيط بصدق
النيات واحرمنا بالعمرة والحج عملا بقوله الحج العج والثج واعلنا
بالتلبية لعلام الغيوب وسالنا الله تعالى غفران الذنوب فرأينا خفائر
ماء تنبع ومزارع بطيخ بتنوع ومسجدا قديم الاثر ويسمى ذا الجحفة
كما ورد في الخبر وهو محل احرام المصطفى زاده بالرفعة الشمم قال
تجردت لما ان وصلت لرابغ ولبيت للمولى كما حصل الندا
وقلت الهي عندك الفوز بالغنى واني فقير قد اتيت مجردا
ومدة السير اليه ستة عشر تمام وعشرون من الدرج ثابتة للاحكام
ثم سرنا الى الجريثات ونزلنا بظارف قديد الذي لا يحل في حرمه للمحرم
المصيد وارجاؤه واسعة المجال كثيرة الاوعر والرمال الا انها تبشر
بقرب البلاد وهي مواطن الامجاد قال الشاعر
قد نزلنا بظارف لقديد ودخلنا هناك نرجو الحمايه
فتفضل على عبيد وفود منك يرجوا دفع العنا بالعنايه
ومدة السير اليه سبعة عشر من الساعات محررة في الميقات ثم سرنا الى عقبة

السويق وهي عقبة عالية الرمال في الطريق ثم منها الى خليص الشهيرة
وبها فسقية من الماء كبيرة ويحترز فيها من اللصوص اصحاب النفوس
الخسيسة ثم الى مدرج عثمان ثم الى قرية عسفان وبها البير التي تفل
فيها سيد البشر وهي بير من شرب من مائها زال عنه الضرر قال

ان عسفانا تسامت رفعة | وعلت قدرا على كل القرى
وبها بير النبي المصطفى | خير من صلى وصام وقرا
فاذا جئت لها كن محتسبا | فعسى تحسب من اهل القرا

ومدة السير اليها اي في العقبة معلومة في المدد ثم سرنا منها الى
جبل اغمار العميان التي تجتمع فيه الفقراء بقصد الاحسان نزلنا
بالوادي وهو نهاية بير الوادي وهو واد خصيب يرى فيه طالب
النزاهة اوفر نصيب اغصانه زاهية وقطوفه دانية واطياره
ناطقة وجداوله دافقة ومزارعه تنبت من كل زوج بهيج ويفوح
من ازهارها كل عرف اريج وهي زائدة الابتهاج وعلى كل حديقة
ساج فلو راه مصري من الناس نسي الروضة والمقياس وبها
عشش تسكنها عرب البوادي وبارضه ينبت الشجر الكادي قال

يا حبذا واد فسيح الفضا | اريجه قد عطر النادي
كم فيه من فاغية قد زكت | وفيه زهر الفل والكادي
وكم ثمار وزروع به | والماء فيه ينعش الصادي
قلت لخلي حين شاهدته | وقد لى نور الثنا باد
هل دار ليلى قد بدت لنا | فقال لي انك بالوادي

ووصوله خمسة عشر ساعة في المسير وخمس من الدرج بالتحرير ثم سرنا
الى سبيل الجوخي المعروف ورايناجنان مكة دانية القطوف ثم مررنا
بمساجد ميمونة بالعمرة وقد اقترن اسما سموها كوكب الثريا بالزهرة
فلاحت لنا اعلام الديار ومشاهد المشاعر والاثار ووصلنا ثنية
كدا وبعده المعلى التي بها مساجد اهل الهدى وكنا عندها وجنا من عدم
الوصول خائفين حتى تلقتنا هواتف البشائر بقوله لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله امنين ودخلنا من باب السلام وتعاهدت البيت والمقام

وطفنا طواف القدوم وذهبت عنا الهموم وجئنا الى محل الصفا
وسعينا في طلب الوفا ولما تم سعينا بالطواف وحففنا بعناية الله
الالطاف اقمنا بمكة بالاحرام الى رابع ذي الحجة الحرام هذا مرجع هذه
الرسالة واما في الرجعة فقد رجع بحر الفكر عما كان اجراه اولا من البلاغة
والاسالة ولما قرب الرحيل وآن الخروج عن ذلك الربع الذي ليس
بمشتهر على طول الزمان فضلا عن دخوله في عداد المحيل اخذت
في التردد الى زيارة المشاهد المشهورة هنالك والاجتهاد في
تحصيل ما تيسر من ذلك فزرنا مولد النبي صلى الله عليه وسلم وقد اتخذت
دار مولده عليه السلام مسجدا ومزارا عظيما تجتمع اليه الوفود من
كل جانب ايام المولد النبوي غير ان اختلاف العلماء في محل مولده عليه السلام
مما يخدش في تعيين هذا الموضع الان المشهور فقد علم من كتاب السيد
السمهودي رحمه الله ما وقع من الاختلاف في مولده عليه السلام هل
هو بمكة او بالابواء وعلى انه بمكة فقيل بالشعب وقيل بالمحصب وقيل
غير ذلك من الاقوال المستطيلة قال الامام ابو سالم ولا ادري
من اين اخذ الناس تعيين هذا المحل بالخصوص اللهم الا ان يثبت ان
تلك دار والده او جده صلى الله عليه وسلم فيترجح القول بانه في مكة بقضية
عادية وهي ان ولادة الانسان في الغالب في منزل والده وان اريد
بالشعب شعب ابي طالب الذي انحاز اليه مع بني هاشم وبني المطلب في قضية
الصحيفة فلا يبعد ذلك لان هذه الدار قريبة من الشعب من اسفله
والعجب انهم عينوا محلا من الدار بمقدار مضجع وقالوا انه موضع
ولادته صلى الله عليه وسلم قال ويبعد عندي كل البعد تعيين ذلك من
طريق صحيح او ضعيف لما تقدم من الخلاف في كونه بمكة او غيرها وعلى
القول بانه فيها ففي اي شعابها وعلى القول بتعيين هذا الشعب ففي اي
الدور وعلى القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من
الدار بعد مرور الازمان والاعصار وانقطاع الاثار والولادة
وقعت في زمن الجاهلية وليس هناك من يعتني بحفظ الامكنة ولا سيما
مع عدم تعلق غرض منهم بذلك وبعد مجيء الاسلام فقد علم من حال الصحابة

وتابعيهم

وتابعيهم ضعف اعتنائهم والتقييد بالاماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي
لصرف اعتنائهم رضي الله عنهم لما هو اهم من حفظ الشريعة والذب عنها
بالسنان واللسان وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الاثار الواقعة
في الاسلام من مساجده عليه السلام ومواضع غزواته ومدفن كثير من
اصحابه مع وقوع ذلك في المشاهد الحافلة فما بالك بما وقع في الجاهلية
لا سيما ما لا يكاد يحضره احد الا من وقع له كمولد علي رضي الله عنه ومولد عمر
ومولد فاطمة رضي الله عن جميعهم فهذه اماكن مشهورة عند اهل مكة
يقولون هذا مولد فلان هذا مولد فلان وذلك في البعد بعد من
تعيين مولده عليه السلام لوقوع كثير من الايات ليلة مولده عليه السلام
فقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الايات وان كانوا
اهل جاهلية واما مولد غيره ممن ولد في ذلك العصر تكاد العادة ان
تقطع بعدم معرفته الا ان يرد خبر من صاحب الواقعة بنفسه او واحد
من اهل بيته وحاصل الامر ان هذه اماكن اشتهرت بين الناس
فمن زار بحسن النية رعاية لتعظيم قدر من اضيفت اليه مستحضرا الزاير في
قلبه عظمة من نسبت اليه الامكنة وعظمة تلك النسبة ولا يشغل قلبه
بصحة النسبة وضعفها لوجودها في الخارج ولو عدمت في نفس الامر
فرعاية تعظيم الموجودة على السنة له اثار كبيرة في الجلب والدفع
نسال الله تعالى ان يجعلنا ممن يعظم حرماته وشعايره تعظيما يوافق
اوامره هذا كلام ابي سالم وان كان لا يخلو من التامل عند سالم واخره
هو المتعين لانه امر بين وما استبعده غير بعيد لشهرة ذلك النور
السعيد والله اعلم وزرنا مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها في دار خديجة
رضي الله عنها التي سكن فيها النبي صلى الله عليه وسلم مع خديجة وولدت
الاولاد معها قال ابو سالم والنفس تميل الى صحة هذا المكان اكثر من
غيره وزرنا مولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه ودار ابي بكر الصديق رضي
الله عنه وغالب هذه الاماكن اتخذت مساجد ومزارات وبقرب دار ابي
بكر حجر في جدار فيه كاثر المرفق يقال ان مرفق النبي صلى الله عليه وسلم غاصت
فيه لما استند اليه ينتظر بعض اصحابه والناس يمسحون به ويتبركون

وقد فعلنا ذلك بحسن النية والله سبحانه ينفعنا بذلك ويقال لذلك
الموضع زقاق المرفق وتوجهنا باب المعلا لنحصل بركة زيارتهم فقد
اثنى عليهم النبي عليه السلام ووقف امامهم وقال فيهم يا اهل باب
المعلا انتم الاعلا فزرنا روضة ام المومنين خديجة رضي الله عنها وجماعة
من المشاهير في تلك المشاهد كعبد الله بن عمر والفضيل بن عياض واحمد
ابن الاهدل وعز الدين بن جماعة والسيد عبد الله اليافعي وعثمان بن
طلحة وسفين بن عيينة وعبد الله بن الزبير ومقبرة الطبريين ومقبرة
العسقلانيين وغير هولاء تقبل الله بمنه وفضله ولما قرب الانتقال
من مكة الى طيبه ليكون المسك ختام تلك الغيبه هبت علينا نسمات
الاشواق اليها فبقينا نستلذ قول من قضى نهمته من مكة وارشد
السايق لطيبة بالورود عليها

من يهده الرحمن حين هدايته — يحلل بمكة كي يناح المقصدا
واذا قضى من حجة الفرض انثنى — يشفي برؤية طيبة داء الصدا

وربما رايت القوم اخذوا في الاستعجال فامنت بقول ابي جعفر
الرعيني للاوجال وهو من التشريع احد انواع البديع

يا راحلا يبغي زيارة طيبة — نلت المنى بزيارة الاخيار
واذا وقفت لدى المعرف داعيا — زال العنا وظفرت بالاوطار

وربما هبت على نسمات طيبه فاترنم بقول الشيخ زين الدين المقدسي لدنو مل الغيبه

اذا هب لي من نحو طيبة ريح — ترى الدمع من جفني هناك يسيح
ويصبح عندي والغرام محرك — يكاد بسري في الغرام يبوح
وتزداد اشواقي الى ساكني الحما — ويمسي فؤاد الصب وهو جريح
بذكر رسول الله طاب حديثنا — ومن طيبة كل الوجود يفوح
هنيئا لكم زوار قبر محمد — هنيئا لكم رحب المزار فسيح
لكم عنده بشرى نعيم وجنة — لكم منه ريحان لديه وروح
الا ايها الركب الذي يم للحما — ومن دونهم صب هناك طريح
الا فقفوا الحيركم واحبسوا السري — لعلي ابكي ساعة وانوح
والثم اخفاف المطي فانها — سينفحها من ارض طيبة شيح

اهل

اهل لك يا ركب الحجازى عودة   على فاغدو معكم واروح
واصبح نشوانا يميل بى الهوى   اذا اصبحت تلك القباب تلوح

ولما اشتدت الاشواق ونفقت بذكر طيبة الاسواق اخذت فى التاهب للتوجه اليها والورود عليها وطفت طواف الوداع ودخلت فى حزب كل متوجه الى الله وداع وركعت خلف مقام ابرهيم واخذت اطوف على تلك الاماكن المشرفة واهيم وكيف لا اهيم وحبد وانا الم وفراق الكعبة المشرفة قد نزل بنا والم وكاد ان يذهب بالنفس لولا ما تداوت به من التعلل بزيارة النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر خروجنا من مكة المشرفة الى المدينة المنورة وقصدنا لزيارة الرسول الذى كرمه مولاه على جميع الخلايق وغيره

زادهما الله تشريفا وتعظيما وابقى قدرهما على ممر الازمان عظيما خرجنا من مكة المشرفة غير معرضين عن ارجائها قاصدين زيارة الرسول عليه السلام اذ هى للنفوس غاية رجائها منشدين قول الشهاب ابن ابى حجله لما ادركته فى مثل هذا اليوم خجلة واية خجله

اقول وقد فارقت مكة قاصدا   جناب النبى الهاشمى المعظم
فراق ومن فارقت غير مذمم   وأم ومن يممت خير ميمم

وقوله وقد خلف البيت حوله

لئن زال بالتعليم فى مكة الشقا   تحول الصفا العيش الذى لم يكدر
وان نظمت شملى بها ليلة اللقا   فان دموعى بعدها اليوم تنثر

وقوله ولم انس اذ فارقت مكة قاصدا   بوادى الغزال الظبى والظبى راتع
فكنت كذى رجلين رجل يرى بها   المقام واخرى للحبيب تسارع

وقول الصلاح لما فيه من الصلاح

رحلت عن البيت العتيق المحرم   الى خير قبر فى الانام معظم
فكنت كمن قد قال قبلى حقيقة   ابو الطيب الكوفى رب التكلم
فراق ومن فارقت غير مذمم   وام ومن يممت خير ميمم

وكان خروجنا من مكة المشرفة عشية الثلاثا الرابع والعشرين من الحجة وهو التاسع عشر من دخولنا وخرجنا من باب الشبيكة وهى الثنية السفلى

التي باسفل مكة ومنها خروج النبي صلى الله عليه وسلم واغرب ابن رشيد في رحلته
فقال ذكر بعض ائمتنا ان الخروج الى عرفات من الثنية السفلى ايضا
وابدع بنقل ذلك عن ابي محمد علي بن احمد بن حزم الاندلسي الظاهري
وقال حدثنا بذلك احمد بن محمد العذري عن كل من لقي بمكة من اهل
المعرفة بمواضعها من اهل العلم بالاحاديث في ذلك وصحح ابن رشيد
وهو مما لم يذكره احد ممن راينا كما اوضحه ابو سالم وغيره فالله اعلم
بحقيقة ذلك وبتنا قرب باب الشبيكة امام سبيل الجوهري واصبحنا
هنالك حتى صلينا العصر وانكسرت سورة الحر وارتحلنا
راجعين في الحافرة في نعمة وافرة غير انا اكثرنا الاقامة في الرجوع
الى بدر وزاد امير الركب المصري على ما قدر لذلك من القدر فمن
الوادي نزل عسفان واقام في خليص وقديد ولم تكن تلك عادة من
قبله من الركبان واعتذر بانه كان ينتظر ابلا تاتيه من جدة فلذلك
قصر في السير وما جده ومن بدر اخذ لناسنا ما تركوه في ينبع من الزاد
ووصل العلف هنالك ثمنا جاوز المعتاد وزاد واغنانا الله سبحانه
عن شراء العلف هنالك لانا حملنا من مكة المشرفة ما يكفينا الى
المدينة من ذلك وارتحلنا من بدر واخترقنا ذات اليمين السامية
القدر متوجهين الى روضة الرسول الذي من نوره استضاءت
الشمس واشرق البدر فمررنا بالصفراء في بساتين وحدائق وعيون
جارية بماء عذب رايق بين هاتيك المضايق ورايناها هنالك مزارع
حسنة مزدرعة جامعة لانواع الفواكه من الرطب والموز والبطيخ
والعجوة وغير ذلك ولقد كانوا وردوا علينا بكثير من ذلك الى بدر
ولله در الصلاح اذ قال في تلك المواطن الملاح

يا وادي الصفراء اذكرتنا ... في جلق عيشتنا الخضرا
فالراية البيضاء منشورة ... اذا ذكرنا وادي الصفرا

وقد قالوا ان بالصفراء مسجدا معروفا يتبرك به وذكر ابن زبالة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ونقله السيد ونزلنا مع الصباح في الجديدة
ذات المياه الغزيرة والفواكه المديدة وغالب الناس يسمونها الجديدة

بالتصغير

بالتصغير وهو الجاري على لسنة الكبير من اعراب تلك البلاد والصغير
وهي قرية صغيرة بين جبال وحدايق ونخيل ومضيق يخرج الى عين
جارية يطيب عندها النزول او الرحيل وجبالها شامخة عالية ونخلها
وارطابها متدانية وغالب اهلها زيدية كغيرهم من اهل قرى الحجاز
يقرؤن القران وليس لهم منار للاذان وتفرق الناس في حواصلها
يؤمنون هنالك اثقالهم ويخزنون سلعهم واحمالهم لتحفة مؤنتهم
في الروضة المشرفة ويجدون شيا من الفراغ عند الوصول لذلك
المكان الذي عظمه الله وشرفه وقد صرح ابو سالم وغيره بانه ليس في بلاد
الحجاز مكان اشد حرا من هذه الخيوف وربما كثر فيها الشوب فيموت
فيها ما لا يحصى من الخلايق عهدكر بالرجل يسعى في حوايجه ومقضياته
فيقال للعمات وهذا الامر من قبل ومن بعد وكان الصالح في مثل هذا المكان
انشد اقول وحر الرمل قد زاد وقده وما لي الى شم النسيم سبيل
اظن نسيم الجو قد مات وانقضى فمهدي به في الشام وهو عليل
او قاله في رمال نواحي الينبع التي ما زال الماء الشوب من ارضها ينبع
وارتحلنا من الجديدة وخلفنا كل ما يثقل من الاحمال وبقي هنالك
جماعة من الاعراب والفلاحين الذين لا غرض لهم في الزيارة اذ لا قصد
لهم الا في الكرا وغالبهم ايضا لا يحرم بحج ولا عمرة لقلة اعتنائهم بامور
الدين سامحهم الله ومررنا بالنازية وبعدها بمسجد الغزالة ثم ببير
الروحا قال المجد الروحاء موضع من عمل الفرع على نحو اربعين ميلا من
المدينة وفي صحيح مسلم على ستة وثلاثين ميلا وفي كتاب ابن ابي شيبة
على ثلاثين ميلا وقال ابو عبيد البكري قبر مضر بن نزار بالروحا على
ليلتين من المدينة بينهما احد واربعون ميلا قال الزين الخبلي والجمع
بين ذلك ان الروحاء اسم للوادي وفي اثنائه منزل الحاج قال ابن
الكلبي لما رجع تبع من قتال اهل المدينة نزل بالروحا واقام بها
واراح فسماها الروحاء وسئل كثير لم سميت الروحا فقال لانفراجها
وروحها يقال بقعة روحاء طيبة اي ذات راحة وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال هذا واد من اودية الجنة يعني الروحاء وان اسمه

سجاسج والسجسج الهواء الذى لا حرّ فيه ولا برد وان موسى بن عمران
مرّ بالروحاء فى سبعين الفا وانه صلى بذلك الوادى سبعون نبيا
قال الاسدى وبالروحاء آثار الرسول صلى الله عليه وسلم وآبار
كثيرة وانشد الزين الحنبلى لابن الرضية

اذا اعزورقت عيناى قال صحابتى | لقد اولعت عيناك بالهملان
الا فاحملانى بارك الله فيكما | الى حاضر الروحاء ثم دعانى

قال الزين الحنبلى واعراب الروحاء بنو سالم فيقال لها وادى
بنى سالم قال وكانوا يتلصصون كثيرا فقال فيهم الصلاح

نظرت فى وادى بنى سالم | لكل لص ظالم غاشم
يسرق كحل العين من جفنها | بجراة من مقلة النايم
كم عاطب منه وكم هالك | وهو مضاف لبنى سالم

واوما لمثل هذا صاحب الرجز ايضا فقال

اياك من خيف بنى سالم ان | اتيته من حبلص لا تطمئن
وكن له ضارب بالحسام | تراه كالعفريت فى الظلام

ونزلنا شرف الروحاء فى ارض فيحاء وشرف الروحاء هو المعروف
اليوم بقبور الشهداء وقد ذكر بعض الناس ان الشهداء الذين
يسمى بهم المكان هم قوم قتلوا هنالك ظلما وذكر السيد ان بهذا
الموضع مسجدا من مساجده صلى الله عليه وسلم وهناك موضع محوط يزوره
الناس فلا يبعد ان يكون هو ذاك وفى شرف الروحاء آثار آبار
معطلة وبنيان داثر وقد كانت فى القديم هناك قرية ولم يبق بها
الآن شى من ذلك وارتحلنا من هناك فنشطت الابل فى المسير
وشرعت تسرع بلا حاد وتسير فتعجبت من نشاطها الذى صير كل
رجل منها سالم وتذكرت قول الامام ابى سالم

خليلى ما للعيس فى سيرها تعدو | ومن قبل اعيت من يسوق ومن يحدو
اظن لها علما يقينا بانها | لقبر رسول الله قد اصبحت تغدو
لذلك لم تجزع لحر اصابها | كما جزعت بالامس اذ مسها الجهد
فلا تعجبوا من علمها باقترابها | وليس لها بالدار من قبل ذا عهد

فنفر

فنضل رسول الله في الكون ظاهر … اقرت به العجماء والحجر الصلد
وانوار ارض حلها قد تلالأت … احست بها الابصار والعظم والجلد
دنت فدنت اعلامها فبدا لنا … من الشوق في الاحشاء ما لم يكن يبدو
عليها من الرحمن ازكى تحية … تدوم دواما ما لاخره حد
تكاد من الاشواق ارواحنا لها … تطير ولم تجزع وان نالها كد
ولولا الذي قدها قها من جسومنا … لطارت ولكن الجسوم لها قيد
وكنا نظن القرب يذهب بعض ما … بها فاذا بالقرب زاد لها الوجد
ولم لا وآي الوصل محكم ذكرها … غدا ناسخا ما كان يقرؤه البعد
اباح لنا الرحمن فيها اقامة … بخير الى ان يحوي الجسد اللحد
بجاه حبيب الله افضل من به … توسل من لم يغنه الجد والجد
عليه صلاة الله ما دام وصله … يزيد له شوقا اذا ذكرت نجد

وسرنا في ليلة معتدلة الهواء قاصدين طيبة ورافضين جميع الاهواء فلاحت لنا انوارها مع الفجر وغلبت ضوء الشمس بعد ما فجر على الافاق اي فجر ووردنا آبار علي ذات الجوار السامي والقدر العلي والفناء وادي العقيق كالبحر الفايض وجمحت خيول الاشواق فلم يرضها رائض وسكن الشوق المبرح لما لاحت لنا اعلام طيبة من جبل مفرح فاخذت اترنم بقول ابي سالم في تلك المعالم

يا صاحبي نلت المنى فاستبشر … ودنوت من دار الرسول الاطهر
وبدت معالم طيبة لك فاستمع … اوصافها من صادق لك مخبر
هذا مفرح كاسمه وكانه … ياقوتة رشت بذائب عنبر
وامامه البيداء يسطع نورها … لبصائر الزوار هل من مبصر
وعلى يمينك قد بدا عير يرى … بالقرب كالثور العقير الاعفر
وانخ ركابك بالمعرس انه … لمبارك وبمائه فتطهر
واحدا الركاب مع العقيق منعما … عينيك في ذاك المكان النير
ياحبذا احد نراه يحبنا … ونحبه جبل جميل المنظر
فكانما هو حلة من عسجد … صبغت جوانبها بمسك اذفر
واذا اتيت لحرة عربية … وعلوت غاربها علو مشمر

ودنا النقى وبدا المصلى فاغتبط   بالقرب من اصل المفاخر والفخر
واترك قتامن عن يمينك واجعلن   سلعا فديتك فى الجناب الايسر
واصمد تجاهك يعترضك مهنئا   بطحان دون مناخة والعنصر
ما بعد ذا الا الدخول لطيبة   بسكينة تمشى بدون تكبر
يهديك للحرم المكين شذاه من   باب السلام ادخله دون تصبر
وعن الصلاة على النبى مسلما   مهما قربت لداره لا تفتر
واعلم بانك ان وقفت مصليا   ما بين روضة سيدى والمنبر
فى روضة من جنة متقلبا   هى ارضها فى طاهر ومطهر
تغشاك من رحمات ربك نفحة   تحظى بها دنيا ويوم المحشر
فلانت بينهما يقينا واقف   ما بين جنة عدنه والكوثر
فاذا وقفت امام وجه نبيه   حياك بالرضوان منه الاكبر
فهناك تستجلى البصيرة ان صفت   اصل الجمال بدا باعظم مظهر
فترى العوالم كلها بجمالها   وجلالها حضرت باقدس محضر
اصل الوجود ومنبع الجود الذى   عم المظاهر فى جميع الاعصر
نور الاله به استنار عباده   دنيا واخرى ذى البهاء الازهر
محمود كل الخلق احمد حامد   ومحمد بمقام حمد اشهر
صلى عليه الله خير صلاته   والآل والاصحاب اكرم معشر

ولما لاحت القباب وقرب الباب وآن الوصال واستولى على الشوق وصال طفقت انشد وانادى كل مشوق وارشد

ايها المغرم المشوق هنيئا   ما انالك من لذيذ التلاق
قل لعينيك تهملان سرورا   طالما اسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا   وجميع الاشجان والاشواق
وحرام العين ان تفيض انهمالا   وتوالى بدمعها المهراق
هذه دارهم وانت محب   ما احتباس الدموع فى الاماق

وكلما لاحت لنا تلك الانوار ملنا عن الاكوار وتملنا من عرف تلك النجود والاغوار وتخلينا عن الاغيار وتحلينا بحلا الاخيار وكيف لا وطيبة مركز الادوار اذا لم تطب فى طيبة عند طيب   به طيبة طابت فاين تطيب

وان لم يجب في ارضها ربنا الدعا　　فني اي ارض للدعاء يجيب
ايا ساكني اكناف طيبة كلكم　　الى القلب من اجل الحبيب حبيب

ولما حللنا امام الباب تذكرنا ما قاله كمال الدين ناظر قرص من اللباب لذوي الالباب

انخ هذه والحمد لله يثرب　　فبشراك قد نلت الذي كنت تطلب
نعفر بهذا الترب وجهك انه　　احق به من كل طيب واطيب
وقبل ربوعا حولها قد تشرفت　　بمن جاورت والشي بالشي يحبب
وسكن فوادا لم يزل باشتياقه　　اليها على جمر الغضا يتقلب
وكفكف دموعا طالما قد سفحتها　　وبرد جوى نيرانه تتلهب

ثم تاهبنا لدخول المدينه وقد ثقل الشوق بديون الاشواق مدينه حتى غاب في بحار الانوار لما تبسمت الروضة المشرفة عن يانع الازهار وزاهر الانوار ذكر دخولنا لمدينة الرسول التي هي غاية المنى والسول صلى الله وسلم على ساكنها وشرف جميع نواحيها واماكنها

ثم دخلنا المدينة والاشواق تتجدد والافراح تجتمع والاتراح تتبدد واصبحنا فيها مع الصباح واشرقت انوارها ففضحت اشراق الوجوه الصباح وبادرت لدخول الحرم لاكرع من مناهل الفضل والكرم وقصدت مواجهة الرسول واعتراني ما يعتري الموصول من ذهول الوصول والفوز بالبغية والسول وفاضت العيون بمدامع السرور فيضان العيون

هذه روضة الرسول فدعني　　ابذل الدمع في الصعيد السعيد
لا تلمني على انسكاب دموعي　　انما صنتها لهذا الصعيد

وكنت عندما اشرفت على الروضة المباركه وتبدت لي معالم طيبة التي ليست بزاحمة في شرفها ولا مشاركه قلت قصيدة بديعه احرزت براعتها عجيب الادب وبديعه فاقت بممدوحها القصايد وسحت بوارح نظمها العجيب فاعجزت فكر كل صايد وكانت طويلة تنيف على مائة وعشرين بيتا كم احييت ببلاغتها ميتا　　واولها

يا مقلتي هذا المقام الاكبر　　والروضة الغناء فيها المنبر

والمسجد الاسمى الذى محرابه ... ابدا على الاكوان طرا يفخر
هذى مرابع طيبة الغرا التى ... من طيبها طاب الشذا والعنبر
هذا البقيع وذاك اشرف بقعة ... الآل والاصحاب فيها قبروا
هذا النخل وتلك دار المصطفى ... افلا ترى الانوار فيها تظهر
هذا المكان الاعظم الاسمى الذى ... قد كان فيه المصطفى يتعوذ
هذا وحق الله اشرف منزل ... قد كان جبريل له يتكرر
هذا الرسول الطاهر الاخلاق والاعلاق والاعراق وهو الاطهر
هذا الذى جمع المحاسن كلها ... فالحسن فيه كامل لا يشطر
هذا الذى من شعره اسود الدجى ... وابيض من مرآه فجر نير
هذا الذى من وجنتيه جنة الورد الندى ومن لماه الكوثر
هذا الازج الادعج الطرف الكحيل الابيض اللون الاغر الازهر
هذا اسيل الخد اقنى الانف ازهى القد يحكيه القضيب الازهر
هذا الذى حاكى العقيق شفاهه ... اذ صار يحكى ثغره فيه الجوهر
هذا اجل الخلق سبط الخلق طلق الخلق ليس له نظير ينظر
هذا الذى قد اشرقت من نوره ... انوار هذا الكون فهو العنصر
هذا الذى خرقت له العادات فى ... كم معجزات ظاهرا آها المبصر
هذا الذى بانت لمولده علاما ... ت وآيات عظام تبهر
هذا الذى قد اخمدت انواره ... انوار فارس بئس تلك الانور
هذا الذى ايوان كسرى لم يزل ... مذ بان نور المصطفى يتكسر
ومنها هذا الذى قد رد عين قتادة ... بعد العما فغدت بها يتبصر
هذا الذى اثنى عليه الله فى التنزيل فى كم آية لا تنكر
هذا الذى قد نزلت فى شانه ... شانيك بين الناس هو الابتر
هذا الذى ردت له شمس الضحى ... بعد المغيب وشق بدر انور
هذا الذى قد جاءه ضب الفلا ... متكلما وكذا الغزال الاعفر
هذا الذى نطق الذراع له بما ... قد ضم من سم اليهود ديخبر
هذا الذى فى كفه قد سبحت ... صم الحجارة نعم تلك الاحجر
هذا الذى قد اشبع الجيش العرمرم من صواع بل صواع اكثر

هذا

هذا الذى روّى الخميس بصاع ما ... ء فارتوى اذا اشبعته الوثمر

ومنها بعد فصل طويل من معجزاته التى لا يحصرها التطويل

الله اكبر لم لهذا المصطفى ... من معجزات حدها لا يحصر
من ذا يعد لشهبه فى افق السما ... من ذا يعد القطر مهما يقطر
من ذا يعد النبت او يحصى الحصا ... هيهات هذا الامر لا يتصور
فتمتعى يا مقلتى و تنزهى ... هذا الذى قد كنت قدما تنظر
ومنها وابكى اذا ماشئت او فلتضحكى ... فالكل يحمد والمشوق محرّر
ومنها اذ عادة المشتاق يبكى دائما ... ان ينعموا بالوصل او ان يهجروا
فاذا دنوا يبكى مخافات النوى ... واذا نأوا شوقا لهم يتسعر

وكثيرا ما كنت اشتهى انشاد القصايد المشار فيها الى تلك الاماكن واحب ان انخرط فى سلك من حضر فى تلك المساكن وشاهد محاسنها واخذ بمدح المسكن والساكن وارد ما يشتمل على ذلك كقول العلامة الرحلة البارع خالد البلوى لما حل هنالك

الله اكبر حبذا اكباره ... لاح الهدى وبدت لنا انواره
لاحت معالم يثرب وربوعها ... ماوى الحبيب وداره ومزاره
هذا النخيل وطيبة ومحمد ... خير الورى طراوها انا جاره
هذا المصلى والبقيع وههنا ... ربع الحبيب وهذه آثاره
هذى منازله المقدسة التى ... جبريل رُدّد بينها تكراره
هذى مواضع مهبط الوحى الذى ... تشفى الصدور من العمى اسطاره
هذى مواضع خير من وطى الثرا ... وعلا على السبع العلى استقراره
ملأ الوجود حقيقة اشراقها ... فاضاء منه ليله ونهاره
والروضة الفيحاء هب نسيمها ... والبان بان وتم منه عراره
وتعطرت سلع فسل عن طيبها ... لم لا تطيب وحولها مختاره
بشراك يا قلبى فقد نلت المنى ... وبلغت ما تهوى وما تختاره
قد امكن الوصل الذى املته ... وكذاك حتى امكنت اسراره
قد كان عندى لوعة قبل اللقا ... فالآن ضاعف لوعتى ابصاره
رفقا قليلا يا دموعى اقصرى ... فالدمع يحسن فى الهوى اقصاره

قد كانت اليد من الكريمة في غنى   عن ان يفيض بتربها تياره
ايضيع من زار الحبيب وقد درى   ان المزور بنا له زواره
ا يخيب من قصد الكريم و عنده   حسن الرجاء شعاره ودثاره
ايؤم بابك مستقيل عاثر   فيرد عنك ولا تقال عثاره
حاشا وكلا ان تخيب آماله   فيعود صفرا خيبة اسفاره
يا سيد الارسال ظهري مثقل   نعمى تخف بجاهكم اوقاره
رحماك فيمن اوبقته ذنوبه   فكانما اقباله ادباره
لبس الصغار وقد تعاظم وزره   والعفو تصغر عنده اوزاره
شط المزار ولا مزار وشد ما   يلقى محب شط عنه مزاره
والى حماك يفر من زلاته   والبك يا خير الانام فراره
واتاك يلتمس الشفاعة والرجا   يقتاده وظنونه انصاره
والعبد معترف ذليل خاضع   ومقصر قد طولت اعذاره
متوسل قد اغرقته دموعه   متنصل قد احرقته ناره
قذفت به في غربة اوطانه   ورمت به لعلائكم اوطاره
فامنن وسامح واعف واصفح واغتفر   فلانت ماح للخطا غفاره
صلى عليك الله ما حيا الحيا   روض الربا وترنمت اطياره

وكما انشده الامام العلامة احمد المقري في نفح الطيب لما فاح له من اعراف طيبة كل طيب

اكرم بعبد نحو طيبة مسئد   متوسل مستشفع مسترشد
يغلي الفلاة لها بعزم ايد   وافى الى قبر النبي محمد
ولعتره الوسمي يروح و يغتدي
ازجاه صادق حبه المتمكن   وحداه سايق عزمه المتعين
فغلى لدى شجو حمام الاغصن   هزجا يردد فيه صوت ملحن
و يمد للاطراف صوت المنشد
و يقول حثت بعزمة نزاعة   ونهضت والدنيا تمر كساعة
لمحل احمد قائلا باذاعة   هذا الرسول المرتجى لشفاعة
يوم القيمة بين ذاك المشهد

هذا الرؤف بجاره ونزيله   هذا سراج الله فى تنزيله
هذا الذى لا ريب فى تفضيله   هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن بانى البيت اول مسجد
هذا الذى اصطفت النبوة خيمه   هذا الذى اعتام الهدى تقديمه
هذا الذى نسعى غدا تسنيمه   هذا الذى جبريل كان خديمه
فى حضرة التشريف ازكى مصعد
هذا الذى شهد الوجود بخصه   بمزية التفضيل من مختصه
وابانه من وحيه فى نصه   هذا الذى ارتفع البراق بشخصه
فى ليلة الاسراء اشرف مهتد
هذا الذى غدقت الطلول حديقة   بجواره وبدت تميس انيقة
هذا المكمل خلقة وخليقة   هذا الذى سمع النداء حقيقة
ودنا ولم يك قبل ذاك بمعهد
فهناك كم رسل به تتوسل   وعلى حماه لدى المعاد تعول
يا ارحم الرحماء انت المؤمل   يا سيد الارسال انت الاول
فترق فى اعلا المكارم واصعد
الله رفع فى سراه مناره   وابان فى السبع العلا انواره
فقفت ملايكة السما اثاره   واراه جنته هنالك وناره
بوعيد ومخلد لمخلد
ومنها
لما اتيت لراحة اصل السرا   من بعد قصدى مكة ام القرى
انشدت قصدا فيه انشرحوها   واليكها يا خير من وطى الثرا
عذراء تزرى بالعذارى الخرد
كل الحسان لحسنها قد ادهشا   ما مثلها فى زيها شاد نشا
سفرت بعزم ما احتوا الحشا   نشات بطى القلب فى رتوت الحشا
زهراء من يرها يهل ويتجد
اتتك تشاى فى مداها الالسنا   وترى اساتها المجيد الحسنا
تعدو وتثنى العنان عن الثنا   واتتك تمرح كالقضيب اذا انثنا
مترنحا بين الغصون الميد

قد اعملت في المدح ثاقب ذهنها ترجو الحلول لدى قرارة امنها
وعسى اذا عذبت بتربة عدنها يجلو لك الاحسان بارع حسنها
والحسن يجلوها وان لم تنشد
مدحي لخير العالمين عقيدتي ومطيتي بل طيتي ونشيدتي
ونتيجتي وهدى اليقين مفيدتي ولئن مدحت محمدا بقصيدة
فلقد مدحت قصيدتي بمحمد
ادعوك يا مولاي دعوة حائر يشكو اليك صروف دهر جائر
والله يعلم في هواك سرائري وهو الذي ارجو لعفو جرائري
متوسلا بجنابك المتاصد
لولا حقوق عينة بمغارب لمكثت عندك كي تتاح مآربي
ويكون في الزرقاء عذب مشاربي حتى احلي من نداك ترائبي
وانال دفنا في بقيع الغرقد
وعليك من رب حباك صلاته وسلامه وهباته وصِلاته
ما ام بابك من رحمته فلاته لعلاك حتى زحزحت علاته
فاتيح حسن الختم دون تردد
وكما انشد ايضا وقد فاضت عليه انوار الروضة المشرفة فيضا
مر النسيم بربعه فتلذذا حتى كان النشر صار له غذا
فصحا وصح وصاح لا اشكو اذى قل للصبا ما ذا حملت من الشذا
امسست طيبا ام علاك عبير
يا ايها الحادي الذي من قومه قصد الحبيب وان يلم برسمه
هذي منازله فزمزم باسمه بابي الذي لم تزو زهرة جسمه
لكنه غصن الجمال نضير
لله شوق قد تجاوز حده اوفى على الصبر الجميل فهده
يا ناشق الكافور لا تتعده طوبى لمشتاق يعفر خده
في روضة الهادي اليه تشير
فهناك يبذل في التوسل وسعه ويصيخ نحو خطيبه سمعه
ويريق فوق حصى المصلى دمعه ويرى معالم من يحب وربعه

ومحمد للعالمين بشير

صلى عليه الله خير صلاته ... وحبا معاليه جليل صلاته
ما من ذوا الاشواق في جولاته ... وافي مغانيه على علاته

فانيح حسن الختم وهو قرير

فاميل الى مثل هذا الانشاد واشتهى ان اسمع من شدا في مثل هذه الاشارات وشاد حتى من الله علي ونظر بعين رحمته الي ووصلت الى تلك النواحي التي طال بكائي لاجلها ونواحي وشاهدت هاتيك المشاهد التي تعم بانوارها الخاصة كل مشاهد ووجدت ما وجدوه من الوجد لما حلوا في اكناف نجد فانشات هاتيك القصيدة البديعة الانشاء البليغة المنازع بلا منازع بشهادة الاستنشاء لمجاراتهم فيما سلكوه من تلك المسالك وزدت عليهم من المعاني في اوصاف تلك المغاني اضعاف ذلك ووجدت مكان القول ذا سعة وجلبت المعاني الشاسعة في ميادين البلاغة الواسعة فرميت بالحسد من الاقدار وغالتها يد السارق مع غيرها من وجوه الفوائد التي لم تعرف لها مقدار ولولا ان كنت انشدتها بين يدي الرسول وبلغت منها غاية المنا والسول لمت خنقا عليها وخرجت روحي شوقا اليها لكن داوى هذا المرض ما كان وقع من حصول الغرض ومع ذلك ما اسفت على شي مما ضاع اسفي على ادبها الذي قام نشره على الاقطار وضاع وهذه القصيدة هي المعنية بتمني الرد بقولي في الخطبة فياليته لو رد وهي التي سالني عنها بعض الاصحاب فانشدته مرتجلا والدموع كالسحاب

الا في سبيل الله ضاعت قصيدتي ... وان كان خير الخلق ابدى قبولها
فياليت شعري هل ترد لفكرتي ... واعلم منها شعبها وقبيلها

تقبلها الله تعالى وان ضاعت مني ورضي بها بفضله وكرمه عني امين وبادرت من المواجهة الى ايقاع الصلاة في روضة الجنة لا جعلها سترة لي بين الناس وضنه ثم اخذت اتنصل من ماثمي العظام التي اقوت القوة واوهت العظام واخاطب الرسول عليه السلام واقول سل لعبدك السلامة اذا تجلى للقضاء السلام وانشد دون ملام

يا من به طيبة طابت خلد وعلا   ومن بتشريفه قد شرف العرب
يا احمد المصطفى قد جئت من بلد   قاص ولى خلد قاس ولى ارب
ومذ دهتني ذنوب قلت اذ عظمت   لله منها وطء المصطفى الهرب
او انشد قول من وقف بين يديه وحط آمال الرجاء لديه
يا شفيع العصاة انت رجائي   كيف يخشى الرجاء عندك خيبه
واذا كنت حاضرا بفوادي   غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش في البلاد انتفاع   انفع العيش ما يكون بطيبه
وكيف لا ينتفع بالعيش من حل حول الرسول وهو قد حصل على المنى والسول
اذا كنت جارا للنبي وصحبه   ومكة بيت الله مني على قرب
فما ضرني ان فاتني رغد عيشة   وحسبي الذي اوتيته نعمة حسبي
وطاب بطيبة وظفر بملء العيبه وحمد السرى وطول الغيبه وتمتع في مسجد الرسول عليه السلام وتبختر في روضة من رياض دار السلام ابن عربي
يا حبذا المسجد من مسجد   وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلد   فيها ضريح المصطفى احمد
صلى عليه الله من سيد   لولاه لم نفلح ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره   في كل يوم فاعتبر ترشد
عشر خفيات وعشر اذا   اعلن بالنادي وفي المسجد
فهذه عشرون معروفة   بافضل الذكر الى الموعد
استنشق من اعرافها كل شذى وتضاعف من طيبها طيب العنبر والشذا قال ابن بطال رحمه الله من سكن طيبة يجد من تربتها وحيطانها رائحة حسنة وقال ابو شبلي لتربة المدينة نفحة ليس طيبها كما عهد من الطيب بل هو من عجب العجائب وقال ياقوت من خصايصها طيب ريحها وللعطر فيها رائحة لا توجد في غيرها وما احسن قول ابي عبد الله العطار في عرفها المعطار
بطيب رسول الله طاب نسيمها   فما المسك ما الكافور ما المندل الرطب
الشهاب طبنا بطيبة في الثرى وبدا لنا   عند العبير عبيرها الفياح
بلد به حرم عليه جلالة   للعفو في ابوابه مفتاح

وقد اطنب السيد السمهودي رضي الله عنه في تعداد فضائلها واسمائها
وذكر من اسمائها ما ينيف على الخمسين اسما وكذلك صاحب نزهة العيون
غير ان شهرتها بالفضل كافيه والعبارة بعضها رعشر ذلك غير وافيه
ومما يستدل به على افضليتها على مكة وتقوية ما اشرنا اليه هنالك
ما خرجه الحاكم في مستدركه مرفوعا اللهم انك اخرجتني من احب البقاع
الي فاسكني في احب البقاع اليك وروى الطبراني في الكبير والمفضل
الجندي في فضايل المدينة وغيرها عن رافع بن خديج قال سمعت وفي
رواية اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المدينة خير من مكة
وقد عقد السيد السمهودي لخصايصها فصلا سرد فيه ازيد من مائة
خاصية ارجحها كون النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر واكثر الصحابة
مخلوقين من طينتها واشتمالها على البقعة المتفق على تفضيلها حتى
على العرش وكنت الزم الصلاة في المسجد النبوي بل كنت لا اخرج منه
في الغالب الا لقضاء الحاجة واذا فرغت من الصلاة الزم السلام عليه
والصلاة واكثر من ذلك واستشعر قول الشهاب هنالك

صاح ان جئت طيبة وبدت   من قباها رؤس تلك القباب
صل فيها على النبي وسلم   عدد الرمل والحصا والتراب

وقوله

يا قائمين الى الصلاة بطيبة   نلتم مقاما بالنبي عظيما
فاذا جلستم في التشهد حوله   صلوا عليه وسلموا تسليما

وخرجنا عشية لزيارة بقيع الغرقد والاستضاءة بانوار ساكنيه المزرية
باضاءة الفرقد وتمثلت عندما اشرفت عليه والقلب في التهاب ما قاله فيه الشهاب

سقى بقعة فيها البقيع سحائب   اذا اقلعت القت دموع المراسيا
منازل لو مرت بهن جنازة   لقال الصدا يا صاحبي انزلا بيا
على انني لو مت فيها صبابة   اعيدت بها روحي الي كما هيا

واذا خرجت الى البقيع فاول ما يلقاك فيه اذا خرجت على باب المدينة
المسمى بباب البقيع قبة فيها صفية بنت عبد المطلب على يسارك وانت
ذاهب في الزقاق الذي وسط البقيع الى ناحية المشرق وان ملت الى اليمين
مع سور المدينة فهنالك مسجد صغير قيل ان فيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم

حين خرج يستغفر لاهل البقيع وقيل هو زاوية عقيل بن ابي طالب التي دفن فيها وفيها دفن كثير من اهل البيت روى خالد بن عوسجة قال كنت ادعو ليلة الى زاوية دار عقيل فمر بي جعفر بن محمد فقال لي اعن امر وقفت هنا قلت لا قال هذا موقف نبي الله بالليل اذ خرج يستغفر لاهل البقيع قال المراغي وقد اخبرني غير واحد ان الدعاء هناك مستجاب فاذا مررت كذلك تحت سور المدينة يمينا الى ان تواز ى قريبا من زاوية سور المدينة الذي فيه مشهد السيد اسمعيل فهناك على يسارك القبة المائلة في الهواء وفيها مشهد العباس ومشهد الحسن بن علي ومشهد امه رضي الله عنهم على المشهور ومشهد زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وكثير من اهل البيت رضي الله عنهم وعليهم ورا بيزها ئلة حسنة بديعة النقش والصنعة ذكر الزين الحنبلي ان باني هذه القبة العظيمة هو الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضئ ولما دخلنا هذه الروضة وقفنا امام العباس نستدفع ببركته كل باس ونستسقي بجاهه غيث الرحمة اذ به كان يستسقي للناس

زر بعد خير الرسل تربة عمه واثن الدعاء به على العباس
واستسق سحب دموع عينك حوله فلطالما استسقى به للناس

ومثله قول الاخر

نسيم اذا وافيت طيبة تربة يطيب بها عند العبور عبيرها
وان زرت عم المصطفى في بقيعها تجد تربة العباس يبسم نورها

ثم التفتنا الى مشهد الامام الحسن وسالنا من الله بجاهه ان يمن علينا بالختم الحسن واستنشقنا طيب تلك الريحانة التي فاقت الرياحين وغمرتنا والحمد لله بركاتها الظاهرة في الحين

حوى الحسن بن فاطمة ضريح به ريحانة ابدا تضوع
فلا تعجب لقولي حين ادعو امن ريحانة الداعي السميع

وتوجهنا لمشهد السيدة فاطمة التي امست محبتها لكل محب عن الشهوات فاطمة وسالنا بجاهها العيشة الراضية والحالة الناعمة واقبلنا على كل من شملته باخلاص النية في بلوغ الامنية ثم توجهنا لزيارة المشاهد

التي

التي بين هذه القبة وزاوية دار عقيل فزرنا مشهد امهات المومنين
كلهن ما عدا خديجة فانها بمكة وميمونة فانها بسرف كما سبق وزرنا
المشهد المنسوب لعقيل بن ابي طالب رضي الله عنه وسالنا الله فيه ان
يكمل لنا في كل ما سالناه منه وذكرت حوله قول الشهاب ابن ابي حجلة فيه موريا

سالت فتاة في البقيع اهاهنا مزار عليه للوفاء دليل
فقالت لنا هاهنا وذاك كلاهما خليلا صفاء مالك وعقيل

قيل في مشهد عقيل قبر ابن عمه ابي سفين بن الحرث روي ان عقيل بن
ابي طالب راى ابا سفين بن الحرث يجول بين المقابر فقال يا ابن عمي
مالي اراك هنا قال اطلب موضع قبر فادخله داره وامر بقبر فحفر
في قاعتها فقعد عليه ابو سفيان ساعة ثم انصرف فلم يلبث الا يومين
حتى توفي ودفن فيه وزرنا المشهد المنسوب لبنات النبي صلى الله عليه وسلم
ما عدا فاطمة وزرنا مشهد سيدنا ابرهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قبره
وقبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه وقد جاء في الحديث ان اول من
دفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع عثمان بن مظعون فلما توفي ابنه
ابرهيم قالوا يا رسول الله اين نحفر له قال عند فرطنا عثمان بن مظعون
وفي الحديث ما يدل على ان بنات النبي صلى الله عليه وسلم هناك ايضا كما في
الطبراني وغيره وفي هذا المشهد قبر فاطمة بنت اسد ام علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كما حققه السيد واستدل له باحاديث وقال بعدها وهذا
صريح في مخالفة ما عليه الناس اليوم في المشهد المنسوب اليها قال ابو سالم
والمشهد المنسوب اليها اليوم في فم زقاق اقصى البقيع من شرقيه بل قال
اهل التحقيق انه ليس من البقيع البتة وفي هذا المشهد ايضا قبر عبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنه وفيه ايضا سعد بن ابي وقاص وفيه ايضا قبر
عبد الله بن مسعود وقبر خنيس بن حذافة السهمي زوج حفصة قبل النبي صلى
الله عليه وسلم وقبر سعد بن زرارة كما ايد ذلك كله السيد باحاديث تدل على
ثبوت تلك المقابر في هذا المشهد ثم قال بعد بسطه ذلك غاية البسط
موئدا باحاديث في غاية الصحة والضبط فينبغي السلام على هولاء كلهم عند
زيارة مشهد سيدنا ابرهيم ولذا قدمنا ذكرهم معه وتخلط على ابي سالم

فكان اعتراضه غير سالم وزرنا مشهد امير المومنين عثمان بن عفان
رضي الله عنه بموضع يسمى حش كوكب في اقصى البقيع من ناحية المشرق
وعليه قبة عظيمة هائلة قريبة العهد بتجديد البناء وقد ذكر ابن
الحنبلي ان الذي بنى تلك القبة هو اسامة بن سنان الصلاحي احد امراء
الصلاح يوسف بن ايوب سنة احدى وستمائة وما زالت تتجدد من
ذلك الوقت وامتثلنا قول من قال واخلص النصح في المقال

زر بالبقيع امير المومنين تبت عند ابن اروى من الغفران رثيانا
وقل لطرفك ان اجرى الدموع دما الله اكبر يا ثارات عثمانا

وزرنا المشهد المنسوب لحليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم
وزرنا مشهد الامام مالك بن انس رضي الله عنه اذا خرجت من باب
البقيع كان مواجها لك على يمين زقاق البقيع الذي يشق وسطه وذكرت
عنده قول الشهاب فيه موريا وملمحا

سالت صدمعي بالبقيع وقد بدت به تربة يدعو بها كل سالك
اقبر عقيل ذلك القبر قال لا وحقك هذا كله قبر مالك

وزرنا القبة التي الى جنبه المنسوبة لنافع مولى ابن عمر وقيل نافع القاري
وقيل غير ذلك وزرنا المشهد المنسوب لفاطمة بنت اسد باقصى
البقيع وقد مر عدم ارتضاء السيد لذلك وقال عند ذكره لهذا المشهد
الظاهر انه مشهد سعد بن معاذ الانصاري رضي الله عنه وزرنا المشهد
المنسوب لابي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد اغفله السيد كما اغفل
مشهد حليمة فليحرر ما موجب ذلك هل احداث بنائهما بعده او عدم
ثبوتهما عنده ورحنا من البقيع فصلينا المغرب والعشاء في روضة
الجنة وتمت علينا لله المنة واصبحنا من الغد مع طلوع الشمس في احد
الجبل العظيم القدر المستضاء بمن حواليه من الشهداء استضاءة الافق
بالنجوم والبدر فاول ما زرناه به مشهد حمزة بن عبد المطلب عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه في القبر عبد الله بن جحش وهو ابن اخت حمزة
ومعهما في القبر مصعب بن عمير وهو الجاري على لسان الناس في هذه الازمان
وقال السيد الصحيح انه ليس معه احد وان مصعبا وعبد الله دفنا

بتربة

بقربه فيسلم على الثلاثة في مشهد حمزة والمشهد عليه قبة عالية متقنة وبابه
مصفح بالحديد وحوله بناء متسع فيه بئر وفيه مواضع للوضوء متصلة
بالسطح قال السيد والقبر الذي عند رجل سيدنا حمزة والذي بالصحن
ليسا من قبور الشهداء وفي خارج المشهد بئر اخرى كبيرة وبازائها صفة
مسجد وتحته ماجل ماء يهبط اليه بدرج وباب المشهد في سائر الايام مقفل
لا يفتح الا يوم الخميس في غير الموسم ياتي من المدينة بقصد فتحه وهو
صدقاته وزرنا القبور المنسوبة للشهداء بعد حمزة واما كونهم ليست معلومة
العين على التحقيق لكنها معلومة الجهة فاما مصعب بن عمير وعبد الله
ابن جحش فيسلم عليهما مع حمزة كما تقدم واما سهل بن قيس من بني سلمة
فقبره دبر قبر حمزة شاميا بينه وبين الجبل واما عمرو بن الجموح وعبد الله
ابن عمرو بن حرام ففي الموطا انهما في قبر واحد مما يلي السيل قال الواقدي
ومع عمرو بن الجموح في القبر خارجة بن زيد وسعد بن الربيع والنعمان
ابن مالك وعبد بن الحسحاس قال ابو غسان وقبورهم مما يلي المغرب
من قبر حمزة نحو خمسمائة ذراع قال السيد وقد تاملته فوجدت ذلك
بالربوة التي عزلى المسيل الذي هنالك ومجرى العين بقربهم من القبلة
وقد روي ان ابا ايمن مولى عمرو بن الجموح معهم ايضا وكذا خلاد بن عمرو
ابن الجموح فيسلم على هؤلاء الثمانية هنالك قال واما بقية الشهداء
فلا تعرف قبورهم والذي يظهر انها بقرب الموضع المذكور وقرب قبر
حمزة رضي الله عن جميعهم وقد عد السيد اسماءهم كغيره من اهل السير
وتبركنا بجميع نواحي الجبل وما فيه من المواضع معلومة وغيرها لان فضل
جبل احد معلوم مشهور ومزيته وشرفه مقرر بين الخاصة والجمهور فقد قال
فيه عليه الصلاة والسلام جبل يحبنا ونحبه وكان ياتيه وقال انه على باب
من ابواب الجنة وترابه يستشفى به ولذلك استثناه الزركشي من نقل
تراب الحرام ولكنه قصره على حمزة لان التداوي بتربته متداول مشهور
بالشفاء من الصداع وقال السيد تربة صهيب اولى بذلك ومحل الشهداء
الان يعبر عنها اهل المدينة بالمعركة وزرنا هنالك المسجد المشهور بمسجد
الثنية ومن هنالك تيممنا لناحية قبا والتبرك باثارها ومساجدها

التيم صح

قال ابو عبد الله الفيومي

لله يوم في قبا قد مر بي | في جمع احباب وبسط زايد
وتمتعت في روضة حدائقنا | بحدائق تسقى بماء واحد

وابنا الى المدينة المشرفة فجددنا الطهارة بالماء الفايض في نواحيها وكله من البئر المعروفة بالعين الزرقاء وهي في حديقة قريبة من بئر اريس كثيرة المياه كبيرة جدا قد امدت بمياه آبار متعددة منها بئر اريس فصارت متبحرة يشخب فيها ميزابان عظيمان من مياه غيرها من الآبار فاتخذت لها اسراب تحت الارض الى ان خرجت الى بطحان ثم الى غربي المدينة فقسمت جداول فادخل منها الى المدينة ما احتيج اليه فظهرت داخل المدينة في مناهل متعددة وبني لها بناء متقن يهبط اليها في نحو ثلاثين درجة محكمة البناء متقنة الوصف واسعة المشي منها يستقي اهل المدينة كلهم لشربهم والذي رايت منها ثلاثة مواضع احدها شرقي المسجد بينه وبين باب البقيع في المكان المسمى الآن بالحرة والآخر خارج باب السلام في الناحية الغربية عند سوق المدينة بالبلاط والآخر شامي المسجد بعيدا منه الى ناحية باب الشامي واما خارج المدينة فاخرجت في محال متعددة ايضا لم تزل تقرب من وجه الارض قليلا قليلا كلما انحدرت في ارض المدينة الى ان خرجت على وجه الارض قريبا من الغابة قريب شرقي مسجد رومة بينه وبين احد وعليها هنالك مزارع وقد رايت جدولا منها قريبا من مسجد الراية في طرف ذباب يهبط اليه في نحو ثلاث درج وهذه العين المباركة من اغزر العيون واحلاها ماء والذه بها جل انتفاع اهل المدينة ومنها كل السبيلات الموقوفة بها ومنها تملا الدوارق التي توضع في الحرم الشريف للشرب وهي تكاد لا تحصى كثرة فما اعظم بركتها واوسع نفعها ولقد شاهدت من يستشفي بمائها فيشفى ولله در القايل

لئن كان في زرق العيون شامة | فعندي ان اليمن في عينها الزرقا

ويا ما احسن قول الشيخ ابي عبد الله الفيومي مورّيا

سكان طيبة يبلى الحب منكم | والشوق منه ليوم العرض في طول

تامه

تالله لم يشبه المقياس روضتكم ولا تسلّى عن الزرقاء بالنيل
قال الامام ابو سالم وتسميتها بالعين الزرقاء من لحن العامة وصوابه
عين الازرق لان مروان الذي اجراها لمعاوية كان ازرق العينين فلقب
بالازرق وكان اجراؤه لهذه العين بامر معوية لما ولاه المدينة وكان
لمعوية اهتمام بذلك فاجرى بالمدينة وما حولها عيونا كثيرة دثرت كلها
ولم يبق الا هذه العين المباركة وقد اعتني بشانها من قبل السلطنة ولها
اوقاف معلومة وجراية تاتي من السلطان ولها امير معلوم وله خدام يتعهد
احوالها على ممر الازمنة ويصلح ما وهى منها ولولا ذلك لدثرت كغيرها
من العيون قال السيد ومن الغرايب ما ذكره الميورقي في فضل الطائف
عن شيخ الخدام بدر الشهاب انه بلغه ان ميضاة وقعت في عين الازرق
بالطايف فخرجت بعين الازرق في المدينة قال ابو سالم ولعل هذه الحكاية
وامثالها هي السبب في اعتقاد كثير من جهلة الحجاج ان العين الزرقاء
اصلها من مكة وانها هي التي جاءت الى مكة من ناحية عرفة من جبال
وراءه ويقولون انه لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته فهي التي
ظهرت بمر الظهران ثم بخليص ثم ببدر ثم بالخيوف كلها الى ان وصلت
المدينة ويصمون على ذلك حتى اني رايت بعض من هو معدود من
الفقهاء يعتقد ذلك فقلت له كما قال الامام ابو بكر بن العربي رضي الله عنه
في مسئلة الصلاة على النجاشي حيث قال بعضهم رفع له حتى رآه فصلى عليه
فان الله على ذلك لقادر وان نبينا لاهل لذلك وفيما صح من معجزاته صلى
الله عليه وسلم والايات الظاهرة على يديه غنية عن انتحال ما لا اصل له قال
وبطلان كون هذه العين من مكة اوضح من ان يذكر فانه لم يكن
في زمنه صلى الله عليه وسلم بعرفة ولا بمكة ولا بالمدينة عين تذكر على هذا النعت
ولا ما يقرب منه وانما اجريت هذه العيون بعد ذلك بازمان ولما دخلت
المسجد النبوي فصليت في روضة الجنة وقصدت المواجهة الشريفة لاتخذها
جنة فجددت التسليم على الرسول وصاحبيه ابي بكر وعمر وتنعمت بالنظر
الى الكوكب الدري الذي هو ازهى من الشمس والقمر ثم جلست استريح
واستنشق من روضة الجنة اطيب ريح وورد علينا صاحبنا ومحبنا

الفقيه العلامة ابو عبد الله محمد بن عبد الله الفيلالي المذكور فيمن
لقيناه بمكة وكان تعرض لنا وقت دخولنا وانسنا وجاء بعده ولده
ابو يحيى سيدي محمد وانطلقنا الداره مع جماعة من اصحابنا واحضر من
الاطعمة المنوعة المختلفة والموتلفة ما نسال الله تعالى ان يكافئه
عليه ويكرمه يوم القيامة بالنظر اليه واما الفواكه والخضر الوقتية
من العنب الجيد والرطب الحسن والبلح المزهو وغير ذلك ما يعجز عن
تحصيله هنالك جزاه الله خيرا ولقينا في المسجد النبوي ايضا صاحب
والدنا الفقيه الناسك الخير الصالح الشيخ سليمان الحصيني وجماعة
من اصحابنا المغاربة وبتنا هذه الليلة في المسجد النبوي متصلين
بالشباك الا نود فيما بين الروضة والمنبر وامتلا المسجد الشريف
بالوفود واجتمعت فيه جماعات لا يمكن وصفها اذ الوصف يقصر عن
ادراك ذلك المنظر الباهر ويكل دون جماله الزاهر وبعد صلاة
العشا اخذنا في انشاد القصايد المدحية من البردة والهمزية وغير
ذلك وانشدت عند راس الرسول عليه السلام قصيدتي المتقدمة الذكر
وطاب بشراب معانيها الشرب والسكر وظهرت لي اثار قبولها ٥
واستنشقت ارواح شمالها وقبولها ولذلك اشرت بالبيتين السابقين
في الوصف لها والشوق اليها وكيف لا اشتاق لبكر تشح الافكار
بمثالها وتعجز فوارس الابكار عن حسنها وكمالها وذكرت هنالك
ايضا قصيدة اخرى كنت اتخذتها عند الرسول غنيمة وذخرا كنت
اشتاق في اولها لتلك المساكن واشتهي ان القى من بها ساكن واولها

يا بارقا لاح من قبا سحرا — بحيث حل من النهى سحرا
اعار قلبي خفقا واخلف فاستعار من سحب مقلتي مطرا
واذكر العهد من سعاد ولم — انس وهاج الاحزان والفكرا
ايام نسقى بها الشمول على — روض يشاكل زهره الزهرا
وغصنه طربا تميله — ريح الشمال ليلثم النهرا
ونهره كالحسام جرد في — وسط الرياض يسيل منهمرا
وزهره فيه صار منتظما — لما غدا القطر فيه منتثرا

ام هل اطيب بطيبة زمنا وهل اعود من عطرها عطرا
وهل أرى منشدا بساحتها مدح الرسول المبعوث من مضرا
محمد المصطفى الرسول ومن على جميع الارسال قد ظهرا
قطب على الانبياء قاطبة وخير كل الاملاك والبشرا
لولاه ما طلعت ذكاء ولا لولا الهلال والكون ما ظهرا
له المحاسن كلها جمعت فكامل الحسن فيه ما شطرا
يخجل شمس الضحى بطلعته وقمرا التم نوره قمرا
وقده فضح الغصون ومن مبسمه راح يفضح الدررا
نور الصباح يحكي اسرته وسدفة الليل تشبه الشعرا
كم معجزات على يديه بدت عن حصرها كل شاعر حصرا
فما تعد ولا يحاط بها ومن يعد النجوم والمطرا
قد خصه ربه الحكيم بمعجز الكتاب فا عجز الشعرا
ويوم مولده بدت عبر لمن رآها يا حسنها عبرا
بنوره نار فارس خمدت كذاك كسرى ايوانه كسرا
والظبي والضب والذراع له قد فصحت بالكلام دون مرا
وقد رأى ربه بمقلته ليلة اسرى ولم يزغ بصرا
والشمس قد ردها الاله له بعد المغيب وشق القمرا
في كفه سبح الحصا وبها فاض الزلال المعين وانفجرا
وزق الحمام حمت مكانته كذا له العنكبوت قد سترا
والعين قد ردها واعذبها بريقه وسحابها بدرا
والدوح قد اقبلت بلا قدم تسجد بين يديه اذ امرا
وكم وكم راحة براحته بلت واذهب لمسها ضررا
هذا هو الفرد في محاسنه هذا الذي لا يقاس بالنظرا
اسال ربي الاله يمنحني بجاهه ما يقر لي النظرا
وان يكون الختام لي حسنا اذا رايت الحمام قد حضرا
فيا رسول الاله تشفع لي فانني قد اتيت مفتقرا
قد حملتني ما تمى نفله وليس لي شافع سوا الورى

ثم الصلاة عليك ما سجعت ورق على ورق الربا خضرا
وما شدا شائم بروق قبا يا بارقا لاح من قبا سحرا

وذكرت ايضا قصيدة كنت قلتها في زمن الصبا لما مال القلب لمدح الرسول فصبا وكان الطف فيه من نسيم الصبا واولها

ترنم الطير على غصن بان اذ بان غيم الجو والصحو بان
وقامت الادواح راقصة لما حكى القمري صوت القيان
فلتغتنم يومك في روضة كانها من غرفات الجنان
روضة انس نور نوارها يشبه نار الشوق وسط الجنان
تذكر العاشق نسمتها نسمة ارض شانها اي شان
ارض بها حل الحبيب الذي قد كل عن تكييفه الثقلان
اشرف مخلوق واكرم من قد خصه الله باعلا مكان
محمد المختار خير الورى الحامد المحمود طول الزمان
من وجهه الوجه الجميل الذي تخجل من انواره النيران
ومن حوى الحسن باجمعه وجمعت فيه الخصال الحسان
واظهر الله على يده كم معجزات افصحت عن بيان
ان الذي اعجز من شرف عن حصره يعجز انس وجان
بالحق رب الخلق ارسله فاتضح الحق به واستبان
وكم حباه الله من آية بينة بانت لقاص ودان
شق له البدر وردت له بعد المغيب الشمس والصخر لان
والضب والظبي بمجلسه قد كلماه بفصيح اللسان
والدوح جاءته على سوقها تخط في الارض بغير بنان
هذا اجل الخلق قاطبة هذا شفيع الخلق يوم الرهان
هذا الذي في حسنه مفرد هذا الذي ليس يقاس بثان
اسال ربي الله يمنحني بجاهه فوزا بنيل الاماني
وان يكون الختم لي بالرضى فانه ذو الجود والامتنان
ثم صلاة الله دائمة ما كتم الصب هواه وصان
على النبي وآله والصحب ما ترنم الطير على غصن بان

وختما

وختمنا ذلك المجلس الحفيل بتلاوة الذكر وتوجهنا الى الله تعالى فى تلك الاوقات والامكنة المعروفة باجابة الدعاء فلاجزاء عليها الا الشكر وتضرعنا الى الله تعالى نتوسل برسوله اليه ونلم بحوايجنا عليه ونسال خيرات الدنيا والاخرة ونطلب بجاهه الدرجات الفاخرة فياما اسعد ليلة طاب للمشوق فيه ان يصل بالسهر نهاره وليله وياما احلى فيها كاسات الوصال وياما اكثر راحة الارواح فيها ولا وصال يستعذب المشتاق فيها عذاب السفر ومشقاته ويستقرب ما نعب الا قراب من بعيد شقاته ويحمد السرى ويتمنى ان لو كان دائما فيمن سار اليها وسرى فياخذه استلذاذ تعداد المراحل اليها وانشاد القصايد المشتملة عليها ويهيم كما همت فى جماعة اغرموا بقصيدة البدر ابن جماعة التى ذكر فيها جميع المراحل وقال وهو الى الحرمين الشريفين راحل

دعى الشوق داعى الشوق حين دعاها ... فلبت وبلت بالدموع خطاها
فلا تزجراها فى المسير فعندها ... من الشوق ما لو خليت لكفاها
تسير بمسراها الى ارض مكة ... لتنشق منها عرفها وشذاها
وتنهل من تلك الموارد نهلة ... فتطفى ببرد الماء حر حشاها
عساها اذا جدت تجد راحة لها ... وتمحو بحسن القصد قبح خطاها
لقد عاينت فى سيرها كل شدة ... تكابدها فى صبحها ومساها
فمن بركة الحجاج سارت بحثها ... من الشوق حادى العيس حين حداها
وقد يممت وادى البويب بعزمة ... لتحمل عند الصبح فيه سراها
فزت بروض الكبس والدهر ضاحك ... من السحب لما طال فيه نواها
مراكع موسى والمصانع قبلها ... اتت وهواها للتوسل دعاها
ولما رات وادى القباب تبادرت ... وفى نخل امست وطال مساها
وفى السطح امست واستقرت هنية ... وفى ايلة الفيحاء كان ضحاها
الى حقل سارت والغرام يقودها ... وبين جروف وردها ومناها
بوادى عنان باشرت ثم يممت ... مغار شعيب كى يزول ظماها
وقرت عيونا بالعيون وراجعت ... وقد طلقت اجفانها لكراها
ولا تنس وادى النبك اذ نزلت به ... فزدت وسارت تستلذ عناها

وفي ارض سلمى سلمت ثم يممت   كفافة تكفيها شديد صداها
وفي ازلم حلت وقد طاب عيشها   ومنها الى اصطبل سار خطاها
ومن بعده جارت الى الوجه وارتوت   وسارت الى اكرى وطاب هواها
وياحبذا الحوراء للركب منزل   ومن بعده نبط يفوح شذاها
وفي ينبع كان المقام فحبذا   ديار لعمري لو احبت سواها
وامست على الدهناء والشوق ساقها   الى نحو بدر والسرور علاها
وبالقاعة البزواء حطت رحالها   وفي رابغ لبى الحجيج شفاها
وارض خليص حبذا ذاك منزل   به بلغت كل النفوس مناها
وفي بطن مر قد نزلنا عشية   ومن مكة لوحت بروق سناها
وقرت نفوس كان اقلقها السرى   وزال لعمري بؤسها وشفاها
وبعد يمان فاستعلوا الى منى   وصلوا وباتوا ساكنين رباها
الى عرفات بعد ذاك توجهوا   وحلوا بها مستغنمين دعاها
وفي جمع لهم ليلة مضت   فما كان احلا ذكرها وسناها
فصلوا وساروا الى قاصدين منى   وما منهم الا الجمار رماها
وضحوا الضحايا حالقين رؤسهم   وعاد الى تلك العيون كراها
وبعد طواف البيت عادوا الى منى   وكم من امان نالهم بمناها
اقاموا بها مستوطنين بلدة   يودون فيها لو يطول مداها
وساروا الى الهادي واطرب سمعهم   بذكراه حادي العيس حين حداها
الى بدر عادوا ثم منها توجهوا   بقصد الى الصفراء وقت ضحاها
ومن بعدها ساروا العقيق وهم سوى   ليثرب حياها الحيا وسقاها
يزورون قبر المصطفى معدن الحجا   نبي الهدى اعلا البرية جاها
هو المصطفى خير البرية احمد   شفيع الورى يوم القيمة طاها
كفيلهم والنار قد احدقت بهم   فاوى فؤادهم حرها ولظاها
اليك رسول الله يامن بفضله   جميع المعالي كلها تتباها
ضيوف اتوا يبغون جودك والقرى   وحاشا وكلا ان يخيب رجاها
مرادهم منك الشفاعة في غد   اذا اسمع الداعي النفوس دعاها
عليك صلاة الله مالاح بارق   وما طاب من وادي زرود صباها

وآلك والاصحاب يا خير مرسل صلاة تعم السامعين مداها
ومن الصباح اخذت الركاب في الارتحال والقلوب من الم الفراق في اوجال
واوحال وللحال قد حال وفاضت عبرات الفراق التي لا تعالج بمداواة
الفراق ارسلت مقلتي دموعا غزارا وحوت اضلعي لهيبا ونارا
وتناءى صبري وهل يجد بعد بعد الصب سلوة واصطبارا
يا ديار الاحباب كان اختياري ان اراك المساء والابكارا
ذاك لو يسمح الزمان ولكن ليس لي ان اعارض الاقدارا
ليس عزمي رضى وعن طيب نفس انما كان بالقضاء اضطرارا
واختياري ان لا افارقك الدهر ولكن لا املك الاختيارا
فعسى الله ان يمن بعود وعساه يطفي لهيبا ونارا

ذكر خروجنا من المدينة المشرفة الطاهرة الى مصر القاهرة

كان خروجنا من المدينة المشرفة اليوم الثالث من دخولنا اليها وقلوبنا تزداد اسفا عليها بعدما ودعنا النبي صلى الله عليه وسلم واقبل القلب والقالب عليه وما سلم وفارقناه ونحن نعثر في اذيال الحسرات ونتبع الزفرات بالزفرات وكيف فقنا لا شوقا جلب علينا رجله وخيله ولم نبت في تلك الروضة المشرفة الا ليله

وخرجنا وللقلوب التفاتا ت اليه وللجسوم انثناء

وشرعنا في الرجوع في الحافرة حتى وصلنا الجديدة وسقى الناس جود الماء وحينئذ وحمل الناس احمالهم واخذوا اسلحهم ومالهم ومنها نزلنا بالدهناء ومر وصفها مستوفى فبقينا منه في هناء ومنها نزلنا بندر الينبع الذي لا تزال ينابيعه تنبع فاقمنا فيه يومين وقامت هنالك سوق عظيمة كالتشريق او اعظم وحضرت فيه انواع المطاعم والمشارب والفواكه وغير ذلك وهبت هنالك ريح سموم فعالة في الخلق فعل السموم فمات من الخلق في الينبع والدارين بعده ما لا يحصر احد عدده وفي بندر الوجه الفينا الملاقاة وردت للحاج من مصر لتذهب عنه ما عسى ان يصيبه من الاصر واقمنا هنالك يومين وكانت سوق عظيمة رخصت فيها الاسعار ولم يبق عار وورد

الحلاوى وانواع السكر والفانيد وغير ذلك وهنالك ورد علينا
رماص من العرب ببراوات كثيرة تتضمن موت السلطان وتزعزع
الاوطان وتنضب الماء فى الوجه وتغير لقلته كل وجه وذهب
بعض الناس لمنهل الزعفرانى فلم يكتفوا من مائه الفانى وفى اثناء
الطريق كلها كثيرا ما كنا نجتمع مع الشيخ يوسف الشرقاوى خطيب عرفات
المتوجه بصدد ذلك من مصر وكلما مر بنا جلس لينا وحدثنا باحاديث مطربة
واحضر لنا انواعا من الفواكه ولاسيما زبيب غزه واكثر فيه جوزه ولوزه
وتمم لنا الشهوه بفناجين القهوه وكان يدور امامه مملوك يعده اللطف
فى مراتب الحسن من الملوك فطلب منى بعض الاصحاب ان اقول فيه ابياتا
لطيفه تجمع رقيق الغزل ولطيفه وكنت ساعفته بذلك فى ابيات
هلكت فى الهوالك واظن اولها

وعشية كم عيشت من ناعس حلف الغرام واذكرت من ناس
جادت بوصل مهفهف كالروض فى الازهار والازهار والايناس

وفى كل بندر كنا نلقى بلدقاه جديده مشتملة على انواع من المحتاج مديده
وكان الفول والشعير فى جميعها بارخص سعر والجنس من ما راى
الحجاج مثله منذ زمن ولما اشرفنا على مغارة شعيب اردنا زيارتها
وكان معنا الفقيه الخير المسن ابو العباس احمد الطيلوفى فتذاكرنا
معه فى ذلك فاخبر بعض العرب وسال منهم التوجه معنا الى ذلك
فساعفونا جزاهم الله خيرا ووقفوا معنا حتى قضينا الغرض من ذلك
الامر الذى عرض وفى تلك الليلة ظهر فضل الله علينا وبان وعلمنا
ان الله تعالى يقرب منا القربان اذ فيها سرق لنا الخرج بما فيه وضاعت
لنا تلك الرحلة البديعة التى لا يستكمل بليغ وصفها ولا يستوفيه مع
غيرها من الكتب القديمة والحادثة وما شاء الله من الذهب والريال
والفضة وغير ذلك من الحوايج النفيسة التى اغتالتها ايدى هذه
الطامة الحادثة جعل الله لنا ذلك ذخيرة عنده وعوض بخير منه
عنده ولما وصلنا بندر مجرود وقضينا الارب من مائه الذى ليس
بمشروب ولا مورود فارقنا الركب المصرى من هنالك وتقدمنا وحدنا

في تلك المسالك فبتنا بعد مجاوزة الدار الحمراء ذات التربة الحمراء ومنها
وصلنا للبركة ظهرا فالفيناها قد بهرت بمحاسنها بهرا وجمعت من
الاقوام ما يعجز عن استيفائه الاحصاء ولا يبلغ معشار طله استقصاء
خرجوا لملاقاة الحج وكلهم يبالغون في الترحيب بمن زار بيت الله وحج
وفيها من الفساطيط المرونقة والاخبية المونقة ما يقضي له بالعجب
ويحكم للملائكة بالرحب وحوالها من الاتراك والاجناد ما لم يتفق
في ناد وورد علينا الفلاحة فيها بانواع الفواكه والطعام حتى
اكتفى من ذلك الخاص والعام وتنا هنالك في عيش ارغد وتوجهنا
لدخول مصر من الغد **ذكر دخولنا لمصر وما جرى من المجالس التي**
لا تقبل الحصر كان دخولنا لمصر صباح يوم الجمعة عاشر صفر الخير من
عام اربعين ومائة والف فتلقانا الفنا ونعم الالف رفيقنا ابو
عبد الله بباب النصر وفرحنا به فرح المهزوم بالنصر ودخلنا معه
والفيناه اكترى لنا محلا انزلنا فيه الامتعه وورد علينا عمه سيدي
الحاج مسعود الرجل المبارك المسعود فبالغ في التسليم ورفع المقدار
ثم انطلق بنا الى الدار واحضر لنا من انواع المشارب والمطاعم
كل نوع ناعم واوسع الخدم والعشائر واظهر من سنة اكرام الواردين
اسنى الشعائر كثر الله الخيرات عليه واجزل مواهبه السنية اليه ولم
يزل يتعاهدنا اياما بالطعام ويبالغ في الانعام ولما زال عنا شعث
السفر شرعنا في قراءة الخلاصة مع رفيقنا المذكور ليجدد العهد بالقراءة
ويتبصر من مبادي العربية في امور وبقي معنا حتى استهل ربيع الاول
واشتد شوقه للسفر فما هبت له وعول وعزم على ركوب بحر سويس
والتوجه الى المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ليغنم
بعض اقامته في مشاهدة تلك الانوار النبوية السنية فلم نجد بدا من
مساعفته على ذلك ومساعدته على التوجه هنالك وفارقنا في اواسط
الشهر المذكور وتركنا حيارى لفراقه بعدما تم استمتاع به ومرافقته في مراجعه
وملاعبه ومحادثته في تلك الايام التي تعد الطول من الاعوام

وسار الى السويس ولي فؤاد   به من نار فرقته اتقاد

فيا ليت الزمان يجود يوما   بلقياه وما دهري جواد

ولم يزل يوجه لنا الرسائل وكلما وردت رسالة من سويس هاجت الدمع
السائل وبلغت الوسائل من قلق عن احبته باحث وسائل ولم ينقطع
ذلك حتى ركب في البحر بالسلامة التامة والعافية العامة ان شاء الله تعالى

فنسأل مولانا كما قدر البينا   واسكب من عيني لفرقته عينا
يقدر باللقيا سريعا فانني   وقد قرّ من لعاجيب الحشا عينا

ولما صار اثرا بعد عين وحال بيني وبينه قدر البين بقيت بعده في
قنط لم يحز مثله من ايس ولا من قنط لولا ان امتن الله علينا بالاخ
في الله والمحب من اجله الفقيه النبيه المشهود بذكائه وفضله الاديب
الاريب الذي لا يستطاع ثاقب ذهنه وبارع عقله الناسك الورع
الذي ورد من بحار العرفان وعقله بهجة الزمان ولهجة اللسان
ودرة الجمان ودرة الاحسان اجل من اجله المحلون وامثل من انخرط
في سلك جلا لتد المحلون محبنا الاجزيد عبد الرحمن بن الفقيه المودب الناسك
المجد ابي العباس احمد بن جلون ادامه الله مترقيا الى سموات المعارف
واسبغ عليه فوق ما يومل من الاحسان والعوارف وابقاه ثمالا للعلماء
حيثما كان وارقاه الى مراتب الافاضل الكرماء في كل مكان فانه حفظه
الله قام لنا مقام ذلك الرفيق المساعد بما حواه في الاحسان من طول
اليد وامتدادا لساعد فكان ياخذ بايدينا في جميع المقضيات مقاربة
ومباعدة مع تمام المساعفة والمساعدة الى جود يقف الجود دون
الوصول اليه وكرم خلق لا معول في الحلم الا عليه فكنا نجد به من
الانس ما نسال الله تعالى ان يجزل له عليه جميل الثواب وكان يسدي
الينا من الاحسان ما يقصر دونه اللسان ولا يسعه الخطاب والجواب
مع السعي في حوايجنا ومقضياتنا بالوجه الممكن والجد في نفعنا دنيا
واخرى بكل ما يتيسر من الطرق ويمكن والتنويه بقدري الخامل وتنزيه
ذكري في كل محفل كامل وتعلني اعزه الله من الولاية الى الدار فجعلني
بفضله القطب الذي عليه المدار واخذ يسدي لي من الاحسان ما
لا يستطيع المكافاة عليه انسان فلذلك توجهت الى الله تعالى ان يتولى عظيم

جزائه على ما كان من نعمائه

وكيف اؤدي شكر من ان شكرته على بر يوم زادني مثله غدا

واما العبارة فهي قصيرة في مدحه وان طالت وانى لها باستيفاء مآثره ومكارمه التي صالت على الانام وطالت

ولو ان لي في كل منبت شعرة لسانا يبث الحمد كان مقصرا

وكنت اتناول معه الكلام في امور متنوعة من العلوم فاذا له كمال الادراكات وثاقب الفهوم في كل معلوم وكان ينشدني ابياتا رائقة تدل على حسن نقده واستحضار نقده فمن ذلك ما انشدنيه وقد تذاكرنا المنازل الحجازية وما فيها من الامور الحقيقية والمجازية للعارف ابي الحسن بن وفا

خليلي اما جئتما حي قاتلي فقولا له مضناك ملتمس نظره
فان تريا في الوجه ماء بشاشة فاني لا اخشى خليلي ما اكره

وانشدني لغيره

ردوني من ماء نبط لو يكن في العمر مرة
ودع الجود فاني ابغض الجود واكره

وانشدني لابن بدر الدين المغربي

تقنعت من زاد الرفيق ومائه وسرت لبيت الله اهدي له شكره
ووفرت ما عندي احترازا لانني لصوني ماء الوجه لم ار ما اكره

وانشدني لنور الدين ابن الجزار الشافعي

ولما رايت الوجه سال من الحيا وقد طاب فيه للحجيج مقام
على ذلك الوجه المليح تحية مباركة من ربنا وسلام

وفي اثناء هذه شرعنا في قراءة شمايل النبي صلى الله عليه وسلم بمسجد العوزية بعد العصر لان جماعة من اصحابنا المغاربة سالونا ذلك لما تقرر عندنا من قراءة هذا الكتاب في مثل هذا العصر فكان يجتمع هنالك درس حافل من اعظم المحافل وكانت تحصل تقريرات حسنة وازالة اشكالات مستحسنة وفي يوم الختم اكثر الناس من انواع الطيب كماء الورد وماء الزهر والند والعود الذي لا مثل له ولا ند وكانت ختمة جميلة استفاض لنا منها من انوار النبوة حسن الضوء وجميله ولقينا بمصر جماعة من اصحابنا الفاسيين وغيرهم وبالغوا في انواع الاكرام وتنويع الشراب والطعام واكثار الانعام والانعام جزاهم الله احسن الجزا

بمنه وتنوعوا في ذلك ما بين ليل ونهار واطناب واختصار وفي كل جمع
تحضر جملة وافرة من النكت المتنوعة الفنون وتحصل بالمذاكرة فوائد
جمة بين هولاء الاجلة فمنهم محبنا الفقيه النجيب اللوذعي الارب
الاخذ من انواع اللطافة باوفر نصيب المتخير الذي لم يزل له في
كل حب من مزارع الاداب التقاط ابو الحسن علي بن الفقيه الناسك سيدي
العربي السقاط ومنهم الفقيه الحيي الحسيب الفاضل الرصين اللوذعي
الاديب المحب الذي تيمنا محبته للشغف بمرآه وضمنت اخلاقه
العذبة له ان يحبه كل من رآه ابو عبد الله سيدي محمد بن محبنا الفقيه
العدل ابي عبد الله سيدي محمد السقاط فانه كثيرا ما كان يبرنا ويتنوع
لنا في الاحسان الذي لا يقوم بشكره اللسان جزاه الله احسن جزائه
ووالى عليه اسبغ نعمائه ومنهم محبنا الفقيه اللوذعي الدراك الفاضل
الحيي الذي اذكرتنا مزاياه من سلف من الافاضل اخونا ابو عبد الله
محمد العربي بن محبنا الفقيه الاديب البارع ابي محمد عبد السلام بناني
ومنهم اخونا الفقيه الجليل النبيه النبيل رب اللطائف والنوادر
ابو محمد سيدي عبد القادر ومنهم المحب الاكيس الذي خطبت الاقلام
بمزاياه على هذا المنبر الخالص المودة والاعتقاد والفاضل الذي
اذعن لجوده فائض البحر وانقاد الخير الناسك الدين الاتقى
الاحيى ابو العباس الحاج احمد بن يحيى رعاه الله وبارك فيه
وتولاه فقد كانت له فينا محبة زائدة وبالغ في اكرامنا والاحسان
الينا بكل ما امكنه من صلة وعائدة تقبل الله محبته وعمله وبلغه في
الدارين امله ومنهم المحب الاوفى والمنهل العذب الاصفى
المرضي الاحوال الكثير الصمت الا فيما يعنيه من الاقوال ابو مهدي
الحاج عيسى المضغري اصلح الله احواله وسدد افعاله واقواله ومنهم
صاحبنا ومحبنا الفقيه الالمعي النبيه الخير الناسك الدين الزوار
الصالح ابو محمد سيدي الحسين بن عبد الله الهواري فقد كان له بنا
اتصال وملازمة في القراءات وحضر لدينا مجالس متعددة في الحديث وغيره
وقرا علي بلفظه ازيد من نصف الفهرسة التي جمعها الشيخ ابو عبد الله محمد

الفاسي

الفاسي واجزته في ذلك ومنهم محبنا وجارنا التاجر الوجيه النجيب
النبيه الحاج الطيب ميارة ومنهم محبنا وصاحبنا التاجر الفاضل
الحاج الشاوي التازي ومنهم محبنا الرجل الخير السيد موسى بن عبد
الرحمن المنقاد فكل هولاء لم يقصروا في اكرامنا ومقضياتنا ومواسا ثنا
جزاهم الله خيرا بمنه ولقينا ايضا جملة وافرة من اهل مصر منهم
الفقيه العالم المشارك الاديب البارع الدراك المتفنن ابو زيد
القاضي عبد الرحمن المالكي المحلي المحب الفاضل اكرمنا في بيته مرارا
بانواع الاطعمة جزاه الله خيرا وخاطبنا بابيات اولها

يا ايها الحبر العظيم الشان … يا من به قد توج الملوان
يا من غدا بحر الفضائل صدره … اذ قد غدا صدرا لنيل معاني
يا من هو الحبر المفيد لمستفيد … بحر لغاص في الوجود ودان
يا من به فاس السعيدة اشرقت … فخرا وقد سادت على البلدان
والشمس ها قد اشرقت من مغرب … في مشرق نورا على الاكوان
هو طيب من طيب ومحمد … حاز المحامد منة المنان
لا بدع ان اسديت لي درر النهى … فالدر من بحر لكل معاني
لا زلت يا شمس المعارف مشرقا … بين الورى باضاءة العرفان

واعرته كتابي شرح نظم الفصيح وكتب لي على اوله تقريظا بالغ فيه
ما شاء وابدع الانشاد والانشاء وحضر لدي في درس الشمايل
اياما وابدى ابحاثا نفيسة ويوم الختم طلب منا الاجازة فوعدناه بها
ولم يمكنا الوقت لكتبها ومنهم عالم اهل مصر وورعها الرجل
الصالح الزاهد المتفنن في انواع العلوم المتعمق في بحار المعارف المقدم
على كل عالم فيها وعارف الفاضل الطاهر البركة المتواتر المزايا
والعوارف ابو محمد عبد الرؤف البشبيشي دام الله رعايته لقيته
بداره واكرمني اكراما زايدا وهش لملاقاتي وبش وطش عارض
مزنته علي ورش وكان معي القاضي عبد الرحمن فبالغ له في الثناء علي
وساعده هو حفظه الله فيما نسبه من الفضل وان كنت لست اهلا له الى
وتبركنا بدعائه الصالح وملاقاته وسالناه ان يجعل لنا حظا من

ذلك في غالب اوقاته وحزناه للمذاكرة في شيء من انواع العلم فتحصل لنا
من ذلك وانشدني ابياتا فاضلت عني واكثر ميله للتصوف وقد ترك
التدريس ومعاطاة العلم وتخلى عن ذلك وتركه جانبا وخلع ومال الى
الفقر ولم يبق في مصر على سنن السلف سواه مجانب لاهل الدولة والرياسة
تارك لبيوت الظلمة معرضا عن الدنيا واهلها جزاه الله عن الاسلام
خيرا واستغربت في تواضعه وكرم اخلاقه مع ما جبل عليه اهل مصر من
التفاخر واظهار الفشر حتى انه قال لاولاده لما امرهم باحضار
الطعام انظروا اهل هناك لقمة تائهة في طاقة لمولانا الشيخ المغربي
رضي الله عنه ومنهم الفقيه المشارك العالم المدرس الاديب
البارع الفصيح الناظم الناثر ابو العباس احمد العماوي المالكي احد
علماء الازهر وكبرائها ومدرسيها لقيته بالازهر بعدما دعاني لداره
مرارا فلم يمكن الا بعد مدة حصل لي به اجتماع بعد صلاة الجمعة بالازهر
مع القاضي عبد الرحمن وعرفني قبل ان اتعرف له وانطلق بنا الى داره
واحضر لنا من انواع الاطعمة شيئا كثيرا وبالغ في الاكرام ما امكنه واظهر
لنا من الفرح والسرور والطلاقة والبشاشة ما لا يكيف وجلنا
معه في مسائل من انواع العلم فقهية وادبية ونحوية وتفسيرية وصوفية
وغير ذلك وكان اتصل بكتابنا شرح النظم المذكور قبل هذه الملاقاة
وكتب عليه تقريظا حسنا لا باس به ولقيناه بعد ذلك مرارا وفي كل
مرة نتداول من العلم ابحاثا نفيسة ومنهم الفقيه البركة
المشارك الشيخ سالم النفراوي الرجل الصالح المسن الاعمى الملازم للازهر
جل اوقاته او كلها يقرئ مختصر خليل والرسالة وغير ذلك للخلق به
انتفاع عظيم لقيناه بالازهر وهش لملاقاتنا وبش واخذ في الثناء
على علماء المغرب والاعتراف لهم بالفضل واظهر لنا فرحا كثيرا جزاه الله
خيرا وتذاكرنا معه في مسائل من نوع الاجال والمعاملات وغير ذلك
ومنهم الاخ في الله والمحب من اجله مقدم الشيخ ابن ناصر والنائب
عنه في تلقين الاسرار بالنواحي المصرية وغيرها الرجل الصالح الفقيه
الخير البركة ابو عبد الله الشيخ محمد بن منصور السفطي ورد علينا ونحن

عند

عند المحب الشيخ ابى زيد ابن جلون مرات ودعانا الى داره واكرمنا
اكراما زايدا على قدره وسمعه مرات كثيرة جزاه الله خيرا وحضر لدينا
فى الاربعين النووية بالغورية وتنا ولنا معه ابوابا من وعظ الحريفيش
وكنا نتعاهد الزاوية الناصرية عمرها الله بدوام الذكر فيها ونلتقى
عندها جملة وافرة من الاخوان ونتجاذب معهم اطراف المسايل العلمية ولم
تحضرنى اسماؤهم الان ومنهم الفقيه المتفنن ابو عبد الله الشيخ محمد
الجداوى احد علماء الازهر واكابر المدرسين فيها من اشياخ المالكية ومنهم
المحب الكبير الخير الدين الشيخ ابو عبد الله محمد الشنوانى القيم على جامع
الغورية حضر لدينا الشمايل والاربعين النووية وكانت فيه محبة
زائدة ومودة خالصة دعانا الى داره مرارا واكرمنا فى كل منها اكراما
زايدا ونوع لنا الاطعمة ما شاء ومزج المشرقية بالمغربية والعجمية بالعربية
جزاه الله خيرا وتقبل عمله ومنهم الرجل الصالح المشحون الباطن
بمصالح المعارف ومعارف المصالح الشيخ ابو عبد الله محمد ابو النور زرناه
فى داره مرارا وفى كلها يحضر لنا ما جرى به التكارم عندهم من شراب
البن المعروف بالقهوة ويبالغ فى الترحيب والثناء الرحيب ويكثر
الكلام فى الفنون التصوفية على اختلافها وله فى ذلك باع عظيم وذوق
سليم يوجب له التسليم ويستدل بالامثال السايرة بين القوم ويؤيد
ذلك بالايات القرانية ويميل الى مذهب الشيخ ابن عربى الحاتمى ويذكر له
مكاشفات كثيره وايات كبيره واما سعة اخلاقه وكرم طباعه
وحسن ملاقاته وطلاقته وبشره للوافدين عليه فلا يحمع ذلك ولا يتوصل
بالتعبير اليه والناس فيه بين منصف مادح ومعترض قادح وارتكاب
طريقة التسليم احق بالرجل الحليم ومنهم الفقيه المسن الارضى
الشيخ عبد الحليم بن الشيخ احمد الحليمى الفيومى ورد علينا للغورية وتناو لنا
معه كلاما واسعا فى امور كنا نستشكلها على مذهب الامام الشافعى وله
اخلاق حسنة ومفاكهة طيبة وكان يحضنى على الاقامة بمصر ومساعفة
اصحابنا بالمجاورة هنالك لتناول شى من القراة فتعللت له بان تلك الارض
غير ملايمة لنا وغير ذلك من التعللات والاعتذارات فعند ذلك

اخذ فی ذم تلك الارض ومساواة طولها والعرض وانشد فی ذلك

وما مصرا لا بقعة من جهنم وان كان مجراها هنالك النيل
بلاد بها الخلفاء نبت وارضها سباخ واولاد الحلال قليل

وانشد فی ذلك ايضا

دع عنك مصر فاهلها بعد الوفا الفوا الجفا وتجنبوا فی الابنيه
قلبت بها الاعيان حتى اننی شاهدت سعد الدين سعد الاخبيه

وقد رايتهما فی كتاب السكردان للشيخ شهاب الدين احمد بن ابی حجلة وقال قبلهما حكی ان شهاب الدين القوصی قال كان يوما عند الملك الاشرف فدخل اليه سعد الدين الحكيم وكان بينهما وحشة فقال له الاشرف ما تقول يا شهاب الدين فی سعد الدين فقال اذا كان عندك فهو سعد السعود وعلى السماط سعد بلع وفی الخيام عند الضيوف سعد الاخبية وعند المرض سعد الذابح فضحك السلطان واعجبه كلامه وعلم ان بينهما وحشة فاصلح بينهما وامر لكل منهما بتشريف انتهى وانشد فی ايضا

ارى ناسا بمصر فاخزونا بنخل ما له ابدا مثيل
فقلت لهم صدقتم فيما قلتم سوا حلكم بها نخل طويل

قلت واين هذا ممن قال فی مدحها وانتصر وبالغ فی الثناء عليها وما قصر

لعمرك ما مصر بمصر وانما هی الجنة الدنيا لمن يتبصر

وغير ذلك من اقوال الرجال التی ضاق عنها المجال غير ان الداخل لها فی اول امره يجد من القنط فيها والضيق وحرج الخاطر والنفس ما لا يكيف ولا يحصر وكلما طال مكثه فيها انبسط فی عمارتها وفيافيها وقد حدثنی بها بعض الافاضل ان الداخل لمصر يكون انبساطه فيها على حسب التدريج ففی اول الامر يكون خاطره فيها ضيقا كالميم فيشتد الضيق ثم يتوسع عليه الحال شيا ما وينتقل من الميم الى الصاد ثم ينطلق عليه الحال وتنطلق عليه الدائرة كالراء وقد جربوه فالفوه صحيحا والله اعلم ومنهم الاخ فی الله والمحب من اجله الرجل الخير المسن الذاكر الفاضل الحيی الشيخ عبد اللطيف التلمسانی احد اصحاب الشيخ ابن ناصر رضی الله عنه لقيناه بالزاوية الناصرية ودعانا

الى

الى داره مرارا واكرمنا غاية الاكرام وفى كل مرة يتنوع لنا فى الاطعمة
كثر الله خيره وجازاه احسن الجزاء بمنه ولقينا من اصحابنا المغاربة
الرجل الصالح المتبرك بلقائه الورع المتبتل الزاهد العلامة
المشارك الجامع لفرايد الفوايد المنقطع عن الخلق لله تعالى ابو عبد الله
محمد العياشى ابقى الله بركته لقيناه مرارا وهش لنا وبش وكان يتعاطى
معنا انواعا من مسايل العلم عربية وفقها وحديثا وغير ذلك وكان
ربما يجر به الحديث الى مناقب الصالحين وذكر كراماتهم ومزاياهم
فيذكر من ذلك شيئا كثيرا ويوسع القول فيه عن الامام الشعراوى
وغيره وكنا نتجاذب معه اطراف الاحاديث ونستخرج منها اسرارا
ربانية واحكاما دينية من فضل الله تعالى وبركته وكان لا نصافه
وكرم شيمه وسعة اخلاقه وجميل اوصافه يسألنا كالمستفيد ليستخرج
الاسرار ببركته ابقاها الله تعالى ويظهر الفرح بذلك وكان كثيرا
ما يثنى على الامام المشهور بتلك الاقطار مولانا احمد البدوى رضى الله عنه
ويذكر من كراماته ما يعجز عنه الحصر ويقول انه من اهل التصرف حيا
وميتا اعاد الله علينا من بركات اوليائه الاحياء والاموات امين
ولقينا جماعات اخر بالغوا فى اكرامنا ولم نستحضر اسماءهم واما من
لقيناه فى الدروس وحصل لنا به مطلق اجتماع فى الازهر وغيره فلا يكاد
يحصيه العد ولا يأتى عليه حصر ولا حد وكانت مدة اقامتنا بمصر خمسة
اشهر نتردد لمشاهد المشاهير من الصالحين ولا نكثر زيارة للامام الشافعى
رضى الله عنه ومن بالقرافة الكبرى والصغرى وغيرهما كابى السعود
والامام الشعراوى والمقام المشهور بالحسنين والشيخ على الخلواتى
ومقامات الاربعين على تعددها بمصر وغير ذلك من كل ما يزار من
مشهد مزار ولما عزمنا على الخروج من مصر وفتح الركب للرحيل بابه
ونصبت الخيام بالانبابة توجهنا لزيارة الامام الاعظم مولانا احمد البدوى
رضى الله عنه فخرجنا لزيارته يوم الثلاثا الثامن من جمادى الثانية عام
اربعين ومائة والف فصلينا الظهر على شاطئ النيل ببولاق صحبة الاخ
فى الله والمحب من اجلة الفقيه النبيه الفاضل ابى عبد الله سيدى محمد بن ابرهيم

السوسی الذی تقدم ذكره فی رفقاء الحجاز واخویه الفقیهین الحسیبین
سیدی عثمان وسیدی ابرهیم وناس من اصحابهم وسرنا فنزلنا قریة
سندیون وصلینا بها العصر وبتنا بها لانا اخبرنا ان القری التی
امامنا ارد وكایل فیها للبهایم ومنها بتنا بزاویة الشیخ المتبرك به سیدی
علی الملیجی بقریة ملیج والفینا علیه حرما عظیما وبنیانا جدیدا هائلا
ومیاها كثیرة فی صهاریج عدیدة متبحرة وحوله مدرسة عظیمة مملوءة
بالعمیان لهم خراج معلوم وجرایات یقتاتون منها وفیه بیوت للضیفان
وتلقانا جماعة من اهل ذلك الحرم وبالغوا فی اكرامنا علی قدر وسعهم وقلت
اخاطبه نزلنا حماك اباحسن فعجل بكل قری حسن
وعم جمیعنا واملها بفضلك عن كل مستحسن
وبعد ان صلینا الصبح توجهنا لزیارة الشیخ علی الملیجی وولده الشیخ
عبد المنعم ودعونا الله تعالی فی ضریحیهما لنا ولمن سالنا ولعامة
المسلمین وخاصتهم بما نرجوا الله ان یتقبله ثم احضروا ما تیسر من الطعام
قبل طلوع الشمس فاستعملنا منه علی قصد البركة وجبر الخواطر وسرنا
آمین سیدی احمد البدوی رضی الله عنه فوصلنا القریة التی بها
ضریحه وهی طنطة قرب الزوال فتركنا الدواب بالوكالة التی بقرب
حرمه وتوضانا وصلینا الظهر وفتحت لنا القبة التی بها ضریحه فدخلنا ها
واقبلنا علیه سائلین الله بجاهه ان یعمنا بخیرات الدنیا والاخرة وقرانا
به ما تیسر وختمنا به دلایل الخیرات والفینا علی ضریحه من المهابة والجلالة
والعظمة ما یدل علی علو قدره وسمو مرتبته وعنایة عند ربه انوار
ساطعة وبراهین قاطعة وایات بینات غنیة عن اقامة البینات وبتنا
به تلك اللیلة وكانت لیلة الجمعة واصبحنا به حتی صلینا الجمعة وفی اثناء
ذلك كله نتردد لذلك الضریح الشریف ونسال مولانا تعالی بجاهه
وعنایته لنا ولوالدینا ولاشیاخنا واهلینا واحبائنا ولعامة المسلمین
وخاصتهم وقلت فی توجهی لزیارته
خلیانی من حاسد او شانی واتركانی لمقصدی اوشانی
ودعانی من الملام فذاتی احمد البدوی الیه دعانی

الامام

الامام الذى تفرد بالتصريف حيا وميتا دون ثان
والهمام الذى ثنيت له الهمة والعزم لست عنه بثان
قطب كل الاقطاب قاطبة فالكل فى بابه رخى العنان
اوما جده الرسول الذى من   اجله كان سائر الاكوان
الف الف تحية وصلاة   وسلام عليه دون توان
ما اقام الانام فى بابه الرحب الى فضله العميم ثوانى
فاذا ما وصلت ذلكم القبر الشريف المعظم النورانى
ورايت الانوار ساطعة فيه   يحاكى لالاءها النيران

وزرنا تلميذه الشيخ عبد العالى فى قبة عظيمة بغربى مسجده وضريح الشيخ نور الدين فى قبة اخرى بازائها ومسجده عظيم وفيه مدرسة عظيمة وبه مطهرة كبيرة كثيرة الماء غير ان ما بالمسجد من كثرة الاقوام والاوباش يغيره تغييرا وارتحلنا منه بعد صلاة الجمعة فرجعنا فى الحافرة حتى وصلنا لمليج فبتنا بروضة الشيخ على المليجى واكرمونا كالمرة الاولى واكثر ومنه بتنا بسندبون فى مسجده على ما به من كثرة الاوباش والهمج واخلاط الفلاحين ومررنا فى طريقنا للزيارة بكثير من القرى والبلدان منها ننته السيرج وشبرة والقناطير وقليوب وسندبون وكفر العادلة وطحلة وعبرنا النيل فى قوارب وعلى شاطئه القرية المعروفة بمسيد الخضر وهى نصف المسافة من مصر الى سيدى احمد البدوى وفيها وكالة ومسجد واسواق لاباس بها وبعده اسطنهة وكفر العجايز وام خنان ومستراح وابو شيخة وسلكة وزوبر ومليج وهى بلد الشيخ على المليجى المذكور ويعبر لها النيل مرة اخرى وهى على شاطئه وبعدها شنتنة وحنزور وطرقنا صنا ديد ودفرة ونفتة والسكرية وزرنا بها سيدى اسمعيل السكرى وسيدى منصور ومررنا ببابل وكفر صنا ديد وغير ذلك من البلدان التى لم نجد من يسميها لنا واما البلدان التى لم نصلها وكانت تترائى لنا فى تلك الارضين فلا يكاد ياتى عليها الحصر وكلها تجبى الثمرات والزروع والالبان والاجبان والانعام والخضر الى مصر فسبحان من كرم بنى ادم واكرمهم فى العالم وجعل مصر مجمعا لجميع ما يشاؤه الانسان من انواع الاحسان وله سبحانه الامر من

قبل ومن بعد وزرنا في طريقنا سيدى احمد الحلباوى ومشاهد كثيرة في تلك
القرى لم نجد من يعرف اهلها حق المعرفة ولما رجعنا الى مصر شرعنا في اكمال
بعض الاحاديث كانت بقيت لنا من الاربعين النووية حتى ختمناها
وحاولنا اتمام غيره من الكتب التى كنا نتناولها كالمرادى وجوهرة اللقاني
وغير ذلك فلم يتيسر الاتمام واخذنا في التاهب للسفر ومعاطاة مقدماته
التى لا تنتج الا الظفر فراودنا جماعة من اصحابنا الذين بمصر على الاقامة
معهم سنة بقصد الانتفاع ومناولة القراءة وتعاطيها وذكروا لنا
اوجها توجب اقامتنا لديهم فوقع ذلك في خواطرنا وبقينا نتردد فيه
ونستخير الله تعالى ونقدم رجلا ونؤخر اخرى والمحب الاكبر سيدى
عبد الرحمن بن جلون يهون لنا الاقامة ويظهر لنا من اوجه المجاورة
ومنافعها شيا كثيرا لكثرة ما حرص لهذه امده على اقامتنا معه وتانسنا
به فلم تنشرح الصدور الا للسفر وحارت الافكار في ذلك وضاقت
المسالك فشاورنا محبنا العلامة الصالح البركة سيدى محمد العياشي فاذن لي
في السفر وظهر له وجهه وسفر فانقطع النزاع كل الانقطاع واذعن
لذلك كل من الاصحاب واطاع وايسوا من الاقامة وعلموا ان لا مكث
لنا في تلك المقامة وحصل لهم اسف واي اسف وانتقع وجه كل منا للفراق
وكسف لكثرة ما كان حصل بيننا وبينهم من الالفة والمحبة واخلاص
المودة واخذوا في المبالغة في الاكرام والاجتماع غالب الاوقات
واحضار الطيبات من الاقوات والفواكه والخضر المونقات وسرد الكتب
المنوعة في الفنون ولاسيما كتب الادب والتواريخ كنفح الطيب
والمقامات وجملة من مولفات السيوطي وتاريخ المنوى وانواع الطبقات
وغير ذلك وكانت تحصل بذلك مباحث نفيسة وفوائد عزيزة وتزول
اشكالات وتنحل معضلات وفي هذه الايام رحل الركب من الانبابة الى
الحويجر وبقي نحوا من نصف شهر ونحن نتناول المقتضيات بمصر ونوادع
الاحبة وهم يبالغون في الاكرام وتنويع الشراب والطعام وتوجهنا
لزيارة القرافتين ومن فيهما يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الثانية
من عام اربعين ومائة والف صحبة المحبين الجليلين الصالحين الخيرين

سيدي عبد الرحمن بن جلون وسيدي حسين الهواري فمن الله علينا بزيارة
الشيخ ابي عبد الله محمد التتائي والقرافي والسيوطي والسيدة نفيسة والسادات
المالكية ابن القاسم واشهب واصبغ وابن مرزوق ويحيى بن يحيى القرطبي
راوي الموطا عن مالك والطحاوي وورش وسيدي عبد الله المغاوري
وابن الفارض وابن شاهين وعقبة بن عامر وسيدي يحيى الشبيه والامام
الليث وشيخ الشيوخ الامام الشافعي والسادات البكريين وابي الظهور
والسيدة ام كلثوم وغير ذلك من المشاهد التي هنالك فكان اخر اقامتنا
بمصر ذلك اليوم وجعلنا مسكة ختامها زيارة هولاء القوم

ذكر خروجنا من مصر الى المغرب معرضين عن التطويل في اظهار الخبر فضيق ما فتر عن سير وعاق اشتغال عن متابعته بالتغيير

كان خروجنا من مصر يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى الثانية
وخرجت جماعة من اصحابنا لتوديعنا غير وافية فيهم المحب الصدوق
سيدي عبد الرحمن بن جلون والمحب الاود سيدي محمد السقاط والمحب
الخالص سيدي الحسين الهواري والمحب الكبير سيدي موسى وغيرهم حتى
اتينا مدينة بولاق واشرفنا على النيل سلمت على هولاء الجمع الجميل وفارقتهم
والعيون كعيون العيون والقلوب تتقلب في لظى فراق هاتيك العيون

ووعدتهم والعين تهمل كالعين … وتهمل ما ترجي السحاب من العين
وللقلب في نار الغرام تقلب … ولم ادر عني بان كل اخ عني
فوا اسفا للقلب من شدة الاسى … ووا اسفا من شدة الحزن للعين

وعبرت النيل في بعض ما به من المراكب وفارقت مصر واهلها وما بها من
المواكب وتوجهنا بقربة الانبابة لقبة سيدي اسمعيل الانبابي وسالنا الله
تعالى بجاهه السلامة التامة في جميع الطريق لنا ولكل رفيق رافقنا من
ذلك الفريق ووصلنا الجويجر قبل العصر فنزلنا والفينا اصحابنا الذين
بمصر اشتروا لنا خيمة جيدة حافلة بما نحتاج اليه كثر الله خيرهم ووفقها
محبنا الاكبر سيدي الحاج احمد بن يحيى ومحبنا الاعز علينا سيدي عبد الرحمن
ابن جلون شكر الله مسعاهم واسعف بشعاب مرعاهم وتقبل عملهم وبلغ
املهم بمنه امين فنصبنا تلك الخيمة مرفوعة على الخيام في عيش مخفوض

قبل ومن بعد وزرنا في طريقنا سيدي احمد الحلباوي ومشاهد كثيرة في تلك
القرى لم نجد من يعرف اهلها حق المعرفة ولما رجعنا الى مصر شرعنا في اكمال
بعض الاحاديث كانت بقيت لنا من الاربعين النووية حتى ختمناها
وحاولنا اتمام غيره من الكتب التي كنا ابتدأناها كالمرادي وجوهرة اللقاني
وغير ذلك فلم يتيسر الاتمام واخذنا في التاهب للسفر ومعاطاة مقدماته
التي لا تنتج الا الظفر فراودنا جماعة من اصحابنا الذين بمصر على الاقامة
معهم سنة بقصد الانتفاع ومناولة القراءة وتعاطيها وذكروا لنا
اوجها توجب اقامتنا لديهم فوقع ذلك في خواطرنا وبقينا نتردد فيه
ونستخير الله تعالى ونقدم رجلا ونؤخر اخرى والمحب الاكبر سيدي
عبد الرحمن بن جلون يهون لنا الاقامة ويظهر لنا من اوجه المجاورة
ومنافعها شيئا كثيرا لكثرة ما حرص اعزه الله على اقامتنا معه وتأنسنا
به فلم تنشرح الصدور الا للسفر وحارت الافكار في ذلك وضاقت
المسالك فشاورنا محبنا العلامة الصالح البركة سيدي محمد العياشي فاذن لي
في السفر وظهر له وجهه وسفر فانقطع النزاع كل الانقطاع واذعن
لذلك كل من الاصحاب واطاع وايسوا من الاقامة وعلموا ان لا مكث
لنا في تلك المقامة وحصل لهم اسف واي اسف وانتقع وجه كل منا للفراق
وكسف لكثرة ما كان حصل بيننا وبينهم من الالفة والمحبة واخلاص
المودة واخذوا في المبالغة في الاكرام والاجتماع غالب الاوقات
واحضار الطيبات من الاقوات والفواكه والخضر المونقات وسرد الكتب
المتنوعة في الفنون ولا سيما كتب الادب والتواريخ كنفح الطيب
والمقامات وجملة من مؤلفات السيوطي وتاريخ المنوي وانواع الطبقات
وغير ذلك وكانت تحصل بذلك مباحث نفيسة وفوائد عزيزة وتزول
اشكالات وتنحل معضلات وفي هذه الايام رحل الركب من انبابة الى
الحويجر وبقي نحوا من نصف شهر ونحن نتناول المقتضيات بمصر ونودع
الاحبة وهم يبالغون في الاكرام وتنويع الشراب والطعام وتوجهنا
لزيارة القرافتين ومن فيهما يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الثانية
من عام اربعين ومائة والف صحبة المحبين الجليلين الصالحين الخيرين

سيدي عبد الرحمن بن جلون وسيدي حسين الهواري فمن الله علينا بزيارة
الشيخ ابي عبد الله محمد التتائي والقرافي والسيوطي والسيدة نفيسة والسادات
المالكية ابن القاسم واشهب واصبغ وابن مرزوق ويحيى بن يحيى القرطبي
راوي الموطا عن مالك والطحاوي وورش وسيدي عبد الله المغاوري
وابن الفارض وابن شاهين وعقبة بن عامر وسيدي يحيى الشبيه والامام
الليث وشيخ الشيوخ الامام الشافعي والسادات البكريين وابي الظهور
والسيدة ام كلثوم وغير ذلك من المشاهد التي هنالك فكان آخر اقامتنا
بمصر ذلك اليوم وجعلنا مسكة ختامها زيارة هولاء القوم

ذكر خروجنا من مصر الى المغرب مع رضى عن النظولية في امهار فقد شاق فتر عن سير وعاقت اشغال عن متابعته بالتفسير

كان خروجنا من مصر يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى الثانية
وخرجت جماعة من اصحابنا لتوديعنا غير واحد فيهم المحب الصدوق
سيدي عبد الرحمن بن جلون والمحب الاود سيدي محمد السقاط والمحب
الخالص سيدي الحسين الهواري والمحب الكبير سيدي موسى وغيرهم حتى
اتينا مدينة بولاق واشرفنا على النيل وسلمت على هولاء الجمع الحفيل وفارقتهم
والعيون كعيون العيون والقلوب تتقلب في لظى فراق هاتيك العيون

وودعتهم والعين تهمل كالعين ... وتهمل ما ترجى السحاب من العين
وللقلب في نار الغرام تقلب ... ولم لا وعني بان كل اخ عيني
فوا اسفا للقلب من شدة الاسى ... ووا اسفا من شدة الحزن للعين

وعبرت النيل في بعض ما به من المراكب وفارقت مصر واهلها وما بها من
المواكب وتوجهنا بقهرية الاوبابة لقبة سيدي اسمعيل الاوبابي وسالنا الله
تعالى بجهة السلامة التامة في جميع الطريق لنا ولكل رفيق رافقنا من
ذلك الفريق ووصلنا الجويحر قبل العصر فنزلنا والفينا اصحابنا الذين
بمصر اشتروا لنا خيمة جيدة حافلة بما نحتاج اليه كثر الله خيرهم ووقفها
محبنا الاكبر سيدي الحاج احمد بن يحيى ومحبنا الاعز علينا سيدي عبد الرحمن
ابن جلون شكر الله مسعاهم واشعب شعاب مرعاهم وتقبل عملهم وبلغ
املهم بمنه امين فنصبنا تلك الخيمة مرفوعة على الخيام في عيش محفوض

على ممر الايام وسلمنا على من وجدناه من اصحابنا هنالك وكان خرج معنا من مصر
لتوديعنا الى هذا المحل جماعة فيهم اخونا ومحبنا الفقيه الشيخ العربي بناني
ومحبنا الفقيه الالمعي سيدي على السقاط والمحب الكبير سيدي عيسى المضغري
فاحسنوا وداعنا وبالغوا في مواساتنا جزاهم الله خيرا ووقاهم بمنه ضيرا
فبتنا في الحويجر تلك الليلة واصبحنا به مقيمين لاغراض تعلقت بها الاغراض
وتذكرنا امورا يحتاج اليها في الطريق فكتبنا لمحبنا وصفي ودنا وو في
عهدنا الفقيه البركة سيدي عبد الرحمن بن جلون كتابا يقضي لنا ذلك
الغرض الذي عرض وصورة اوله الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما محبنا الذي نجله وفي سويداء القلب نحله الفقيه
الاديب البارع الالمعي الذي لم يزل في قلوبنا اعلا من الكواكب المشرقة
في افق السماء واسمى قرة العيون ومن فضلت لفراقه الاماق وتواهلت
العيون والعيون ابو زيد سيدي عبد الرحمن بن جلون ادام الله رعايته
وحفظه واجزل في الدارين خلاقه وحظه واهدى اليه سلاما ينبئه عما
بي اليه من الاشواق ويعمر بنفاق مودته الاسواق ورحمة الله وبركاته
ورضوانه وتحياته ثم ذكرنا له ما عرض من ذلك الغرض فقضى لنا
ما رمناه من المآرب وبعث لنا فوق المومل من المطالب ومع ذلك رقعة
فيها الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وعلى
الحبيب الخليل الفقيه الجليل النبيه النبيل قدوة العلماء المحققين وعمدة
البلغاء المدققين الاديب اللوذعي الاريب الالمعي المزري كلامه
بقلائد العقيان ونظامه بفصاحة قس وبلاغة سحبان من هو لسماء
ارواحنا كالبدر النير ولارض قلوبنا كالغيث الصيب ابي عبد الله سيدي
محمد بن الطيب ازكى سلام تعطرت رياض المحبة بنفحاته وتفتحت ازهار
الاخلاص بنسماته هذا وقد ورد علينا كتابكم الكريم المنبي عن خالص
المحبة وصفاء الوداد القديم وما ذكرتم فيه من عظيم الشوق وكثرة الولوع
والتوق فتلك حال محبكم الشائق لقربكم والله تبارك وتعالى يحرس جلالتكم
ويكتب سلامتكم والسلام معاد عليكم والرحمة والبركة من محبكم عبد الرحمن
ابن احمد بن جلون جمع الله شمله امين واقمنا بالحويجر الاثنين والثلاثا

والاربعا نتنعم في انواع المطاعم ونتضلع بالشرب من ماء النيل الناعم الذي
هو احد مياه الجنان فلذلك ينشرح لشربه الجنان وارتحلنا منه يوم
الخميس الثاني من رجب فنزلنا الحبترا والسود ظهرا وبتنا به ليلة الجمعة
وارتحلنا منه فنزلنا ظهرا على شاطئ النيل بموضع يسمى المخز وبجانبه
اقوام من اعراب الاخصاص واخذ الناس يستقون ويمتعون في ماء
النيل ويكثرون من التمتع به لتوديعه وبتنا هنالك ليلة السبت
واصبحنا مقيمين يوم السبت فورد علينا خبر بان طوايف من الاعراب
متعرضون للركب لياخذوا الاعراب الذين حملوه ويسلبوهم ابلهم
لانهم كانوا اغاروا عليهم ونهبوا المال المنسوب اليهم ففزع الناس
من ذلك وارتحلنا من المخز يوم الاحد وقد اخذ حذره من هو لاء
الاعراب كل احد وتفرق الناس عن يمين الابل ويسارها واحاطوا بها
من خلفها وامامها في جميع تسيارها وسرنا متاهبين لمقاتلتهم وتركنا
النيل خلفنا فبتنا بموضع يسمى التمسيح على غير ماء ومنه نزلنا بعقونه
قرب العصر ويسميه اعراب تلك الارض الحفر فاستقى الناس منه ماء
اربعة ايام لانهم تنكبوا مورد الشامة خوفا من الاعراب المتعرضين
لاخوانهم لانه قيل انهم هنالك مستعدين لذلك ومن عقونة نزلنا موضعا
يسمى قصر القطاجي على غير ماء ومنه نزلنا السكران على غير ماء ومنه
بتنا بموضع يسمى جنش الدقيق على غير ماء وارتحلنا منه فانحرف بعض من
كان محتاجا في الماء الى سواني عن ذات اليسار تسمى شطار والمحيم اخبرونا
انهما بئران وان طول كل واحدة منهما اربعون قامة وان ماءهما في غاية
القبح والملوحة والسواد وقبح الرائحة وسرنا فبتنا بنازية بوعونة
على غير ماء ومنه نزلنا معطن الجميمة عند ارتفاع الضحى فاقمنا به يومنا
وتفرق الناس على احسائه الكثيرة الغزيرة المياه في رملة بيضاء واحساؤها وه
غالبها عذب طيب وربما خالطت بعضها ملوحة وارتحلنا من جميمة
فبتنا بعلم البزاء على غير ماء ومنه ارتقينا العقبة الصغرى صباحا وسرنا
بعد ان غادرتها الاقطار مملوءة بالمياه العذبة الكثيرة الجامعة
للاوطار فنزلنا في وسطها عند الظهر واخذ الناس في الاستقاء منها

اذ لا يستغنى بغيرها لعذوبتها عنها وبتنا امام تلك الغدران فى ليلة
جمعت النعماء وكملت بهذا الماء وارتحلنا فتركنا معطن المدار يمينا
ولم نعرج اليه استغناء عنه بمياه الامطار الوافية بالاوطار ومررنا
فى سير هذا اليوم بتلت ام العقل والشرز وتجاوزنا قصبة المدار ووادى
زرقاء وكل واحد من هذه الاودية فى غاية الخصب وبينها من المراعى
والكلأ والغدران والازهار ما يعترف القلم دونه بالتقصير
والانهار ونزلنا بعد العصر مشرفين على وادى بوكدوة فى غير ماء
وارتحلنا فمررنا بوادى بوكدوة ثم بالرواشد ثم برقبة المستقيمة وظللنا
بوادى الرمل هنيهة ثم سرنا بعقر جعيفرى ووصلنا قبر ابى حلاق فنزلنا
حوله هنيئة بقصد زيارته والتبرك به والفينا الماجل الذى امامه
جافا لا ماء به ومررنا منه فصلينا الظهر قبالة راس ابجلو وجلسنا هنيئة
للذكر رافضين اللهو ونزلنا بعد العصر بازاء قبر الضعفاء من ارض
تعرف بالسبتة وكانها سميت سبتة لقلة نباتها واشجارها كانها
سبتت اى حلقت وزال ما فيها من النبات كما يسبت الراس ويحلق شعره
فبتنا حول ذلك القبر على غير ماء وارتحلنا منه فمررنا صباحا بحلازين
ثم بالابار السبعة ثم بقبر متاع ثم بقبر مخلب ووصلنا معطن جرجوف
ظهرا فبتنا به واستقى الناس من مائه ما يكفيهم وارتحلنا منه يوم الجمعة
سابع عشر رجب فمررنا صباحا بعقاقير الزناتية والفينا هنالك غدرانا
كثيرة من مياه المطر فقضينا من استقائه للشرب غاية الوطر وطرق
بعض الناس شماس وبوالفوار على ساحل البحر وهما اسم لمعطن كثير الماء
وماؤه مثل ماء جرجوف ومررنا بابار القطرانى وهى ثلاثة ابار سقينا
من وسطها والفينا به ماء طيبا غادرته به الامطار وسقينا البهائم
ومررنا براعى الصفراء وهو قبر ولى من اولياء الاعراب الذين بتلك
النواحى يزار ويتبرك به وتجاوزناه وبتنا على غير ماء وارتحلنا
فمررنا صباح السبت براس الضير ونزلنا به للاستراحة ساعة ومنه
مررنا بغوط البقر وصلينا الظهر بالزهيرى ونزلنا خور الثوانى
عصرا فبتنا به على غير ماء وارتحلنا منه يوم الاحد فمررنا بقصر الاحداب

وتركنا

وتركنا بعتبق يمينا وهو معطن كبير عظيم كثير الماء يكفي الركاب الكثيرة
واسترحنا هنيهة بفرعة هديله ونزلنا معطن المقرب قرب الظهر واخذ
الناس يستقون منه حتى غاب الشفق وارتحلنا منه يوم الاثنين فاتينا
العقبة وبقينا تحتها حتى افطرنا واسترحنا وارتقينا عليها وهي
اطول من عقبة التشريق واشد منها في الهبوط والمنسوبة اليها ومررنا
ببطومة واسترحنا في السويليت وصلينا بها الظهر وتركنا القلاليب
يمينا ونزلنا ارضا تسمى الظهرة بعد العصر فبتنا بها على غير ماء
وارتحلنا يوم الثلاثاء فمررنا صباحا بكدوة الحمارة وتركنا وشكة
الطامش يمينا ووصلنا قبر الشيخ عزيز قبل الظهر فنزلنا لزيارته
والاستراحة حول دارته وبقينا امامه حتى صلينا الظهر ووصلنا
الخشبة عصرا فصلينا بها العصر ولم نجد بآبارها ماء وتجاوزناها
بقليل وبتنا على غير ماء وارتحلنا يوم الاربعاء فمررنا بالبحيرة
واسترحنا ساعة بالغرابات ومررنا بالعريض وهو قصر مهدم
ووصلنا غدير الريغي الظهر فالفيناه مملوءا بالماء كانه نهر فاستغنينا
بمائه عن المرور بمعطن الرقبة وتركناها وبتنا في هذا الغدير
الذي جل في ازهاره وازهاره وخصه عن النظير واخذ الناس
يستقون منه ويسقون دوابهم ويقضون اربهم ووردت
علينا طوائف من الاعراب بالسمن والتمر والغنم وغير ذلك وارتحلنا
منه يوم الخميس فتركنا طريق الحج المالوفة وربضنا بسقيفة الحامض
للافطار والاستراحة ثم مررنا بسقيفة الدودة وبتنا بسقيفة
العدم على غير ماء وارتحلنا صباح الجمعة فمررنا صباحا بالعديم
وربضنا بسقيفة الرمل وبتنا بالرميل بالتصغير على غير ماء وارتحلنا
يوم السبت وربضنا للافطار بسقيفة روس الاسد وصلينا الظهر
بوادي المعترض واتينا في العصر على غدير ماء زاد على الحق المفترض
فاستقينا من مائه واردنا من الصلاة ما لابد من ادائه والفينا
ما حوله من الارضين مخضرة مخضلة ذات ازهار يانعة ونباتات
مظلة وبتنا بين العنبر وعين الغزالة على غير ماء وارتحلنا يوم الاحد

فمررنا بارض مخضرة بالازهار كثيرة الانبات والازهار ذات غدران متلاطمة تلاطم البحار والانهار وربضنا بوادي الرجيمة للافطار والغيناه مملوا بماء الامطار كثير الخصب والنبات حسن المراعي والانبات ومررنا بوادي الجداري فالغيناه بجرا بماء المطر ايضا قد فاض على جوانبه فيضا وصلينا الظهر هنيئة الطنفسة وسرحنا ريثما رد كل واحد نفسه ونزلنا قبالة التميمي بالموضع المعروف بكبكبان لان الغيا بجوانبه من الخصب والكلأ ومياه الامطار وغير ذلك من الاوطار ما فيه غنية لجميع الركبان فاغنانا ذلك عن التميمي ومائه والمرور بتهمائه واقمنا بهذا الموضع بقية الاحد ويوم الاثنين ووردت علينا هنالك ملاقاة دَرَنَة وقامت بينهم وبين الحجاج سوق عظيمة اجتمع لها اهل درنا وغيرهم من اعراب تلك النواحي وجلبوا انواع المطاعم والفواكه والخضر والشعير والسمن والعسل وانواع الكعك والخبز والمقروط وغير ذلك وورد علينا جماعة من طلبتها فيهم المحب الكبير الجدير بالتعظيم والتكبير الفقيه الاديب البارع الانبل ابو عبد الله سيدي محمد الاصرم الغروي المذكور فيمن لقيناه بطرابلس تقبل الله دعانا في الاجتماع به الجميع بعض ما يسنح من ادبه وسررنا بملاقاته كثيرا واكرمناه وتناولنا معه مسايل علمية وتعاطينا امورا ادبية وبنفس ما فرغنا من السلام وتعاطينا مناولة الكلام انشدني

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

وسالته من اخبره عن هذا المحل الذي نزل به خليله وحل فانشدني

من جاء يسال عن داره قلت له يمشي ويستنشق

ثم ذكرني فسرنا في ذمام الليل معتسفا فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

ثم اجرينا الكلام الى الحظ وتهيئته للجهال دون الاعلام فانشدني لنفسه

قالوا تعلم فان العلم ينفع من زمن ضاقت به الحيل

فمذ تعلمت قال الحظ مستدرا دع انني عنك بالجهال مشتغل

لذاك تلحظني الجهل متبعا عسى لما هم به من ثروة اصل

وانشدني

وانشدنى للزمخشرى عفا الله عنه

وقائلة اراك بغير مال ... وانت مهذب علم امام
فقلت لان ما لا قلب لؤم ... ولم تدخل على الاعلام لام

وانشدنى لابن نباتة

وقائلة ارى للايام تعطى ... لئام الناس من رزق خبيث
وتمنع كل ذى عقل ولب ... فقلت لها خذى اصل الحديث

رايت اصل المكاسب من حرام
فجادت بالخبيثات الخبيث
صح

وذكر لى قصيدة الامام القاضى ابى الحسن الجرجانى المشهورة التى اولها

يقولون لى فيك انقباض وانما ... راوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما كل برق لاح لى يستفزنى ... ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
ومازلت منحازا بعرضى جانبا ... عن الذم اعتد الصيانة مغنما
اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وانى اذا ما فاتنى الخط لم ابت ... اقلب كفى اثره متندما
ولكنه ان جاء عفوا قبلته ... وان مال لم اتبعه هلا وليتما
واقبض خطوى عن حظوظ قريبة ... اذا لم انلها وافر العرض مكرما
واكرم نفسى ان اضاحك عابسا ... وان اتلقى بالمديح مذمما
انهنها عن بعض ما لا يشينها ... مخافة اقوال العدا فيم اولما
ولم اقض حق العلم ان كنت كلما ... بدا طمع صيرته لى سلما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
ااغرسه عزا واجنيه ذلة ... اذن فاتباع الجهل قد كان احزما
فان قلت جد العلم كاب فانما ... كبا حين لم يحرس حماه واسلما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

وهى قصيدة بديعة جمعت مستحسن ما ينبغى للعلماء ارتكابه وبديعه وقد قال فى حقها الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار ولقد احسن صاحبها كل الاحسان كانما نسجت فى طراز حسان ثم ذكر من هذا المعنى ما لا مزيد عليه فليراجعه فيه من احتاج اليه وتناولنا الكلام على

طرابلس ولغاتها السابقة فيها فانشد في قول التجاني التونسي

سَرَى فرسَى في سيره ولَوَانَه   خليٌّ من لها وزار سار ولم يُوسُوا
سُعَى سُعَى طماح لا بعد غاية   فكانت له دار المقام طرابلس

وسالته عن درنا واحوالها وكيف هو فيها مع صروف الدهر واهوالها فانشد في لنفسه

قالوا قريته درنا د نظيرها   وما دروا انها اشتقت من الدرن
من حل ساحتها لم يخل من كدر   كانما ماؤها يجري على الحزن

والفي كتابنا شرح نظم ابن المرحل المذكور غير مرة اخرجناه لمراجعة امور في تلك الحره فتنا وز بعض مسائله واستغرب في الداعي اليه في هذه الازمان وسائله واعجب من تعاطيه مع قلة اسباب ووسائله واستحسنه كل الاستحسان وشهد له بالاتقان والاحسان وتمنى ان لو وجد فسحة من الزمان ليتحلى بفرائده وفوائده المزرية بقلائد الجمان وكتب عليه تقريظا حسنا اجاد فيه ما شاء وابدع فيه الانشاد والانشاء مع ضيق الوقت وشغل البال وتزاحم الاشغال وهيجان البلبال ومطاوعة البديهة له والارتجال بما يعجز روية الفحول من الرجال ولم يتيسر نقله الان وارتحلنا من ككبان يوم الثلاثا ففارقنا ابا عبد الله الاحضرم ونار الفراق في القلوب تضطرم وسرنا فريضنا بالعقبة للافطار ومررنا بقلب الشارف وقصر الغزيات وتركنا غدير بوهندي يمينا واتينا غدير الركب بين الظهرين فالفيناه بحرا زاخرا من مياه الامطار وبه صلينا الظهر والعصر واستعملنا بعض النوافل بعد القصر والفينا حوله من زهر الربيع ما ازرى بوشي صنعاء البديع وحيث الفينا هذا الغدير المتبحر في اول مفازة الرمال الموصوفة بكثرة الاهوال قال في ذلك محبنا واخونا الفقيه البركة الاديب البارع الفاضل نخبة الافاضل ابو عبد الله محمد بن ابرهيم حفظه الله

دخلنا لرمال في سبعة   حسوم فعادت علينا سعودا
تولى الاله سقايتنا   من الغيث حل مكانا بعيدا

سقينا به من مياه السّما   بارض تعزّ المياه وجودا
فسبحانه فاعلا ما يشاء   يعطي و يمنع عدلا وجودا

فقلت في ذلك   سالكا بعض تلك المسالك

وقالوا اذا ما اتيت لسروا   ل فاحذر هنالك حرّا شديدا
واياك والماء فاملأ به   الا واني واعزم على ان تزيدا
فانّ مفازته صعبة   تشدّ بها كم اشابت وليدا
وما علموا انّ فضل الاله   ليس يزال بسيطا مديدا
يغيث الخلائق ان عطشوا   يغيث عزيز نعيم العبيدا
وكم من غدير يغادرها   تروي ركابا و يكفي جنودا
فسبحانه من جواد كريم   تعم الخلايق فضلا وجودا

وتجاوزنا غديرا لركب وبتنا في موضع يقال له قرع بربر وارتحلنا
منه يوم الاربعا فمررنا بوادي العش ووصلنا للبخيلي قرب الزوال
فنزلنا به ريثما نصلح الاحوال والغنياه فايضا بمياه الامطار فاخذ
الناس يقضون بالاستقا منها الاوطار وبقي غالب الركب هنالك
للاستراحة حتى صلى الظهرين وطار وسرنا فبتنا بالغضا وقد طاب
كل واحد منا نفسا وارتحلنا يوم الخميس فربضنا بموضع يسمى الحمامه
لا فاختة فيه ولا حمامه وبتنا مشرفين على وادي الشبكه في فلاة وتحطنا د
فيها شبكه وارتحلنا فمررنا بالقليعات وربضنا بوادي مما لوس
والغنياه جافا من الماء عار حتى من نبات البهماء وكان غالب الناس
احتاج الى السقي فحثثنا السير متوجهين الى المزرّب لعلنا ان نجد فيه ماء
مزرّب فلقينا اعرابيان على جملين واخبرانا بان لا ماء فيه اصلا ولا بين
تلك الجبلين وان الارض منذ حوالين لم تمطر فيجتمع الماء اليه واخبرانا
انها مرّ ابيتر منحرفا الطريق مملوءة بماء الامطار تسمى بير اقللود فتوجه
الناس اليه لكثرة ما كان من العطاش فيهم لعله يكفيهم وتركوا الطريق
ذات اليسار وصدّوا اليه التّسيار فلما وصلنا لتلك البير لم يحصل لنا
بها نفع كبير بل وجدنا ما يملأ نحو الثماني عشرة قربه فازبها من حصلت
له من الثروة قربه بعد مشقة فادحه وبقي الناس من العطش في حالة فاضحه

وحصل لهم فى الانحراف لهذه البئر تعب كبير لخروشة تلك الارض وبعدها
عن صوب الطريق بعد ما جاوز الفرض وسرنا حتى وصلنا موضعا يسمى
اسطاطة قلاود فنزلنا به فى وقت العصر لاجتماع الناس من التفريق
الذى حصل لهم عند الخروج الى البئر من الطريق وبتنا هنالك على
غير ماء وارتحلنا يوم السبت فذكر لنا بعض الاعراب ان غدير الخروبة
فائض بماء المطر وان فيه فوق ما يوفى بالوطر فانحرفنا اليه وتركنا
صوب الطريق وقصدنا الورود عليه فوصلناه بعد ارتفاع النهار
وقد فاض كالبحر الزخار فنزلنا امامه للافطار وقضاء الاوطار
واستقينا من مائه العذب الزلال وتنعمنا بالماء والمرعى بين تلك
التلال وسرنا منه وقد زالت الشمس واتينا اول الخمس فمررنا
بالحويجة وام الغزلان والعبر وكلها اودية معروفة عند اهل تلك
الشعر وبتنا بالعقابة على غير ماء وارتحلنا يوم الاحد فاتينا واديا يسمى
راس ابن قردان فالفيناه متمما بالربيع والازهار والغدران ثم
مررنا بوادى المقفور وفى وسطه غدير يعرف بغدير قصر الصفا
فالفيناه مملوا بماء حاز العذوبة والصفا وحواليه من انواع الزهر
ما اخجل الزهر فبقينا به حتى صلينا الظهر ومررنا بعد ذلك بموضع
يسمى حنوة رقاد والفينا فيها بجعا عظيما من اعراب ذلك الواد
وتجاوزناه وبتنا على غير ماء وارتحلنا يوم الاثنين فمررنا ضحى
بالرحيبات ونهضنا بالباب وماه الخنبر عن عقبة الزيتة وحارت
الالباب وتعبت المراحل التى كانت فى شورة تعبا جاوز الحد وتورمت
اخفافها وارجل الرجالة بل لم يسلم من المشقة احد ونزلنا من السروال
بعد الزوال وسرنا جادين فى السلوك الى معطن سلوكر فنزلناه
فى الغروب بعد مقاساة كروب ولم ينزله آخر الركب حتى مضى جزء
معتبر من الليل بعد مقاساة اشد الكرب واصبحنا به يوم الثلاثا حتى
آن الزوال واستقى الناس من مائه الكثير المتوال وارتحلنا منه فمررنا
ببير تسمى الزحيحيف قريبا من ذلك وصلينا العصر هنالك وسرنا
حتى اصفرت الشموس ونزلنا لاستراحة النفوس وصلينا المغرب

فى

في منظر من الازهار مُعزب وحدّ العلام عن اذن امير الركب حتى غاب
الشفق ومارق لاحد من المساكين ولا اشفق ولم ينزل آخر الركب
حتى انقضى ازيد من ثلث الليل وقاسى الناس من الشدايد ما ختم لهم
بالشيل وبتنا امام قصر الطليون حتى طلع الفجر وفجرت السماء
عيونها غاية الفجر ولم يكف ذلك السيل طول الليل وكان الصواب
ان نقيم حذرا من الوقوع في المقعد المقيم فلم يساعد الشيخ على الاقامه
وامر بالرحيل من تلك المقامه فكف المطر ريثما قضينا من الحمل
الوطر واخذ الركب يسير وتوجه الناس عقبه للمسير وارسل الله علينا
سحابة وكفاء ليس لها كفاء صيرت الارض كالبحر الزاخر لا يقر عليها
خف ولا حافر واعجزت عن السير واوجبت النزول طوعا او كرها
في ذلك الدبس فنزلنا بعد اميال قليلة بحكم الملك القادر ولم نساعد
الامير فيما رامه من المسير المبادر وتفرق الناس يرتادون لنزولهم
المواضع الحرشا التي لا يخاف نازلها من كثرة الامطار ولا يخشى
والفينا بهذه الدار من الآبار والمآجل والغدران ما ازال عن القلوب
الادران وكلها مملوءة بمياه الامطار وكفت السحاب عن الوكوف
لتمام الاوطار وظللنا هنالك نتنعم في المطاعم والمشارب ونقضي
من الراحة اقصى المآرب وارتحلنا يوم الخميس فربضنا بقرب قصر
عليان وبتنا على غير ماء في الموضع المعروف بالبيضان وارتحلنا يوم
الجمعة فصلينا الظهر بالاجدابية واستقينا من جوابيها الجابية
وسرنا منها بعد صلاة العصر وبتنا بعد مجاوزة الجديدة بلا اصر
وارتحلنا يوم السبت فربضنا بالموضع المعروف بالعُرف راضية
مدينة ونزلنا بعد العشاء على غير ماء بقصر وقية ولم ينزل آخر الركب
حتى مضى ثلث الليل وارتحلنا يوم الاحد فظللنا سايرين حتى اصفرت
الشمس ونزلنا معطن المنتم او المنتعل ولم يصله آخر الركب حتى غاب
الشفق وبات الناس يسقون القرب ويبادرون القرب ومنه فارقنا
جماعة من اهل فزان جاؤوا معنا من مصر قاصدين بلادهم فزان ومن المنتم
بتنا بمقطع الكبريت على غير ماء ومنه بتنا بقرب الحدادية وهي بئر معروفة

استقى منها بعض من تيسر له مناولة الماء منها وارتحلنا يوم الاربعاء
فطرق بعض الناس بئر الحدادية ايضا واستقى منها احتياطا الى
الماء ومررنا قرب الظهر بالكحيلة واتخرفنا الغدران ذكر لنا فيها ماء
المطر فلم نلف بها الا الاثر وعوضنا الله منها ما لا يكيف من الربيع
والزهر وبتنا باليهودية على غير ماء واليهودية بئر في هذا الموضع
وذكر ابو سالم انها قرى متعددة متقاربة فيها اثار بناء خال متراكم
يدل على انها كانت عمارة عظيمة واشتهر على السنة الحجاج انها كانت
مدينة مليكتها يهودية فسميت بها ويحتمل ان تكون هذه هي المشار
اليها في الرسالة القشيرية اذ لا مدينة في الغرب تعرف باليهودية
غيرها وارتحلنا منها يوم الخميس فبتنا بالحيرية قرب معطن بوسعده
وارتحلنا يوم الجمعة فمررنا به صباحا وربضنا بمعطن الاحمر وهنالك
الفينا الشطاب ورد بمكاتب من الغرب غير انه طال الطواف وجولانه
في الارض وخرج من فاس في المحرم فلم يصل الى هذا الوقت ووصلنا
معطن النعيم بعد الظهر وتلقانا بقربه طوايف من الاعراب يعرفون
باعراب الزاوية وفيهم الفرجان وغيرهم في عدد كثير وابهة عظيمة
عليهم اثار الرفاهية التي ليست بواهية والفينا حول المعطل
عسكرا من اتراك طرابلس ذكر لنا انه خرج لياخذ عوايد ووظائف
على اعراب تلك النواحي وطلبوا الاقامة من الحجاج ليتسوقوهم هنالك
فساعفوهم على ذلك واصبحنا مقيمين يوم السبت وورد
الاعراب بالغنم والسمن والتمر وغير ذلك وكانت سوق عظيمة
غير ان الاتراك افسدوا احوالها واكثروا اهوالها لانهم ارادوا
ان يقتلوا رجلا من قرابة امير طرابلس كان توجه للحج مع الركب
الجزيري وتاخر في مصر لمقتضيات واغراض عرضت له حتى غرب معنا
يقال له الحاج محمد بوشاقور فطلبوا منه ان يتوجه لخيامهم ليكرموه
فكان اكرامهم له بالبندق والشاقور وجاء فارا بنفسه منهم بعد
ان كان هيا لهم من الاطعمة ما ابعده الله عنهم واصابته رصاصة
في رجله وضربة بالسيف في يده وضربت فرسه رصاصة وما وصل المحلة

الا بعد لاى ولاى فدخل الى مكانه وكساه الله حلة امانه وانجاه الله
من اعدائه وسلم من فضل الله وبركة الرسول صلى الله عليه وسلم وترك
الترك ما راموه ونقضوا من القتال ما ابرموه ورجعوا الى مواضعهم
وعادت السوق كما كانت قبل تواضعهم وارتحلنا من النعيم يوم الاحد
وقد اخذ حذره من الاعراب والاتراك كل احد فبتنا بالمدينة
وتسمى الركمة بالتصغير فيها على غدير ماء وارتحلنا يوم الاثنين
فصلينا الظهر بعد مجاوزة قصر الزمان وبتنا على غدير ماء المطاهر
قرار السوروبان وارتحلنا فوصلنا بير مطر وعند ارتفاع النهار
تفرق الناس يستقون من مائه الذى جارى بكثرته الانهار ومنه مررنا
ببير حسان وهو ماجل منقور فى حجر يجتمع فيه الماء وبازائه قرى خالية
لم يبق الا رسومها تسمى قصور حسان اضافة الى بانيها وكان عاملا
لبنى امية لما نقض اهل افريقية العهد فى اخر خلافة بنى مروان بنى
هناك قصورا واقام فيها نحوا من ثلاث سنين ثم افتتحها بعد ذلك
حسبما نبه عليه مورخوا افريقية وسمى هذا المكان باسمه الى الان ومن
حسان اول برت كامر وهى من اخصب البلدان واحسنها والرفاهية
ظاهرة على اهلها وبتنا فى قرار شرف حسان ويقال له قرار الزنية
على غدير ماء وارتحلنا منه فصلينا العصر بالمخاطبة وهى ساقية من الماء
الملح مختلطة بحر الملح فى وسط سبخة عظيمة كما تقدم ومنها انحرف
الركب لسقى النهايم من الهيشة وبتنا قبالة الهيشة على عين ماء
وظعنا فمررنا صباحا بالجدارية ووسط النهار بالصنعة ثم بالمجارين
واشرفنا على معطن السميدة وبتنا قريبا منه على غدير ماء واصاب الناس
ظما فسقاهم الله من ماء السماء وارسل سحابة عمت بالامطار ووفت
بالاوطار فتلقينا ماءها فى ما حضر من الاوانى وكفانا ذلك للطعام
والشراب فكانت لدينا كالثوانى وحمدنا الله الذى ينزل الغيث من بعد
القنط ويجعل الفرج على من قنط وارتحلنا صباح الجمعة فوصلنا التميمة
مع طلوع النهار وسقينا من احسائها الفائضة فيضان الانهار
وجلسنا ريثما قضينا من السقى الاوطار وفرغنا من الافطار وسرنا

فربضنا بمعطن العريعر وصلينا به الظهر ثم سرنا في صباح متتابعة
حتى وصلنا روضة الشيخ بوشعيفة وبتنا في كفالته وروضته
المباركة مسامتة للركب من قبالته وسقى الناس دوابهم من سوانيه
واستقى كل واحد في اوانيه واصبحنا بروضة سيدي بوشعيفة
نؤم دياره ونخلص له الزياره ونسال الله تعالى من كل شيء في الدنيا
والاخرة خياره ووصلنا ضحى لضريح الامام المشهور مولانا احمد
زروق اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وتفرق الناس في
افنيته ومسجده وامامه وخلفه يبتهلون الى الله تعالى ويسالونه
بجاهه ويطلب كل واحد ما شاء قرب بجاهه وبقينا به ريثما فزنا
بالزياره في تلك المزاره وسرنا حتى توسطنا مسراتة وربضنا
بين اشجار عظيمة من نخل وزيتون وغير ذلك حتى صلينا الظهرين
وزال عن القلوب كل رين وسرنا فبتنا في اول الوطنيه ووردت
علينا جماعات من الاعراب يسوقون الركب بغنم وسمن وشعير
وغير ذلك وارتحلنا صباح الاحد فوصلنا القوايترضحى وربضنا
تحت اشجارها وابنيتها ونخلها الباسقه بين سوانيها الكثيرة
المتناسقه ومنها مررنا بازليتن وزرنا به ضريح الامام المشهور بين
تلك الاقطار فيل الاوطار الشيخ سيدي عبد السلام الزليتني المشهور
بالاسمر الفيتوري وله مقام عظيم وشهرته كافيه وقد الف في مناقبه
الشيخ علي بن عبد الصادق احد اصحابه الملازمين له تاليفا حافلا
سماه منح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم وطرقنا وادي
اللحم وسماه لنا بعض عرب البلاد وادي اغزوا فصلينا به الظهرين
واستقى منه من احتاج الى الماء ثم دخلنا ساحل حامد فزرنا في وايله
روضة الشيخ ابي بكر الغرد الاوي الزياني وتجاوزناه وبتنا وسط نخيل
وابنية هنالك وظعنا يوم الاثنين فزرنا صباحا بروضة الشيخ
على الفرجاني ثم بضريح الشيخ عمر الشارف احد اصحاب الشيخ عبد السلام
المتقدم الذكر رضي الله عن جميع اوليائه فزرناهما وتبركنا بهما وربضنا
عند سيدي بو عصيده رضي الله عنه لقب بذلك لان عادته ان يصنع

للحجاج فصنع العصيدة كلما مروا به ذهابا وايابا حتى بنا لوانها باجمعهم
وذلك دابه منذ اعوام متطاولة واسمه سيدى احمد بن عجالة روضة
عظيمة ومشهد حافل جدا على شاطئ البحر عليها اثار النور والبركة وورثة
اولاده فاذا نزلوا على تلك الوتيرة وقد لقينا هم ضربوا اخبيتهم وشرعوا
فى ذلك فتبركنا بطلب الدعاء منهم وتوضانا هنالك وسقينا البهايم
وسمى لنا بعض الاعراب تلك الارض بابن نجا ومنه انحدرنا فى وادى
القلعى ووصلنا روضة الشيخ محمد القلعى الشريف ظهرا فنزلنا امامه
للاستراحة والصلاة واخذ الناس يستقون من بئر امامه ويسقون
الدواب وبقينا هنالك ريثما قضينا من الزيارة الارب وصلينا
العصر فى تلك الهضاب واعتبرنا من تلك العقاب المتطاولة
الصعاب المشهور ذلك كله بالنقازة عند الحجاج وغيرهم من الاعراب
ولما سهلت الارض ووطئت نزلنا فبتنا فى حفظ رب الارباب وارتحلنا
يوم الثلاثا ففرغنا من النقازة واوديتها وربضنا هنيئة بوطية
قاطة ثم بواد يسمى مسية الخيار وعن يسار المغرب راس جبل عال يسمى
راس خيار والفينا تلك الارضين كلها منعمة بالربيع والازهار ومررنا
بوادى التوتة قبل الظهر واستقى الناس من بيرها العذب ثم مررنا
بالسالة ووصلنا وادى المسيد فسقينا به الدواب وصلينا الظهر
لما فى تقديمها من الصواب وبقينا نتنعم فى خصبه الكثير ومائه الغزير
حتى صلينا العصر وحثثنا المسير فبتنا بوادى الرمل وظعنا منه صباح
الاربعا فمررنا بروضة سيدى على النفاتى ووصلنا تاجورا ضحى وزرنا
بها روضة سيدى ابى النور وروضة سيدى عبد الله قادر وغير ذلك
من المشاهد المزارة نفعنا الله بذلك وربضنا بالنخيل المتصل بالابنية
المتصلة بالمنشية حتى صلينا الظهر وتوجهنا لدخول طرابلس فتلقانا
الاخ فى الله ومحبه الشيخ سيدى احمد بن صالح وسط القرى التى هنالك
بقرب ضريح سيدى محمد بن سعيد رضى الله عنه وزرنا المشاهد التى هنالك
وسرنا حتى انتهينا الى المنشية وهى مدينة قبالة طرابلس ينزل الحاج فى
ديارها لسعتها وكثرة المساكن بها فلذلك يوثرونها عن الدخول لطرابلس

واتخذنا في المنشية دارا بقرب مسجدها الجامع رغبة في جواره لتحصيل
الجماعة فيه كل وقت وبقينا مدة اقامتنا بطرابلس نحوا من سبعة عشر
يوما او اكثر ونحن نتردد ولمن امكنت زيارته من صالحيها
ومشاهدها ولقينا بها جماعات من الناس غير الذين لقيناهم في
الذهاب اولا واجل من لقيناه في الاياب الرجل الصالح العالم
الزاهد المتبرك به ابو عبد الله سيدي محمد المعزوي ادام الله رعايته
واحسن فيه سعايته بمنه لقيته بداره من المشرية مع محبنا الفقيه
ابي العباس احمد الغزي وصلينا معه العصر في مسجده الذي بقرب
داره وحدثنا بفوايد علمية وله يد في العلوم ولا سيما التصوف فانه
كرع فيه من بحر شيخه الامام المشهور سيدي محمد بن سعيد رضي الله عنه
وحالته متقشفة وله اخلاق جميلة واسعة وظن حسن في جميع العباد
ومنشا ذلك صفاء الباطن ونورانيته وحسن النية وخلوصها جزاه
الله عنا وعن المسلمين خيرا وتبركنا ايضا بملاقاة الرجل الصالح المسن
الخير البركة الفقيه المشارك الدراك ابي عبد الله محمد بن مساهل
الطرابلسي بداره ومسجده وصلينا معه الظهر وتناولنا معه مسايل
حديثية وله اخلاق حسنة سهلة واسعة لينة رضي الله عنه ورأينا غير
هولاء ممن لقيناه اولا وخرجنا من طرابلس يوم السبت الرابع عشر
من رمضان المعظم سنة اربعين ومائة والف فنزلنا بعد تمام النخل
والابنية المتصلة بطرابلس بالموضع المعد لنزول الاركاب المسمى قرقارش
وارتحلنا منه صباح الاحد فربضنا ضحى بنخل زنزور وربضنا في الظهر
في نخيل جدايم وتحت ظلالها صلينا الظهر والعصر واسرعنا المسير
فبتنا بالزاوية وارتحلنا يوم الاثنين فربضنا الراحة الاولى ضحى
بنخيل زواغة وصلينا الظهر بمليتيه وبتنا بالزوازات الشرقية وظعنا
يوم الثلاثا فربضنا ضحى بقرب الزوازات الغربية للافطار
ووصلنا فنزلنا لنقضي من السقي والاستقاء الاوطار وصلينا بها
الظهر وادركنا صلاة العصر ببرج الملح فاديناها على شاطي البحر
الملح وجلسنا امامه نوحد الله ونتعجب فيما خصه به من تلك الامواج

والاوه وبتنا بين البرج وارض الشوشة وارتحلنا يوم الاربعاء
فربضنا الواضحة الاولى في اول الشوشة وهي ارض متسعة سميت بذلك
لكثرة ما بها من النبات المسمى بالشوشة وصلينا الظهر في وسطها وبتنا
بابن فردان وظعنا صباح الخميس فوصلنا نبش الذيب ظهرا وتفرق
الناس يستقون منه اذ لا غنى لهم عنه وبقينا به حتى صلينا العصر
وتجاوزناه وبتنا على غير ماء وظعنا يوم الجمعة فوصلنا جرف جربة
ضحى ونزلنا به وخرجت المراكب الموسوقة والاقوام المسوقة وقامت
هنالك سوق عظيمة بين اهلها وبين الحجاج وامتلات بكل ما ينفع
ويحتاج ولاسيما السمك والزيت والفواكه فقد عمرت كل مفاكه ولم
فيهم شيء من البضايع ضايع وارتحلنا من جربة يوم السبت فمررنا
بوادي السمر وصلينا الظهر بوادي ام جسار وادركنا صلاة العصر
بوادي عرام ولم ندخل قرية ذات المقبرة الحافلة الاعلام بل تجاوزناه
وبتنا وظعنا يوم الاحد فوصلنا مدينة قابس بعد ارتفاع النهار
وقابلناها ونزلنا بجنب ما حواليها من الازهار ونفارق من يتوجه
لتونس من الناس وتحصل الناس من مقضياتهم ما يحصل لهم به ايناس
وورد علينا جماعة من فقهائها وحملة وافرة من نبهائها منهم
الفقيه الفاضل السيد الحاج محمد الملقب بالمكي الصفاقسي صهر الشيخ
المشهور ابي الحسن سيدي علي النوري ومنهم الفقيه ابو محمد عبد
السلام بن علي الخزامي مفتي قابس وامامها والفقيه ابو عبد الله محمد
ابن يحيى قفراش الخزامي احد عدولها المنتصبين للاشهاد فيها والفقيه
ابو الحسن سيدي علي بن الحاج علي بن عبد الرحمن بن عاقلة القابسي والفقيه
سيدي عبد الله بن الفقيه الفاضل المشهور سيدي عبد الكريم الحمروني
صاحب التاليف المشهورة المتعددة في انواع الفنون وسيدي علي
ابن ابي القاسم امام زاوية ابي لبابة وسيدي عبد اللطيف بن عبد الله
الحمروني وسيدي محمد بن عبد الرحمن السكري الحمروني وغيرهم ممن لم نعرف
اسماءهم وكل واحد يسال عما عن له من المسائل العلمية وقد ابدى لنا
السيد الحاج محمد المكي ابحاثا نفيسة في العربية وكذلك في التفسير واجبناه

ولله الحمد وله مخالطة لتصريح الازهري وتفسير الجلالين وتكلم بعض
من ذكرناه من الشهود على امور مهمة من التوثيق فيسر الله الجواب عن
ذلك كله ولله الحمد اولا واخرا وباطنا وظاهرا واصبحنا يوم الاثنين
متوجهين لزيارة الامام الاعظم ابي لبابة رفاعة الانصاري صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصح الاقوال وان اختلفوا في اسمه على
عدة اقوال وبقربه في الروضة ضريح سيدي على التواتي وحوله سيدي
عبد الله ناجي ذكروا لنا انه كان امير ركب الحاج وكان صالحا
وسالنا الله تعالى بجاه هولاء السادات ان يمن علينا بخيرات الدنيا والآخرة
وان يختم لنا بالحسنى وينعمنا في المقر الاسنى بالدرجات الفاخره
ودخلنا مدرسة ابي لبابة ومسجدها ولقينا بهما جماعة من الطلبة
وبناوها في غاية الاتقان والفينا بقربه روضة اخرى ذكروا لنا
ان صاحبها يقال له سيدي عبد الله حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
لقب بذلك لانه طلب ذلك الى رسول الله فبلغه الله امله ونيته ووصله
امنيته وكان له في ذلك سبب لم يكن لغيره وفاز بما لم يفز به احد من
خيره وهنالك قبة اخرى على ربوة لم نعرف اسم صاحبها فزرناها
بالنية في حصول كل امنيه وسرنا حتى وصلنا روضة سيدي هرنيش
فزرناه وانحدرنا للوادية فالفينا عينه جاريه واستقينا منه
وسقينا البهايم الجاريه ونزلنا في الظهر حامة قابس واقمنا بها
يومين لمطر صير وجه الافق من شدة سحائبه عابس وورد علينا
فيها الفقيه الخير السيد نصر بن نصير الحنفي بكتاب اسمه الدرر
الملتقطة في المسايل المختلطة وهو كتاب حافل جامع لانواع الفقه
وختمه مولفه بمسايل تفسيرية وحديثية وجمع فيه من الفروع
الفقهية ما ليس في غيره وفي كل مسئلة يحكي اقوال الايمة الاربعة
وينقل كلام منهم عليها ويتنوع في اختلاف المذاهب واختلاف
اهلها واقاويل اربابها ويجلب الاقوال الواردة على كل مذهب
وزرنا من امكننا زيارته من صالحيها كسيدي عسكر وسيدي بلقاسم
المدعو هبيلة الحروفي وسيدي على بن سالم وسيدي عمر الرجراجي وسيدي

محمد

محمد العوش وسيدي محمد بن عبد الله البطحي وسيدي عبيد وغيرهم
نفعنا الله تعالى بذلك وسلك بنا اوضح المسالك وجعلنا من
المحسوبين على اوليائه المتمسكين باسباب اصفيائه امين وظعنا
من الحامة يوم الاربعاء الخامس والعشرين من رمضان فتركنا الطريق
ذات اليسار واعملنا الى ناحية اليمين التسيار وجلا من الوحل
الذي غادرته تلك السباخ الامطار حتى حال بين الطريق وبين
من له فيها اوطار واخذنا على طريق الشارب الذي لا يسوغ ماءه
الشارب قيل انها سميت بطريق الشارب لان اكثرها متصل بالسبخة
كالشارب لها وربضنا في عقلة آبار هنالك تسمى برادع ذكران
ماءها ليس للعطش برادع ولذلك لم يرد احد منه لاستغناء الناس
عنه وسرنا منها فربضنا ثانيا في موضع تسمى العويقلة بالتصغير
سميت بذلك لشجرات بها تترائى للناظر كالقافلة السائرة وصلينا
بها الظهر والعصر وبتنا دون الزهانيات وظعنا يوم الخميس
فمررنا بالزهانيات صباحا وربضنا على الساقية فصلينا بها
الظهرين وسقينا البهايم واستقينا من مياهها الساقية وبتنا
بالمويلحة وظعنا يوم الجمعة فربضنا بالعرق وحثثنا السير فوصلنا
لسيدي بوهلال بعد الغروب ولم ينزل آخر الركب حتى غاب
الشفق وقاسى في الظلمة غاية الكروب وظعنا يوم السبت فزرناه
ومررنا في مداشره وقراه حتى وصلنا لقاعدة مدن الجريد واعظم
بلدانه وهي توزر قبل الظهر وخرج لملاقاة الركب جماعة من اعيانها
وفي وسطهم حاكمها فتاحدق به العامة والخاصة واقمنا بها السبت
والاحد والاثنين وفي عشية ظهر هلال شوال فطلبوا منا اقامة
سنته على عادة الركب فاسعفناهم بذلك لما اشرنا اليه قبل واكد ذلك
انا كنا مقيمين ننتظر العلام ومن معه من الناس الذين ذهبوا من
قابس مع من توجه اليها ليوصلوهم للقيروان ورايناه ايضا احتياج
الناس للموعظة ولا يمكن وعظهم في غير ذلك فصلينا وخطبنا لهم
خطبة حسنة مشتملة على التبشير والتحذير وغير ذلك مما يحتاج اليه

المامور والامير والجليل والحقير والصغير والكبير وتنوع الناس
ايضا على عادتهم في انواع المطاعم وابدوا منها كل ناعم واوسعوا
كل حاضر بما لا يتيسر للحاضر ووزد علينا ناس لا يحصون كثرة وفيهم
جماعة من اعيان الفقهاء والقضاة والنبلاء منهم مفتي تلك الارض
الفقيه الفاضل ابو العباس احمد بن عبيد وهو رجل فقيه يستحضر النصوص
الفقهية وله اخلاق حسنة يباشر بها الناس مع قيامه بامور الفتوى
هنالك ولم نكن لقيناه في المرة الاولى ونحن مشرقون ومنهم الفقيه
القاضي الخير الناسك سيدي علي بن عبد الملك قاضي توزر وامامها وخطيبها
لين الطبيعة سهلها مع الانصاف التام وقد مر ذكره ومنهم الفقيه
الدراك السيد رمضان المتقدم الذكر اورد علينا كتبا في علم الكلام
يستشكل كلاما لبعض شراح الصغرى عند حدهم فيما يستحيل على الله تعالى
الموت في كلام له مجمجة بلا طحن ومن الغد اورد الزرقاني على المختصر
يستشكل اشكالات له غير مانعة ويبدي فيها ابحاثا ظاهرة فجلنا معه
في جميع ذلك واتضحت له بحمد الله تعالى وجوه تلك المسالك واخذ
يتكلم في مسايل نحوية وحديثية ونحن نجاريه فيما هنالك وزرنا من
امكنت زيارته من صالحيها وارتحلنا منها يوم الخميس ثالث شوال فربضنا
بالحامة التوزرية في احسن الاحوال واستقى الناس ما يكفيهم في القرب
وقضوا من الاستراحة غاية الارب ومنها ربضنا ثانيا بالموضع
المعروف بالمخرق والفينا ماء غدرانه في جميع نواحيه قد تخرق وفيه
من الكلأ والربيع للمراعي ما فيه غنية السائم والراعي فتنعمنا تلك
الغدران المغنية عن الانهار وترعت البهايم على هاتيك البسط المبسوطة
من الوان الازهار وتجاوزنا الشبيكة وبتنا وظعنا يوم الجمعة الرابع
فتجاوزنا تمغزا وربضنا بين ما حوالها من المرابع في خصابة ظفرت
البهايم منها بالصبابة ثم ربضنا ثانيا في ارض ذات ربا واحجار عارية
من الاشجار وبتنا بوادي غيران واستقى الناس ما يكفيهم منه ومما
حوله من الغدران وظعنا يوم السبت الخامس فربضنا بوادي لطرفاوي
وادي فرشكاون والفينا به من الماء الغزير والخصب الكثير ما فيه غنية وفي

جوانبه من اشجار الطرفا العظام ما يحيى رفات العظام وتجد النفس
للاستظلال به غاية المنية ومنه ربضنا بالفيضات وهي اسم لمجاري
المياه بين تلك الجبال والرمال اذا تعددت من الامطار الفيضات
وبتنا امام وادي العظام بين هاتيك الكثبان العظام وظعنا يوم
الاحد السادس عشر ربضنا بالزربية الاولى المعروفة بزربية حامد الجامعة
بين المعايب والمحامد وتلقانا اهلها بالتمر والشعير واللبن وغير
ذلك ووقعت بينهم وبين الحجاج سوق عظيمة هنالك والفينا الوادي
الذي بازائها مملوءا بمياه الامطار وبين سواقيه حصائد عظيمة للبهائم
فيها غاية الاوطار فكملت فيها الراحة ووجد الخبير فيها من الماء والمرعى
ما ذللا وراحة وهنالك الفينا اخبار الرقاص الوارد من الغرب وانه
ببسكرة او دونها بالقرب ومنها نزلنا بزربية الوادي بين الظهرين
والفينا الرقاقيص بها فبتنا فيها لنذهب ما اثرته الوحشة في القلوب من
الرين ولما اذن بنادين الصلاة الواجب وكملت لدى الرقاقيص الواجب
اخذوا في تفريق الرسايل على اربابها وادخال السرور ونفي الشرور عن
البابها وحاصل ما تضمنته تلك الرسايل وكان في جلها من اعظم الوسايل
هو ان السلطان ابا العباس احمد الذهبي الذي كان تولى الملك بعد والده
تداخل بطريفة الملك وتالده ولم يصلح للانتظام في ذلك السلك
ولم يحسن نظرا في المملكة ولا في الملك بل اشتغل بما لا يناسب ذلك من
اللعب واللهو والتفنن في الخلاعة مع النساء والولدان تكميلا للزهو الى
غير ذلك مما يحجبه الاعراض اذ لم تتعلق لنا به اغراض وانه لم يقم بذلك
ولم يحسن سلوك تلك المسالك خلعوه وقدموا اخاه ابا مروان عبد
الملك لما توسموا فيه من الصلاحية لما هنالك وورد علينا كتاب حافل
من محبنا الاود الفقيه الاديب ابي العباس احمد البكوري صدره بقوله

لما وضعت صحيفتي ... في بطن كف رسولها
قبلتها لتمسها ... يمناك عند وصولها

وورد علينا كتاب من اخينا الاعجب الحاج طاهر يخبرنا بكل امر ظاهر
وان الاهل ولله الحمد في عافية تامة ونعمة عامة فسررنا بذلك وكان ذلك

اليوم لنا كالعيد هنالك ثم قامت سوق عظيمة بين اهل زريبة الوادي
وبين الحجاج وجاؤهم بكل ما يحتاج اليه من سمن ولبن وفواكه وغنم ودجاج
وبتنا في ليلة حضرت سرورها ونفرت شرورها وتمت نعمها وعمت
نعمها وظعنا منها يوم الاثنين السابع فاصبحنا على غدران ومرابع
فاستقى الماء من احتاج اليه واعرض عنه من لم يتوقف عليه وظللنا نستظل
باشجار الوادي المسمى وادي المنصف والفينا بقربه آبارا مملوءة بمياه
الامطار فقضينا منها بعض الاوطار وجددنا بها الطهارة وتجاوزناها
وصلينا الظهر في فلاة من الارض ووصلنا الى وادي الناموس ويسمى راس
العيون مع مغيب الشمس رغبة في الماء وبتنا بين تلك البهاء وورد علينا
من الاعراب ما ملأ البهما وظعنا يوم الثلاثاء الثامن فوصلنا لسيدي
عقبة ضحى وطلب اعرابه من الشيخ النزول لديهم ليتسوقوا منهم ما بين يديهم
فاجابوهم بعد التأبي الى ذلك ونزلوا اجل ذلك اليوم هنالك وكانت
سوق عظيمة مملوءة بالتمر والسمن والشعير وغير ذلك من الحيوانات ولا
سيما جنس البعير وتوجهنا لزيارة سيدنا عقبة نفعنا الله به ودخلنا
روضته المباركة والفينا عليها بناء متقنا ليست فيه بمشاركة وحواليها
مسجد ومدرسة وابنية لا باس بها وفي بابه بير حسنة كثيرة على ملوحة
وسألنا الله تعالى بجاهه لنا ولاحبابنا واهلينا وعامة المسلمين وخاصتهم
بما نرجوا الله قبوله وصلينا الظهر وحثثنا السير من سيدي عقبة فصلينا
العصر بواد قرب بسكرة ووصلنا بسكرة عشية واقمنا بها الاربعاء
والخميس وكانت فيها سوق عظيمة بانواع النفاق تميس وامتلات
بالبغال والابل والشعير والسمن والتمر والدقيق والقمح واللحم والغنم
وغير ذلك من انواع السلع والزرابي وظعنا منها يوم الجمعة الحادي عشر
فربضنا اولا بعين وماش واستقى الناس من مائها وسقوا البهائم ومنها
ربضنا بوادي الزاب في احزيات مداشر فصلى كل فريق مع معاشره
وتلقانا اهل الزاب كبارا وصغارا بانواع التمر وانواع الفواكه من تفاح
ومشمش وغير ذلك ووردوا علينا بما لا يحصى من الزرابي التي على شكل
زرابي بسكرة وغير ذلك ومن ذلك الوادي مررنا بضريح سيدي عبد الرحمن

الاخضري الامام العلامة المشهور الجامع بين علمي الظاهر والباطن له كرامات
ماثورة وتآليف مشهورة كالسلم في المنطق الذي اشتهر في اقطار الارض
شرقا وغربا وكثر الانتفاع به وكالمنظومة التي له في السلوك تشابه المباحث
الاصلية رائقة النظم فائقة الحسن حلوة مسلسلة وله مقدمة في الفقه
مشهورة في تلك الارض وله الجوهرة في البيان وغير ذلك وبيتهم بيت
علم وصلاح وهو الذي اظهر القبر المعروف لسيدي خالد بن سنان في بلاد
الزاب المتقدم الذكر ولما قربنا من قبر الشيخ عبد الرحمن وقابلناه اقبلنا
عليه بنية الزيارة والتبرك وتجاوزناه وبتنا بارض مغدان على غير ماء
ولا غدران وارتحلنا يوم السبت الثاني عشر فاصبحنا بنخيل اولاد جلال
واخبرنا هنالك بان اعراب سيدي خالد عزموا على اخذ الركب بين تلك
التلول فاخذ الناس حذرهم من ذلك وتهيأوا لاقتحام المهالك وتفرقوا
على نواحي الركب يحمونه من كل كرب وعزموا على عدم الجواز على اعراب
سيدي خالد فرارا من القتال امام ذلك الامام العظيم القدر ورغبة عن
ان يتصف جوار ذلك الرسول بالغدر فلقانا جماعة منهم وحكموا
بتكذيب جميع ما نقل عنهم واظهروا ان لهم في الركب محبة ووداد
وانهم لا يزيدون منه الا بركة وامدادا فكيف يضمرون له ضيرا ويرجون
من ضره خيرا فصدقناهم في ذلك وتوجهنا معهم لهنالك وبتنا
بوادي سيدي خالد الذي جمع كل مجد طارف وتالد وتوجهنا لمشهده
الحفيل المشيد بين ذلك النخيل وسالنا الله بجاهه خيرات الدنيا
والاخرة والكرع من فيض بحر فضله الزاخرة وكانت لاعرابه مع الحجاج
سوق قامت لها البيوعات على سوق وامتلات بالشعير والتمر والسمن واللبن
والتفاح وغير ذلك مما يجلبه الركب لسوقه ويسوق ومات لنا هنالك رجل
من الخدامين شاة الوادي وارتحلنا يوم الاحد الثالث عشر آخذين ايضا
الحذر فصلينا الظهر بوادي صياد وبتنا قرب التوميات وظعنا يوم الاثنين
الرابع عشر فاصبحنا بالتوميات وهما ربوتان عظيمتان شبهتا بالتوام الذي
يولد مع اخيه في بطن واحد لتقاربهما وتقارنهما ثم عبر عنهما بالجمع
لكثرة رملهما او لعظمها او غير ذلك كما مر ايماء اليه وربضنا في جرف الاحمر

تحت ظلال شجرة الاسود فوق تربة الاحمر ومنه وصلنا عبد المجيد بعد
العصر بعد معاناة ما شاء الله من العناء والاصر فاخذ الناس
يسقون البهايم ويستقون قرب كل هايم وجلسنا فيه للاستراحة
وملانا بزيارة روضة الشيخ الشارف بن حرز الله نفعنا الله به الراجيه
وآذنت الشمس بالمغرب واديناحوله صلاة المغرب وسرنا حتى خلفنا
الاعاره كلها وتحملنا في تلك الظلمة ثقلها وكلها ونزلنا بعد
مغيب الشفق ولم ينزل اخر الركب حتى مضى نحو ثلث الليل وظعنا
يوم الثلاثاء الخامس عشر من شوال فمررنا صباحا بوادي عموره ه
وربضنا بوادي الماصل وهو واد نواحيه باشجار البطم العظيمة معموره
وصلينا الظهر بعين البرج وكان لسقي البهائم فيها صياح وهرج
وصلينا فيها الظهر وسرنا الى وادي دمت ويقال له وادي الطرفاء
فصلينا العصر وبتنا في دمت وجاء اعرابه للركب بالسمن الكثير واللبن
والغنم فكان ذلك بابخس ثمن وارتحلنا منه يوم الاربعاء السادس عشر
فمررنا صباحا بوادي الطرفاء كما هو الجاري على السنة الحجاج مع الذي قبله
لكثرة ما فيهما من اشجار الطرفاء ولاسيما هذا الثاني فقد عظمت فيه
اشجار الطرفاء جدا وتجاوزت في العظم حدا وقد سالت بعض اعراب
تلك الارض فسموه لي بوادي الحميضا وربضنا باشجار عظيمة من البطم
ذكر لي الخبير انها تسمى الجنان ومنه اتينا وادي البخ وصعدنا منه وبتنا
في ارض يسميها اهل البلاد المشعة وارتحلنا يوم الخميس السابع عشر
فربضنا باشجار عظام من البطم قرب الاغواط سميت لنا ارضها الدخلة
واتينا الاغواط ظهرا فتوضانا بواديها وصلينا امام ناديها وتلاقينا
فيها بصاحبنا السيد اسمعيل ووالده الشيخ عبد الرحمن اللذين كنا لقيناهما
اولا ونحن مشرقون وورد علينا الفقيه المسن الخير ابو العباس احمد بن
ابي زيان الاغواطي وسالنا عن امور حديثية ومسايل طبية فتكلمنا معه
في ذلك واوضحنا له ما رامه من تلك المسالك ثم ربضنا لصلاة العصر
بموضع سماه لنا اهل البلد حمده فصليناه فيها واكثرنا شكر الله تعالى وحمده
ومنه اتينا الوادي المعروف على السنة الحجاج بوادي مجموت واما اهل البلد

فسموه

فسموه لنا بوادي مزي فسقينا منه واستقينا ما لا غنى لنا عنه وتجاو زناه
وبتنا بموضع قبالة قرية تجوت المتقدمة الذكر في موضع سماه لنا اهل
البلد ذراع الخروف وورد اهلها على الركب بما شاء من سمن وبعير وخروف
وظعنا يوم الجمعة الثامن عشر فوصلنا عين ماضي ظهرا فنزلناها واتانا
اهلها بالغنم والسمن والتمر والشعير وغير ذلك وقامت سوق عظيمة
هنالك وارتحلنا منها يوم السبت التاسع عشر فربضنا الراضين تحت
اشجار من البطم عظام لها اظلال وارفات تحيي بلطافة نسيمها رفات
العظام وبتنا في فم وادي لشبور المتقدم الذكر وارتحلنا يوم الاحد
الموفي عشرين من شوال فعبرنا وادي لوشبور ازيد من عشرين مرة على
التوال وقد سبق انه ممتد بين جبال من الملح ولما وصلنا راس العيون
التي مبداه منها وهي التي يعذب عند انفصاله عنها ربضنا تحت اشجار
عظيمة من الطرفاء هنالك وسقينا البهايم واستقينا القرب والمزادات
وغير ذلك وبتنا قرب عين النخيل او النخيلي على ما مر وارتحلنا يوم الاثنين
الحادي والعشرين فربضنا في النخيل تحت اشجار من التين عظام وسقى
الناس منه الدواب واستقى للشرب كل ظام وصلينا العصر في واد
هنالك ثم مررنا بعد واد لطرفا بعد ذلك وبتنا بقصيعات
المشرية وارتحلنا يوم الثلاثاء الثاني والعشرين فاصبحنا ضحى بالمشرية
وقامت فيها سوق عظيمة بانواع البيوع ولاشربه وزرنا بها ضريح
الشيخ عبد الرزاق والشيخ محمد بومنيدونه وسالنا الله بحق ذلك المشهد
ولم نقض الامل دونه ومنها ربضنا بعين الحجر التي نبع ماؤها
المعين وانفجر ودخلنا ارض الظهره التي اثقلت من كل مسافر لها ظهره
فبتنا في اولها قرب قصيعات الظهرة في موضع سماه لنا اهل البلد الصفا
ابرهيم واصابنا فيها من الامطار ما ترك كل واحد من الحجاج في واديه يهيم
واستمر الى ان خرجنا من جهة الظهره وهو يبل من كل واحد بطنه وظهره
وذلك لان الحجاج الصعاليك لما زاروا سيدي عقبة سالوا الله تعالى
ان يمطرهم في فيفاء الظهرة مطرا غزيرا لما يعتادون فيها من شدة الحر
التي لا تبقي من عبد ولا حر فيموت الالوف من الناس بذلك واذا سلموا

من الموت لحقهم من العطش اشد المعاطب واكثر المهالك وارتحلنا
يوم الاربعاء الثالث والعشرين فى قطر وابل لا يترك من الطرقات
الا الواضح السابل فبتنا على غدير ماء قرب دار فريجات وارتحلنا يوم
الخميس الرابع والعشرين فتريضنا بعد مجاوزة دار فريجات بموضع
تسمى القرعه ووصلنا لعين الحسينى بعد العصر فبتنا بها للتوسع
فى السقى والاستقاء بلا عصر وارتحلنا يوم الجمعة الخامس والعشرين
من شوال فتريضنا اولا بالجنين بالتصغير وهو شجر من البطم عظيم
مستدير ومررنا بعد باشجار اخرى عظيمة متتابعة تعرف بالجنان
بالتكبير وتجاوزناه فى قطر غزير وبتنا عند منقطع جبل عنتر وارتحلنا
منه يوم السبت السادس والعشرين فى قطر غزير فتريضنا فى ربوة
مشرفين على غدير ثم ريضنا ثانيا فى ارض الصفويش وصلينا الظهر حول
احسائه لسهلة الصفويش وتجاوزناه بكثير فى قطر غزير وبتنا على
غدير ماء فى فلاة بهماء وظعنا يوم الاحد السابع والعشرين فمررنا بغدير
مملوء بالماء النمير وريضنا فى عقلة آبار تعرف بالعقلة الحمراء بين
هاتيك الصحراء وجددنا الطهارة بآبار السلطان ومررنا بسباخ
عظيمة ومنها ارتفعنا لربوة حمراء بين تلك الغيطان فصلينا بها الظهر
وبقينا بها نستريح حتى صلينا العصر وسرنا حتى آذنت الشمس بالغروب
وبتنا بالمثقوب وارتحلنا يوم الاثنين الثامن والعشرين فتريضنا
حول شجرات الغراب لاستعمال ما خف من الطعام والشراب ثم مررنا
ببطمة المهزولة وريضنا ثانيا بوادى الشارف وهو راس وادى ابن
مُطهر وفيه لقينا اعرابا لا تحصى وبقينا بالكدية المعروفة بتسكينت
مشرفين على المريجات وارتحلنا فتركنا المريجات يمينا ومررنا بالطرارين
وريضنا على عيون الشيخ على بن مسايح رضى الله عنه وهنالك وردت
علينا اخبار الغرب واهله وبقينا بها حتى صلينا الظهر والعصر وسرنا
فبتنا بموية الطير بعد مجاوزة فم بلزوز وارتحلنا يوم الاربعاء الموفى
ثلاثين من شوال فدخلنا تغراطة وريضنا بفم الوادى المنسوب لديدوا
ومنه ريضنا بغويبة البطم التى بتغراطة المسماة رقبة الغويبة وهنالك

لقينا

لقينا بعض الملاقين ووردت علينا رسائل من اصحابنا تهنينا بما امطرته
من ودق الحج والزيارة غمائم سحابنا وتاملنا تلك الرسايل البديعه التى
حازت حسن الخطاب وبديعه واستغنينا عن الاستراحه بما وجدناه
فى اخبار الاحباب من الراحه وتركنا الشريعة يمينا بوادى النجم ووصلنا
وادى ملوية الذى لم تزل حياة جدا وله على تلك الروابى ملويه فنزلنا
بقصد المبيت هنالك ووردت علينا من انواع الملاقاة المغربيه
والاطعمة الفاخرة الملونة ما يقف الوصف دون ذلك وظعنا يوم
الخميس مهل القعدة فربضنا بالموضع المسمى بذراع تدارت ومنه ربضنا
بوادى القطف حول غدران من المياه فى اوائله وبتنا فى اواخره امنين
من غوائله وظعنا يوم الجمعة الثانى من القعدة فاصبحنا بتازا ضحى
وبقينا بها حتى صلينا الجمعة وكان الركب تقدم امامنا فلحقناه وبتنا
بوسط عقبة بنى مجاره وقد اوسع كل واحد من اطعمة الملاقاة جاره
وظعنا يوم السبت الثالث فربضنا بعدما عبرنا الوادى ثم ربضنا
بالزبيرق ثانيا ومررنا ببوحلوا وبتنا بقصبة الثور منجدين بنجدها على
الغور وهنالك تلقانا محبنا وصفى ودنا الفقيه النبيه الاديب النزيه
ابو زيد سيدى عبد الرحمن بن سيدى محمد بن شيخ شيوخنا الامام الاكبر
ابى على الحسن اليوسى رضى الله عنهم بالدقيق والدجاج وماكول التين وغير
ذلك كثر الله خيره ووقاه ضيره واصلحه فى الباطن والظاهر وابقى
عرضنا التقى الطاهر وظعنا يوم الاحد الرابع فمررنا ببورملان والفينا
بعيون الطين ما رق من الاطعمة ولان وربضنا فيها حتى صلينا
الظهر والعصر وورد علينا اخونا طاهر بما فيه غنية فى العصر وبعضهم
يسمى هذه العين عين حنان وعين ردادة وسرنا منها فبتنا بالبئر
قرب عنق الجمل وظعنا يوم الاثنين الخامس من الشهر فاصبحنا بقنطرة
وادى سبوا وتعرض لنا فيها من اصحابنا كل عالم شهر وظللنا هنالك
نتنعم فى المطاعم والمشارب ونتجاذب من اطراف الاحاديث ما فيه
غنية الشارب ونتوسع فى غير ذلك وجاءنا سيدى عبد الرحمن اليوسى المذكور
من انواع الاطعمة فيها بما لا يزال عليه نفس المحمود المشكور وكذلك رفيقنا

شيخ الاسلام ابو محمد عبد السلام فقدوا فابطعام يكفي حامله
ما يقرب من العام ودخلنا لفاس الطيبة الانفاس امنها الله من كل
باس صبيحة الثلاثاء السادس من القعدة الحرام وتوجهنا للحرم
الادريسي ننهي اليه الاجلال والاكرام ونجعله اول ما القينا به عصا
التسيار وحمدنا الله تعالى على السلامة من غوائل الاسفار واكثرنا من
الحمد والشكر والثناء والاستغفار وطلبنا المغفرة لنا ولجميع المسلمين
من الملك الغفار وسالنا الله العافية التامة في هذه الدار وفي تلك الدار
وان يختم لنا بالحسنى بجاه نبينا محمد الذي هو القطب الذي عليه المدار
ختم الله بالصالحات اعمالنا وبلغنا من خيرات الدنيا والاخرة امالنا
بمنه وفضله وكرمه وطوله امين يا رب العالمين سبحانك
اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك
اللهم صل على سيدنا محمد واله
وصحبه وسلم تسليما
كثيرا دائما
م

